

اليسار

رأية المستضعفين في الأرض

■ اليسار / العدد الرابع و السبعون / أبريل ١٩٩٦ م / ذو القعدة ١٤١٦ هـ / الثمن جنيهاً مصريان ■



الأقباط

واتخابات ١٩٩٥

الاستيقاظ

من النوم في العسل ..
على قنبلة عادل إمام

مظاهرة

شرم الشيخ

واقترح مدريد

المعارضة السودانية
تفاوض النظام

خالد محيي الدين: التجمع لم ينتقل من موقع المعارضة الجذرية

وجود علاقات (مختلفة) مع الحكم لا يعنى التحالف معه



المرحوم / يوسف درويش
القاهرة

في هذا العدد

- قمة شرم الشيخ خطوة جديدة في مسلسل التنازلات العربية.. رئيس التحرير ٤
**** الجو السياسي**
 الصحفيون يبدؤون مرحلة نضال جديدة..... ٧
**** حوار صريح مع خالد محيي الدين**
 عشرون عاما على التعددية الحزبية..... حسين عبد الرازق ١٢
**** هوامش على دفتر الحياة**
 مظاهرة شرم الشيخ والافتراح منريد..... د.عبد العظيم أنيس ٢٣
**** فكر هيكل السياسي**
 تمقيب على حوار هيكل مع رئيس التحرير..... د.فوزي منصور ٢٧
**** مصر**
 التقرير السري لبيتك المركزي..... محمود الحضري ٣٣
 سارق الأحلام.. مجتمع للبيع..... مدحت الزاهد ٣٦
 الرأسمالية تقتل عمال حلوان..... فاطمة فرج ٣٩
 الدولة ومواجهة مايقا الاحتكار..... عريان نصيف ٤٢
 الاقطاب وانتخابات ١٩٩٥..... سمير مرقص ٤٥
 ملاحظات نقدية على مواقف أحزاب اليسار..... صلاح عدلي ٤٧
**** هوم**
 الوطن... الوطن... الانفجار... الانفجار..... د. أحمد محمد صالح ٤٩
**** العرب**
 عشرون سنة على يوم الأرض (رسالة حيفا)..... نظير مجلي ٥٤
 سياسة الإغلاط والحصار (رسالة القدس)..... حنا عميرة ٥٧
 لبنان: الرأسمالية أشد فتكا من الحرب..... إبراهيم الصحاري ٥٩
 قراءة في مقري قمة صانعي السلام (رسالة شرم الشيخ)..... فاطمة فرج ٦١
 حوار مع مبارك المهدي..... أمينة النقاش ٦٣
**** العالم**
 المؤقر السادس والعشرون للحزب الشيوعي الأمريكي..... سمير كرم ٦٧
 نهاية كتابة مختلفة..... د. فهد العنزي ٧٠
**** نساء**
 نقد الحركة النسوانية..... جيهان أبو زيد ٧٢
**** فكر**
 اليسار وأزمة فهم الواقع..... د. محمود عبد الفضيل ٧٤
 الماركسية والسالة القومية..... ساهر سليمان ٧٧
 أزمة اليسار والطريق إلى الجماهير..... د. خليل حسن خليل ٧٩
**** أرشيف اليسار**
 يوسف درويش.. العشق من أول نظرة..... د. رفعت السميد ٨١
**** أدب**
 ارتباك معرض الكتاب..... عبلة الرويني ٨٤
 إشارات..... أميمة شتيوي ٨٦
**** فن**
 عادل إمام والسياسة..... أحمد يوسف ٨٧
 دراما عيد الغفور (البرعي)..... هاجدة موري ٩٢
**** وحق السنين**
 واسودت الدنيا..... د. سمير حنا صادق ٩٥
**** فن تشكيلي**
 جاذبية سري وروحانية جديدة..... فاطمة اسماعيل ٩٦
**** مشاهات**
 حرب اليسوس الحزبية..... صلاح عيسى ٩٨

اليسار در

رغم أننا اضطررنا هذا العدد أيضا إلى إضافة ملزمتين (١٦) صفحة للعدد، فقد تمسكنا بوعدنا بالعودة إلى السمر الأصلي (جنيفان) ونحصل زيادة التكاليف، كنوع من رد الجميل للقارىء، التي تجعل زيادة السعر ٥٠٪ في العدد الماضي، الذي نفذ من السوق قاما.

وقد كانت مشكلتنا في هذا العدد هي كثرة الموضوعات الساخنة، بدءا بموضوع المخصصة، ومعرفة قانون الصحافة، ومؤقر شرم الشيخ.. مروراً بعدد من القضايا المصرية والعربية والدولية المهمة.

ومن وجهة نظرنا فهذا عدد ممتاز أيضا. تنفرد فيه اليسار بحدث صريح مع خالد محيي الدين الذي لم يرفض الإجابة عن أى سؤال مهما بدا مشيراً أو متجاوزاً. ويتألف د. فوزي منصور إحدى النقاط الشيرة في حديث محمد حنين. هيكل في العدد الماضي. وتغطي قمة شرم الشيخ بمتابعة خاصة من د. عبد العظيم أنيس وفاضلة فرج ورئيس التحرير ونجوى أمينة النقاش حواراً مع أحد قادة المعارضة السودانية، وتنفرد اليسار بتغطية مهمة من واشنطن كتبها سمير كرم عن مؤقر الحزب الشيوعي الأمريكي.. و.. و.. ولن نستطيع أن نغطي كل الموضوعات المهمة في هذا العدد، فمن وجهة نظرنا فإن كل المواد مهمة من زاوية أو أخرى.

وقد واجهنا مشكلة الاضطرار لتأجيل بعض الموضوعات للعدد القادم، ورغم غياب بعض كتاب اليسار الأساسيين فقد حرب منا أحمد المحيى ولم تصلنا رسالته من موسكو. حضر للقاهرة وشرم الشيخ لتغطية القمة وسافر دون أن نراه ولم يسغفه الوقت بالكتابة لنا. واعتذر نبيل يعقوب عن الكتابة لمرضه شفاً لله. ولم تصلنا رسالة «ناهض حتر» من الأردن.. الخ.

وقد لاحظ البعض في الأعداد الثلاثة الماضية - وفي هذا العدد - أسماء لكتاب وصحفيين جدد على اليسار، بعضهم معروف وبعضهم جديد على القراء.. واليسار تعتز بهم جميعاً وستحاول في الأعداد القادمة أن تعرف بهم بعد أن نعرفنا على كتاباتهم.

اليسار

قمة شرم الشيخ

موقفنا

لم يتجاوز «حزب التجمع الوطني التقديسي الرعدي» الحقيقة عندما سجل في بيانه يوم الخميس ١٤ مارس ١٩٩٦- أي بعد انتهاء مؤتمر شرم الشيخ بأقل من ٢٤ ساعة - أن هذا المؤتمر خطرة سلبية أخرى تعوق تحقيق هدف السلام الشامل والعدل، ولا تساعد في تقدم التسوية السياسية أو المواجهة الحقيقية للإرهاب بمفهومه الصحيح.. وأن هذه القمة قدمت خدمة واضحة للسياسات الإسرائيلية الأمريكية في المنطقة. وهو نفس الموقف تقريبا - أو بصياغات مختلفة أشد - الذي اتخذته كل من الحزب «العربي الديمقراطي الناصري» والحزب اليسوعي المصري» طبقا للمبائين الصادين عنها. أي أن كل أحزاب اليسار الأساسية قد رفضت هذا المؤتمر أو أدانته، ورغم وجود خلافات بينها حول طبيعة القضية السلبية، إيطارها ونتائجها.

ولا ينطلق هذا الرفض من موقف أيديولوجي أو رؤية استراتيجية، بقدر استناده إلى حقائق مادية ملموسة على أرض الواقع.

فقد عقدت هذه القمة في هذا الوقت بالذات - وبصرف النظر عن الداعين لها - بقرار أمريكي صريح وحاسم لساندة حكومة «شيمن بيريز» في إسرائيل، وسياساتها لقرض تسوية سياسية على الفلسطينيين والعرب تقوم على استمرار مسلسل التنازلات العربية والتعتن الإسرائيلية، وبالتالي مساندة الرئيس كليتنتن في معركته الانتخابية. التي تعتمد كثيرا على نجاحات خارجية وفي القلب منها فرض تسوية سياسية تحقق مصالح إسرائيل بصورة مطلقة، وتضمن لها الأمن واستمرار التفوق العسكري والسيطرة الاقتصادية والسياسية على المنطقة.

لغنى إثر العمليات الانتحارية التي قامت بها منظمة حماس داخل إسرائيل في القدس وتل أبيب وعسقلان، وأدت إلى مقتل ٦٨ إسرائيليا (مدنيين وعسكريين) وجرح ٢٢٠. وأجابه شيمن بيريز وحزب العمل ضربة مبرجة أثرت بالسلب على وضعه الانتخابي، وهذبت بسقوطه في انتخابات الكنيست في مايو القادم. وزاد من أزمته نجاح تحالف «الليكود» والتانس الرئيسي له في إقامة تحالف انتخابي مع حزب «تسومت» اليميني وحركة «جيش» التي يقودها «ديفيد ليفي» وزير الخارجية الأسبق وعضو الكنيست والذي كان قد انشق في فترة سابقة عن الليكود. ولم تنفع الإجراءات القمعية التي اتخذها بيريز ضد الفلسطينيين في مناطق الحكم الذاتي (غزة والضفة الغربية) في تحسين موقفه. لقد عاد بيريز إلى فرض حصار كامل على مناطق الحكم الذاتي اعتبارا من ٢٥ فبراير ولأجل غير مسمى، وامتنع عن تنفيذ العهد الإسرائيلي بحسب قرارتها من التحليل، بل وفرض حظرا على تنقل الفلسطينيين بين المدن والقرى الخاضعة للسلطة الوطنية الفلسطينية (قاضحا كذب الادعاء بانتهاج سلطة الاحتلال على أرض الحكم الذاتي) واعتقل ٦٠٠ من قيادات وأعضاء وأنصار منظمة حماس، واعتقل أسر والشهداء الذين قاموا بتنفيذ العمليات الانتحارية ونسف «أزهم»، وأغلقت عشرات من المؤسسات الاجتماعية والخيرية في الأراضي الفلسطينية - بحجة تهيتها لـ حماس وممارست السلطات الإسرائيلية (والأمريكية) ضغوطا على عرفات والسلطة الوطنية التي قامت بدورها باعتقالات وإجراءات قمعية ضد الفلسطينيين «المتهمين» بالانتماء لمنظمة حماس. وبعض قادة حماس «وكتائب عز الدين القسام» الجناح

رئيس التحرير:

حسن عبد الرازق

المشرف الفني:

عز العرب

المستشارون:

ابراهيم بدرأوى

أحمد تيميل الهلالى

د. ولعت السعيد

صلاح عيسى

عبد الغفار شكر

عبد الفتى أبو العتيق

محمود أمين العالم

محمد ولما حمزوى

شارك في التأليف:

د. مؤاد مرسى

اليسار: منير ديمقراطى يصدر عن

حزب التجمع الوطنى التقدمى

الوحدوى فى اليوم الأول من كل

شهر.

ALY ASSAR I KARIM EL

DAWLA ST TALAAT

HARB SQ

CAIRO/ EGYPT

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة

حصص: ٢٤ جنيه للأفراد و ٦٠ جنيه

للهيئات.

الوطن العربى: ٥٠ دولارا

أمريكا أو ما يعادلها.

العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو

ما يعادلها.

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة

بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١ شارع كريم

الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت: ٥٧٨٩١٥٢ - ٥٧٨٩١١

٥٧٨٩٢٩٨ - فاكس: ٥٧٨٩٢٩٨

FAX: 5786298

خطوة جديدة في مسلسل التنازلات العربية

حسين عبد الرازق

العسكري لحاس. وقد وصفت منظمة الحق الفلسطينية إجراءات السلطة الوطنية بـ «الاساليب الوحشية التي تمارسها بالمارسات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين أثناء الاحتلال» كما أدانت الأمم المتحدة الممارسات الاسرائيلية وممارسات السلطة الوطنية الفلسطينية. ورغم ما قام به بيريز فقد ظل موقفه الداخلي يعاني من الانحياز.

وجاء التحرك الأمريكي، والذي استخدم هذه المرة المظلة المصرية أيضا، بل ترك للادارة المصرية مهمة في الرئيس مبارك و«شرق» الاعلان عن مبادرة الدفعة لعقد هذه القمة، ثم اشتراك الرئيس بيل كلينتون والرئيس حسني مبارك في ترحيب الدفعة التي استجاب لها ٢٩ دولة من دول المنطقة ومن قارات العالم المختلفة، بينما رفض المشاركة كل من سوريا ولبنان، ولم توجه الدفعة أصلا للعراق وليبيا والسودان وايران.

ولم يترك الرئيس بيل كلينتون ومعاونوه أي فرصة للتجاهل في تمجيد أهدافهم من هذا المؤتمر. فأعلنوا بكل وضوح أن هناك ٤ أهداف لهذه القمة:

١- تقديم دعم «عربي-أمريكي» دولي لشيمون بيريز وحكومته يتخذ مستقبله السياسي في انتخابات الكنيست الاسرائيلي.

٢- مساندة الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» في انتخابات الرئاسة القادمة بإرضاء الاصراة اليهودية التي يسعى للحصول عليها.

٣- إقامة حلف أممي «أمريكي-اسرائيلي-عربي» لمواجهة الارهاب - طبقا للفهم الأمريكي الاسرائيلي- الذي يعتبر العمليات الانتفاضية التي تقوم بها حاس ضد المدنيين الإسرائيليين «وكرد فعل لاستمرار الاحتلال والقمع الاسرائيلي في الأراضي الفلسطينية ارضها» ويعتبر المقاومة المسلحة التي تقوم بها القوى الوطنية اللبنانية وصفة خاصة «حزب الله» ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي (العسكريين) وجيش الجنوب الموالي لاسرائيل في الجنوب اللبناني إرضها أيضا.

٤- التقدم خطوات أخرى على طريق التطبيع فالتمة -طبقا للتصريحات الأمريكية قبل انعقادها- ستكون أكبر تجمع في التاريخ للزعما العرب في مؤتمر مع إسرائيل». وأكدت الولايات المتحدة طبيعة هذه القمة، كمؤتمر موجه ضد أي مقاومة مسلحة لاسرائيل أيا كانت طبيعتها، ولتوفير الأمن للناطق لاسرائيل ومساندة بيريز .. عندها قام وفد من الخبراء المركزية الأمريكية (السي. آي. أي) بزيارة

«جورج ثايت» نائب المدير بزيارة المنطقة (القدس وغزة) لتناقشة وسائل دعم الإجراءات الأمنية مع المسؤولين الاسرائيليين وفي سلطة الحكم الذاتي. وقد نشر بعد لقائه بالرئيس ياسر عرفات، أنه تم التوصل إلى اتفاق تعاون ثلاثي «وحد الحركات الاصولية الارهابية» وعلى نظام لاقتسام المعلومات بين أجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية والفلسطينية وتوزيعها، وكذلك الخبرة التكنولوجية، بما في ذلك صور الأقمار الصناعية وأجهزة التصنت الالكتروني. كما دعم نائب مدير المخابرات المركزية الطلب الذي تقدم به رئيس الاركان الاسرائيلي لياسر عرفات بضروة اعتقال ٣٥ من الشخصيات الفلسطينية للتنمية لحاس. من بينهم ستة من قيادات و«كتائب عز الدين القسام» تعتبرهم اسرائيل المشرلين الاساسيين عن تنفيذ العمليات الانتحارية (قتل الانتحاريات فوراً واعتقل ثلاثة منهم، وعدد من القيادات السياسية لحاس).

وفي محاولة لتضيق الرئيس مبارك والقائدات العربية والرئيس عرفات المخرج «واقعة» الولايات المتحدة على تغيير اسم المؤتمر من «قمة مكافحة الارهاب» إلى «قمة صانعي السلام» وعلى إضافة بند حول قضية التسوية السياسية (السلام...) مما يمكن الرئيس مبارك أن يعلن أن «هدف القمة هو بحث كيفية تحريك عملية السلام .. إننا لكي ندفع عملية السلام لأبعد من بحث العمليات الارهابية التي تدور في المنطقة وتعمق وعاجلة عملية السلام» وأن «يضيف قائلا: «إن المشكلة التي واجهتها عملية السلام في الفترة الأخيرة «بسبب عمليات الارهاب المتعددة بين الفلسطينيين».

ولم يفلح هذا التغيير الشكلي في الاسم وبعض التصريحات المصرية التي تتحدث عن ارضاب متبادل في اقتناع سوريا ولبنان بعدم المشاركة في المؤتمر، لتأكيدهما أن المؤتمر موجه أساسا خدمة الأهداف الاسرائيلية المباشرة، وغير مهموم بالتسوية السياسية، حتى في الحدود التي انطلقت منها من مدريد، واستندت سوريا ولبنان إلى مجموعة هامة من الحقائق .. منها:

- الخلل الواضح في القمة بين الارهاب والمقاومة الوطنية الشريفة ضد الاحتلال من نوع الهجمات التي تشن على القوات الاسرائيلية في جنوب لبنان -محاول الارهاب الذي مارسته وقام به إسرائيل في الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك عمليات اغتيال التي تقوم بها القوات الخاصة الاسرائيلية، وأخرها عملية اغتيال عصي عياش، ونسف المنازل، واعتقال الأسر... الخ - إلقاء الولايات المتحدة «سوريا» وايران وليبيا والسودان على لائحة الدولة التي تشجع



صورة الفنان التي نذ الصلبة الانتحارية الأخيرة
في حزب لبنان

والإسلاحه غير التقليدية في الحالات الطارئة وتخزين أسلحة وذخائر في إسرائيل، والتعاون في مجال تطوير المعدات العسكرية، وتعيين لجنة مشتركة لتشكيل قوة دفاع إقليمية بمشاركة دول أخرى في المنطقة.

وصعدت إسرائيل أثناء المؤتمر وبعده من عمليات القصف والعمليات العسكرية في الجنوب اللبناني، بحجة الرد على عمليات المقاومة المسلحة في الجنوب اللبناني، وهي

عمليات إرهابية في ضوء الفهم الأمريكي الإسرائيلي.

وأكد بيريز أن إسرائيل لن تتأفف المباحثات مع سوريا ما لم تحقق سوريا عددا من الشروط في مقدمتها وتقديم تعازيل لأسر ضحايا عمليات قتل أهيب والقدس وعسقلان^١.

وفي نفس الوقت فإن المؤتمر تجاهل المطالب الفلسطينية

المحددة التي عرضت على مؤتمر شرم الشيخ ومنها..

١- رفع الحصار وجميع مظاهر العقاب الجماعي للشعب الفلسطيني والتي تنسب مظاهر العنف.

٢- تسريع تنفيذ الاتفاقات بما في ذلك بدء مباحثات الحل النهائي التي ستتناول مستقبل الأراضي الفلسطينية والحدود ووضع القدس والمستوطنات واللاجئين، وباعتبار أن حل هذه المشاكل سيؤدي إلى نتائج سياسية محل الشك في أساسها وتزوير قناة لدى الفلسطينيين بإزهاا التصوية ومن ثم عزز ظاهرة العنف.

٣- مطالبة إسرائيل بوقف انتهاكاتها المستمرة لاتفاق أوسلو واتفاقية القاهرة واتفاقية طابا (أوسلو ٢).

٤- تسريع عملية الدعم والمساندة الاقتصادية والمالية للشعب الفلسطيني.

وهكذا خرج الفلسطينيون من المؤتمر بخفي حنين، ولم تعط وقعة صانع السلام أي التفات ولو جزئيا لقضية التسوية والسلام وكرست كل جهودها لقضية الإرهاب -بمعنى مراجعة العمليات ضد اسكريين والمدنيين الإسرائيليين- متجاهلة أرواح الدولة التي نازحه إسرائيل منذ نشأتها وحتى الآن.

ان نتائج قمة شرم الشيخ تؤكد أن المنطقة لا تسير في اتجاه أي نوع من السلام. وإن إسرائيل وأمريكا تلهمان التسوية بمعنى فرض الاستسلام على العرب، كل العرب، وهي حقيقة تفرض على الأحزاب والقوى الوطنية والشعوب العربية تكثيف الجهود لوقف التطبيع والسوق الشرق أوسطية بأبعادها الأمنية والاقتصادية والعسكرية كخفزة أولى لتحرك أوسع يستهدف تحرير الأرض المحتلة وإقامة سلام حقيقي شامل وعادل.

الأرهاب.

تجاهل الدعوة استعمار الاحتلال الإسرائيلي للجلان السورية وجنوب لبنان ورفض إسرائيل تنفيذ القرارات الدولية ومبادئ التسوية التي أقرت في مؤتمر مدريد.

وقد كانت رسالة الرئيس اللبناني إلياس الهراوي لكليتين والتي رفض فيها المشاركة في قمة شرم الشيخ كاشفة عن حقيقة المؤتمر كتحرره بعيد عن السلام والتسوية. فقد جاء في الرسالة

- وجوب تنفيذ قرارات الشرعية الدولية وخصوصا القرار ٢٢٥ القاضي بانسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني.

- تجسيد مفهوم الإرهاب الذي استندت إليه الدعوة إلى المؤتمر وضرورة البحث في السبب وليس النتيجة فقط.

- إنقاذ عطية السلام وتفعيلها يكون عبر العودة إلى إطار مؤتمر مدريد الدولي. في إشارة للاقتراح السوري بمعد دورة جديدة من مؤتمر مدريد.

وقد جاءت نتائج المؤتمر مؤكدة لصحة الموقف السوري اللبناني، وإصرار الولايات المتحدة على تحقيق أهدافها كاملة

بوضع استعلاها وإسرائيل لتقديم أي تنازل ولو صغير، يحفظ ماء وجه الحكام العرب الموالين والمتنفذين لمساندة سياساتها.

فالنتيجة الأساسية للمؤتمر هي إقامة نواة للحلف الاضئ الذي طالبت به الولايات المتحدة وإسرائيل

وتقديم مساندة (عربية -دولية- أمريكية) غير محدودة ليهوز.

فالبيان الختامي يؤكد على: «دعم تسويق المجهود من أجل

وقف أعمال الإرهاب على المستويات الثنائية والإقليمية والدولية لضمان مقول مرتكبي هذه الأعمال أمام العدالة

ومساندة جهود جميع الأطراف للحيلولة دون استغلال أراضيهم للأغراض الإرهابية، وبمنع النشاطات الإرهابية من ضم أعضاء

إلى صفوفها وتزويد السلاح والحصول على التمويل...»

ومارس كليتقون لورا التطبيق العملي لهذه الدعوة بحضور اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر بمجرد عودته

من شرم الشيخ (وهي سابقة ليس لها مثيل من قبل) ومشاركة

مجلس وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالي

وإل-بي-١، والمخابرات العسكرية في الإعداد للاتفاقيتين

التي تم الإعلان عنها عقب هذا الاجتماع.

وتنص الاتفاقية الأولى على تبادل المعلومات الخاصة

بالمخابرات وتقديم معدات أمريكية للكشف عن المتفجرات بقيمة ١٠٠ مليون دولار، منحه من الولايات المتحدة

لإسرائيل. ولتحديد الاتفاقية الثانية أطر التعاون الاستراتيجي

الشمالي بما في ذلك تأكيد التعهد الأمريكي باستمرار التفوق النوعي للجيش الإسرائيلي في مواجهة جميع الجيوش العربية.

ومنع إسرائيل وضعا مماثلا لدول حلف شمال الأطلسي فيما يتعلق بالحصول على التكنولوجيا العسكرية الأمريكية والتعاون ضد التهديدات بعبدة المدى مثل الصواريخ أرض أرض

الصحفيون يبدأون رحلة نضال جديدة



مرة أخرى توشك أزمة القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ - قانون اغتيال حرية الصحافة - على الدخول في نفق مظلم، والتحول إلى مواجهة حادة بين السلطة والصحفيين بعد نشر مشروع القانون الذي أعدته اللجنة وشبهه الحكومة، التي شكلها رئيس مجلس الشورى بناء على قرار رئيس الجمهورية، الذي اقترح هذه اللجنة في لثائه مع مجلس نقابة الصحفيين، لتقوم بصياغة قانون موحد للصحافة يحل محل كافة القوانين القائمة - بما في ذلك القانون ٩٣ - كتمخرج من إصرار نقابة الصحفيين والأحزاب السياسية والرأي العام على إلغاء القانون ٩٣، وتسك الحكم بعدم الإلغاء المباشر بحجة الحفاظ على هبة النظام.

على تقطيع الصف الصحفي - والرأي العام - الذي ظل موجدا طوال هذه الأشهر الثمانية من صدور القانون الجريئة، ٩٣ لسنة ١٩٩٥.

« انتقام داخل مجلس النقابة بين السبعة الذين شاركوا في أعمال اللجنة «أبراهيم تالغ - جلال عيسى - مجدي مهنا - أمينة شليق - علي هاشم - إبراهيم حجازي - حسن الرشيد» والسبعة الذين لم يشاركوا : محمد عبد القدوس - حاتم زكريا - يحيى فلاش - رجائي المبرهني - صلاح عبد المصنود - هيد العنيز خاطر» وكانوا قد أصدروا بياناً في ٣ مارس عبارة عن رسالة إلى نقابة الصحفيين، عبروا فيها بدرجة ما عن مخاوفهم وشددوا على «الترايب التي لاتقبل المساومة في موقفتنا من القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥».

لوحى. الجميع بالمشروع أمام مجلس الشعب وصدوره في نفس اليوم (٢٧ مايو ١٩٩٥).

لقد أحاطت اللجنة أصالتها بسرية تامة، وكان هناك حرص - لأسباب غير مفهومة - على عدم تسرب أي معلومات عما يجري في هذه اللجنة «شبه الحكومية» ، ساعد عليه أن مشروع القانون تمت صياغته في الساعات الأخيرة - وعلى عجل قبل مرعد الجمعية العمومية المحد لها ١٠ مارس ٩٦ - وانفرد بهذه الصياغة عدد محدود من «القانونيين» من بينهم ه. أحمد سلامة، ود. عبد العظيم وزير، ود. عفيف شهاب، ووزع على أعضاء اللجنة في الجلسة الأخيرة، التي تونقشت فيها مراده التصون، وتم خلالها إقرار المشروع بالتصويت.

يمجد نشر القانون تواتر، ودود أعمال متناقضة. ويلا أن هناك انتقامات توشك

كان مقرا أن تنتهي اللجنة من أعمالها خلال ثلاثة أشهر طبقا للوعد الذي قطعه الرئيس على نفسه ومع ذلك استطاع عمل اللجنة ثمانية أشهر، انقضى معظمها في مناقشات عامة، ثم في تحديد للمبادئ، في أربع جنان. ولم تسرع اللجنة في عملها إلا في الأسابيع الأخيرة بعد أن هددت الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين أكثر من مرة باتخاذ قرار بسحب مجلس النقابة (السبعة) من اللجنة. وأخيرا أعد مشروع قانون من تسعين مادة عرض على اللجنة في جلسة واحدة استمرت حتى الساعة الثانية وأربعين دقيقة من فجر يوم الثلاثاء ٥ مارس ١٩٩٦ ونشر في الصحف في اليوم التالي، ليكون بمثابة مفاجأة أخرى، يباغت بها الصحفيين والرأي العام، تماما كما حدث في القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥. عندما

دفاعا عن حرية الصحافة والوطن



نهاية الجبهة الموحدة للصحفيين والقوى الديمقراطية والأحزاب السياسية التي تكونت يوم ١ يونيو ١٩٩٥ لإسقاط القانون ٩٣. والدفاع عن حرية الصحافة وحق الرأي العام في المعرفة وكشف الفساد.

وبدأت التحركات المستمرة لإنهاء ملامح الانقسام والمواجهة.

جاءت أول مبادرة جادة من «مركز المساعدة القانونية لحقوق الإنسان» فتصدت بمجموعة برنامج «حرية الرأي والتعبير والاعتقاد» بالمركز إلى إصدار دراسة عاجلة يوم ٧ مارس وزعت على الصحف وثقافة الصحفيين وكافة المهتمين بهذه القضية، واختارت لها المجموعة عنوان «مشروع قانون الصحافة المجهدة.. خطرة للأمام».

للخلفه، وتضمنت الدراسة قراءة نقدية عاجلة لمشروع اللجنة متضمنة اقتراحات لتعديل المشروع.

وأصدر مركز المساعدة في نفس الوقت دراسة مقارنة بين مشروع القانون الصادر عن

الصحافة.. وسلط قانون حماية القضاء. وعنوان التحقيق الذي نشرته الأحرار وأخيرا سلط قانون الليل» الشهير بـ ٩٣ لسنة ١٩٩٥، ويكتب سلامة أحمد سلامة في الأهرام يقول إن مشروع قانون اللجنة انتصار لجهود الصحفيين في إزالة آثار العدوان الذي تعرضت له حقوق حرية الرأي والتعبير، وفي تحطيم القيد والأغلال التي كان القانون ٩٣ لسنة ٩٥ قد أضافها. فإيجابيات المشروع الجديد تتلخص على سبيلياته.. كان مناشيت الوفد يوم ٧ مارس «الحكومة تتخدد الصحفيين - مشروع القانون الجديد تجاهل إلغاء مواد قانون اغتيال الصحافة» ونشرت عدة مقالات وتصريحات لصحفيين رافضة لهذا المشروع.

• وانتقام في الرأي العام بين مؤيد للمشروع ومعارض ومعتطف.

وأصبح هناك تخوف حقيقي من تحول الجمعية العمومية لثقافة الصحفيين يوم الأحد ١٠ مارس ١٩٩٦ إلى مراجعة حادة تعلن

وعقب نشر القانون في الصحف، عقد مجلس النقابة اجتماعا خاصا يوم ٧ مارس حضره عدد من أعضاء اللجنة الفنية للقانونية الصحفية للثقافة والنقابة السابقين، ظهر بوضوح وجود خلاف في تقييم مشروع قانون «اللجنة» بين قابلين له باعتباره الحد الأقصى الممكن في ظل توازن القوى القائم في المجتمع، وفي ضوء تفسيرهم لمواده (أبراهيم نافع - جلال عيسى - كامل زهيرى - محرم محمد أحمد) ومعارضين له باعتباره لا يحقق الحد الأدنى لمطالب الصحفيين وضرورات حرية الرأي والصحافة، ولا يلبس القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥، ولا يمكن قبوله مالم تدخل عليه تعديلات جهرية (أحمد قلاش - رجائي الميرغني - محمد عبد القدوس - صلاح عبد المقصود - صلاح الدين حافظ).

• انتقام في صفوف الصحفيين والصحف، فبينما كان ما تشتت الأخالي يوم الأربعاء ٧ مارس و انتصرت حرية

اللجنة، ومشروع القانون المقدم من نقابة الصحفيين في ديسمبر ١٩٩٥، والمشروع المقدم للنقابة من مركز المساعدة القانونية لحقوق الإنسان في أغسطس ١٩٩٥ والذي استندت إليه النقابة في إعداد مشروعها. ثم أصدر بياناً تكميلاً للدراسة الأولى يوم ٩ مارس ١٩٩٦ وقام بعد ذلك بدمج الدراساتين في كراسة واحدة وزعت على أعضاء الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين يوم ١٠ مارس.

في نفس الوقت اتخذ مجلس نقابة الصحفيين في جلسته يوم ٧ مارس قراراً مسترلاً بتشكيل لجنة للدراسة الشفراء المبرورة في مشروع قانون اللجنة (شبه الحكومية) ونقاط الخلاف، على أن تقدم توصياتها إلى مجلس النقابة يوم ٩ مارس. وكان هذا القرار بمثابة إعلان اتفاق مجلس النقابة وتسليم جميع أعضائه أن هناك عيوباً جوهرية في مشروع القانون يستحيل قبله دون تعديله.

باللعل عقدت هذه اللجنة اجتماعها الأول (والوحيد) صباح السبت ٩ مارس بحضور صلاح الدين حافظ وأمينه بشقير وضياء وشوان والمستشار سعيد الجمل - وأحمد نبيل الهلالي - وحسين عبد الرزاق - ووجائي الميرغني. أعضاء اللجنة الفنية التي صاغت مشروع النقابة.

كان أمام اللجنة النقاط التي أثبتت في اجتماع مجلس النقابة، ومذكرات أعداء المستشار سعيد الجمل، وملاحظات مكتوبة أعدها أحمد نبيل الهلالي.

ودان نقاش طويل في اللجنة أدى إلى إعلان نبيل الهلالي انسحابه عندما شك أحد الأعضاء بصورة غريبة باستحالة النص على إلغاء القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ بصورة واضحة ومباشرة، واستحالة النص على إلغاء العقوبات البدنية في جرائم النشر بواسطة الصحف واستحالة إلغاء المسؤولية الجنائية في بعض جرائم الغيب والإهانة والتحريض إذا ارتكبت بواسطة النشر في الصحف. وقال نبيل الهلالي أنه يستحيل عليه المشاركة إذا لم يكن هناك موقف واضح لا ليس فيه من هذه القضايا الجنائية. وأكد غالبية أعضاء اللجنة على نفس الموقف دون أن يتسحابوا.

وانتهت اللجنة في نهاية عملها إلى التوصية - لجلس النقابة - بإدخال عشرين تعديلاً جوهرية على مشروع القانون، وتحفظت «أمينة شقيق» على ترصيتين الأولى الخاصة بإلغاء المواد الواردة في المشروع والتي تنظم إصدار الصحف واستبدالها بنص المادة ٣ من مشروع القانون المقدم من النقابة والتي تقول: «حق ملك وحرية إصدار الصحف مكرولة دون ترخيص سابق للأشخاص الاعتبارية العامة والخاصة وللأشخاص الطبيعيين المصريين كاملي الأهلية. وعلى من يريد إصدار صحيفة.

أن يتقدم بإخطار كتابي إلى المجلس الأعلى للصحافة موقفاً عليه من المثل القانوني للصحيفة، يشتمل على اسمه وجنسيته ومحل إقامته واسم الصحيفة وطريقة إصدارها ومصادر تمويلها وعنوانها واسم رئيس التحرير. ويجوز إصدار الصحيفة بمجرد انقضاء ثلاثين يوماً من تاريخ الإخطار، وللجنة المقدم إليها الإخطار حق الطعن أمام محكمة القضاء الإداري، إذ لم يكن الإخطار مستوفياً للشروط المبينة». والثانية وأكدت استقالة أعضاء مجلس الصحافة بالإذن للصحنى بالعمل بصفة مستمرة أو منتظمة داخل مصر أو خارجها في صحيفة أو وكالة أو إحدى وسائل الإعلام المصرية.

وأكدت اللجنة في تقريرها على «مخاطر المرافقة (على هذا المشروع) دون إجراء هذه التعديلات التي لمس أمورها جوهرية تتعلق بحرية الصحافة والرأي وحماية المهنة وحقوق الصحفيين واستقلال النقابة. وتوى اللجنة أن مشروع القانون بالصورة التي انتهى إليها يتعارض مع التوجهات الديمقراطية وروح الدستور».

في مساء نفس اليوم عقد مجلس النقابة اجتماعه الطارئ، حيث ناقش اقتراحات اللجنة، وانتهى إلى تضييق توصيات تعديلات في مشروع القانون ومحاولة هذه التوصيات النص صراحة على إلغاء القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥، وإلغاء المسؤولية الجنائية في بعض جرائم الغيب والإهانة والتحريض إذا ارتكبت بواسطة النشر في الصحف.

وتعديل تشكيل المجلس الأعلى للصحافة واختصاصه ليصبح هيئة شعبية مستقلة، وإطلاق حق إصدار الصحف بالإخطار ودون حاجة إلى ترخيص، ويجوز التعرض للحياة الخاصة للشخص بالصلح العام ما دام يستهدف المصلحة العامة.

ورغم ذلك كان الجور صباح يوم انعقاد الجمعية العمومية يبدو كشيء ومليد بالغموم وطنياً بالاحتمالات. خاصة وقد انتاب البعض والشك في وجود تعليمات من بعض رؤساء مجالس إدارات المؤسسات القومية (الحكومية) للصحفيين القائلين بالتحضر لأوامرهم بعدم الذهاب إلى الجمعية العمومية. صحيح أنه لا يريد نصاب لاتقاء الجمعية، باعتبارها جمعية مستمرة منذ ١٠ يونيو ١٩٩٥، ولكن حجم المشاركة له دلالة واضحة وبالفعل كان واضحاً غياب عدد كبير من صحفيي الجمهورية والأحرار والأخبار المرفوف ارتباطهم الوثيق بالإدارات الصحفية.

وقصر بعض الحاضرين هذا الغياب بأنه محاولة للتشكيك في شرعية ما سيصدر عنها من قرارات، خاصة وقد ذكر التقييب عدة مرات أثناء انعقاد الجمعية، وعندما لاحظ وجوه اتجاه قوي لرفض المشروع، رفضه أن يتحدث أقلية مستقبل النقابة، وضرورة أن يحضر الأربعة آلا عشر في النقابة ويتم التصويت فرداً فرداً.

وكان واضحاً أن التقييب في حالة توتر غير معهود، وقاطع المتحدثين عدة مرات، مشككاً فيما يطرحونه وحاول الرد على كل متحدث بمعارض أو ناقد للمشروع، وهو أمر يثير معارضة من إبراهيم نافع، فسر البعض ببرهنة ضغوط سلطوية قوية، ونشاط قيادات صحفية معادية لإبراهيم نافع تدس له لدى الرئيس وتسمى للرقعة، وتتهمه - أي إبراهيم نافع - بأنه يقول في الغرف المغلقة كلاماً غير الذي يقول في مواجهة جمع الصحفيين.

بدأت الجمعية العمومية بكلمة هادئة من التقييب ذكية، سلم فيها ببرهنة تنازلات متبادلة، وأن المشروع ليس مغالفاً بأي حال، وهو لا يبرهن مطالبنا وطموحاتنا جميعاً ولكنه أيضاً يمل



صبيح عبد الرزاق يلقى كلمته

استخدام وسائل الضغط المشروعة، مثل الانسحاب أو التهديد بالانسحاب كسبلين للصحفيين مفروضين في حدود معينة، وأن هناك وسائل ضغط ديمقراطية تملكها الجمعية العمومية والقرى الديمقراطية تستطيع إدخال تعديلات دالعة عنها هم داخل اللجنة ولم تستجب اللجنة بفالبيتها الحكومية ويوجه تزوية القوانين بها، لهم.

بعد كلمة التقيب قدم رجائي المرفس تقريرا حول أعمال اللجنة الفنية والتوصيات التي تبناها المجلس لإدخال تعديلات على مشروع اللجنة.

وبدأت المناقشات التي شارك فيها ١٧ من أعضاء الجمعية العمومية.

كان أول المتحدثين صلاح عيسى الذي سجل في كلمته سبع ملاحظات جهرية على المشروع هي:

١- المشروع لم يحقق الهدف الذي شكلت من أجله اللجنة المذكورة وهو إعداد قانون موحد للصحافة يصحج كل القوانين والمواد القانونية.

٢- المشروع تجاهل السبب الرئيس للأزمة وهو القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥، فلم يتعرض سوى لمادتين فقط الخاصيتين بالثقف ونشر الأخبار الكاذبة.

٣- المشروع يتضمن خصوصا ظاهرة البطالان دستوريا.

٤- المشروع أبقى على عقوبات مغلظة كثيرة من قانوني العقوبات والمطبوعات.

٥- أبقى المشروع القوية على إصدار وتلك الصحف كما هي بما يرق حق الإصدار.

٦- أبقى المشروع المجلس الأعلى للصحافة، كما هو كمجلس يفتقد الاستقلال والحياد.

٧- المشروع لم يلتزم بالحد الأدنى لطالب الصحفيين.

واقترح صلاح عيسى مشروع قرار يقوم على رفض مشروع القانون الذي اتعنه، إليه اللجنة التي شكلها المجلس الأعلى للصحافة والتصكح بقرع القانون الذي وضعته النقابة وتقدم به مدد من نواب المجلس الضعيف إلى المجلس، ودعوة الجمعية العمومية إلى تنظيم اعتصام احتجاجي لمدة ٣ ساعات يوم الأحد ١٦ مارس ١٩٩٦ إعلانا لموقف الصحفيين من المشروع، وأن تتعالف الجمعية العمومية المطالبة

الباب السابع الخاص بالثقف والسب، وتجاهل مراد قانون المطبوعات، وقانون الأحزاب أو المخبرات العامة والإجراءات الجنائية وقانون حظر نشر أية أخبار عن القوات المسلحة، والجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء، والعاملين بالدولة، وخاصة بالصحافة والصحفيين.

٥٥ لم يلع مشروع القانون التعديلات التي أدخلها القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ على جرائم النشر بواسطة الصحف.

٥٥ بالرغم من أن غالبية الصحفيين الذين شاركوا في أعمال اللجنة، خاصة النقباء إبراهيم تاليع وكامل زهيرى ومكرم محمد أحمد، والزملاء ومجدى مرافى وأمينه شلق وعبد العال القابورى ومحمود المرافى وجلال عيسى،

تسكروا حتى اللحظة الأخيرة بالدفاع عن قرارات الجمعية العمومية والمؤقر العام الثالث ومواد مشروع قانون الصحافة التي أعدته نقابة الصحفيين، بل وصوت كل من

ومجدى مرافى ومحمود المرافى وأمينه شلق وعبد العال القابورى

في الدقائق الأخيرة ضد مراد في مشروع القانون لتعارضها مع مشروع النقابة.

فقد تصور بعضهم أن مشاركتهم تفرض عليهم الدفاع عن مشروع اللجنة، واستحالة

الحصول على أكثر مما وصلوا إليه، وأن هذا هو المكان الوحيد. متناسين أن هذه التناقض

تمثلت من خلال أسلوب معين للتفاوض وأن لم يكن من بينها

قبة الممكن، أقصى الممكن» كما يقولون في تعريف السياسة». ولكنه أضاف أن مشروع القانون المروض يحقق مكاسب هائلة ويؤهل الصحافة المصرية لانتفاضة معينة في الحقبة المقبلة، وأنه يحتاج كثيرا لا القانون ٩٣ وحده، بل وكل القوانين السابقة وكان هذا التوصيف هو نقطة الخلاف الرئيسية بين المؤيدين للقانون والذي تبين خلال اجتماع الجمعية العمومية أنهم ثلاثة من أعضاء مجلس النقابة فقط إبراهيم تاليع - جلال عيسى - إبراهيم حجازى، وبين المعارضين والمتحفظين.

فالمناقشات كشفت عن مجموعة عامة من الحقائق.

٥٥ مشروع قانون اللجنة تجاهل التكليف الصادر بإعداد مشروع قانون موحد للصحافة، قانون يديل جميع كل القوانين والمواد القانونية الخاصة بالصحافة والصحفيين (باستثناء قانون نقابة الصحفيين، في قانون واحد.

فقد انصب مشروع القانون على تميل القانون ٤٨ لسنة ١٩٨٠ (قانون سلطة الصحافة) ومادتين أو ثلاثة من قانون

العقوبات (المواد ١٨٨ و ٣٠٢ و ٣٠٣).

وتجاهل ٢٨ مادة في قانون العقوبات في الباب الرابع عشر الخاص بـ «الجنح التي تلح

بواسطة الصحف وغيرها» ومادتين في

انتهادها يوم السبت ١٣ أبريل ما لم ينشأ مرفق يتطلب انقضاءها قبل هذا التاريخ.

وقد ألهم هذا الاقتراح جو الجمعية ومقاطع التوقيع الكلمة عدة مرات. ورد عليها مطولا بعد انتهاء صلاح عيسى منها. وتحدث في نفس الاتجاه عدد كبير من أعضاء الجمعية منهم صالح وجب ومجدي أحمد حسين ومحمود عبد العزيز ومحمد سميرى وجلال عارف وكارم منصور..

وعبر كامل زهيري عن موقف مختلف قابل بالمشروع. وتحدث لمدة ٥٠ دقيقة منتبها إلى ضرورة المرافقة على المشروع المطروح لأنه يحقق مكاسب للصحفيين وأن الحكومة تريد منا أن نرفض هذا المشروع حتى يظل القانون ٩٣ لسنة ٩٥ سيفا مسلطا على رقابنا. وطالب بالنس على إلغاء كل قانون يخالف مشروع القانون، وتعديل المشروع. واستقر كامل زهيري في بداية حديثه القاعة منتعنا من هجومه غير مفهوم على الأحزاب السياسية وأتهمها بالصهي لكي تخوض نقابة الصحفيين معاركها!!

وفي نفس الاتجاه، تحدث عادل حسين مؤيدا المرافقة على المشروع مضافا إليه التعديلات التي اقترحتها مجلس النقابة. واقترح تجديد الثقة في مجلس النقابة.

ورد جلال عارف في بداية كلمته على هجوم كامل الزهيري على الأحزاب السياسية، مشيرا إلى أن كل القوى السياسية ولقت معناه. وأن قضية الصحافة قضية وجهه لهذا الوطن. وأن المرافقة على هذا المشروع، تعني مرافقتنا على ما ولقته الأمة. واجتمعت كلمة هذه الجمعية على إستفاضة. وقال أن اللجنة أسقطت كل أساسيات مشروع القانون الذي أعدهه النقابة. وليس لنا الآن إلا قضية واحدة هي إسقاط القانون المشهور (٩٣ لسنة ١٩٩٥) والتسليم بمشروع النقابة. وأيد كل الاقتراحات التي وردت في كلمة صلاح عيسى جملة وتفصيلا.

وقدم حسين عبد الرزاق نقدا لمشروع القانون تناول أربعة نقاط.

الأولى: تؤكد أن القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ ما زال قائما كما كان منذ مايو ١٩٩٥. ولم ينفذ إلا القليل من الشعم. فمشروع قانون اللجنة أبقي على التعديلات

التي أدخلها القانون ٩٣ على ١٦ مادة من قانون العقوبات، وتتضمن بعض هذه المواد فرض عقوبة الحبس في جرائم النشر بحيث لا تقل عن سنتين وغرامة من ٥ آلاف جنيه إلى عشرة آلاف جنيه، مع جعل الحبس والغرامة معا وجبة في هذه المواد. كما استخدم المصارات المطاطة غير محددة الدلالة والتي تحصل العديد من التفسيرات والتأويلات والواردة في توصيف الجرائم في القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥، في المادتين المعدلتين من قانون العقوبات من هذا المشروع.

الثانية: لم يبلغ المادة الخامسة من القانون ٩٣ والتي ألغت المادة ١٣٥ من قانون الإجراءات الجنائية المادة ٦٧ من قانون نقابة الصحفيين وأخصيص بنوع الحبس الاحتياطي في الجرائم التي تقع بواسطة الصحفي، واستحدثت مادة تمنع الحبس الاحتياطي لأعضاء نقابة الصحفيين في الجرائم التي تقع بواسطة الصحف، وإباحته بالنسبة لمئات الصحفيين الذين لم يكتسبوا عضوية النقابة بعد، وللكتابات والساسة والمفكرين الذين يكتسبون في الصحف، وفي مادة معرضة للإلغاء لعدم دستورتها.

الثالثة: حرص المشروع على تجاهل أهم ما ورد في مشروع القانون الذي أعدهته النقابة، مثل إلغاء المسؤولية الجنائية بالنسبة لبعض الجرائم، وعدم جواز محاكمة الصحفيين أمام محاكم عسكرية، وإلغاء العقوبات البدنية في جرائم النشر والفصل بين سلطة التحقيق وسلطة الادعاء.

الرابعة: منح المجلس الأعلى للصحافة حق إصدار ميثاق الشرف الصحفي، وترتيب عضوية تأديبية وجنائية عند مخالفته.

واقترح حسين عبد الرزاق رفض مشروع القانون الذي انتهت من إعداده هذه اللجنة ما لم يتم إدخال تعديلات جوهرية. تتناول إلغاء القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥ وإلغاء العقوبات السالبة للحرية (الحبس) في قضايا النشر وإطلاق حرية إصدار الصحف دون ترخيص وللأشخاص الطبيعيين واستقلال النقابة بإصدار ميثاق الشرف وإلغاء العقوبات الجنائية على مخالفته. كما اقترح الجمعية العمومية مجلس النقابة يوقف التصريحات والأخبار التي تنسب إليه وتظهره وكأنه يتحصل

من مشروع القانون الذي أعدهته نقابة الصحفيين ويستكره. وأن تعلن الجمعية العمومية تمسكها بهذا المشروع وتؤكد مساندتها لأعضاء مجلس الشجب الذين بادروا بعرض نص مشروع قانون الصحافة الذي أعدهته نقابة الصحفيين وتلقوا به إلى مجلس الشجب.

ويعد أن انتهى أعضاء الجمعية طالبو الكلمة من كلماتهم. بدأ واضحا أن المغاوير تتراجع وأن استعادة الوحدة على أسس مبدئية ممكن. وهكذا تشكلت لجنة صياغة من مجلس النقابة وعدد من أعضاء الجمعية العمومية هم: «كامل زهيري - صلاح الدين حافظ - - حسين عبد الرزاق - جلال عارف - صلاح عيسى - عبد الحميد سليم - ضياء وشوان - كارم منصور - عادل حسين» وكان مقروفا أن يشارك أيضا عبد الهادي الباقوري وجبالا بلوى ولكنهما انصرفا قبل إعلان تشكيل لجنة الصياغة.

وانتهت اللجنة إلى مشروع القرار الذي عرض على الجمعية العمومية ووافقت عليه بالتصديق. ويتضمن القرار على وإجراء تعديلات جوهرية على المشروع المطروح استنادا إلى نصوص المشروع المقدم من النقابة والذي يعبر عن الجمعية العمومية. وحدد القرار تسعة تعديلا أساسية في مقدمته ضرورة النص على إلغاء كافة التعديلات التي أدخلت على جرائم النشر بمقتضى القانون ٩٣ لسنة ١٩٩٥. وإضافة حكم انتقالي يقضي بوقف التحقيقات التي تجري طبقا للقانون ٩٣ وإسقاط القضايا المنظورة أمام المحاكم ولم يصدر فيها حكم بات بعد. وإلغاء العقوبات المقررة لحرية في الجرائم التي تقع بواسطة الصحف، وأخصيص النقابة وحدها بوضع ميثاق الشرف والعمل على احترامه، وعدم جواز الحكم بتعطيل الصحيفة أو إلغائها.. وعملت الجمعية العمومية مرافقتها على المشروع عين الاستجابة لهذه التعديلات.

وبدأت مرحلة جديدة في النضال دفاعا عن حرية الصحافة وحرية الوطن. على أن تعود الجمعية العمومية للاعتقاد في ٧ أبريل الحالي أو قرر عرض مشروع القانون في صورة النهائية على الهيئة التشريعية أيها أقرب.

عشرون عاما على التعددية الحزبية



كل فصائل اليسار.. والماركسيين والناصريين والاشتراكيين الديمقراطيين والدينيين المستعربين والتوسعيين..

وقد ولد في لحظات حاسمة في تاريخ مصر والمنطقة.

فالسطة التي قامت عقب انقلاب ١٤ مايو ١٩٧١ بزعماء

أنور السادات قادت البلاد إلى أزمة سياسية طاحنة نتججة

التناقض بين الشعارات الديمقراطية المرفوعة والواقع المعاش في ظل

احتكار السلطة، والقوانين المقيدة للحريات، وانهيار التنظيم السياسي

(الوحيد) القائم، وتضاعف دور أجهزة الأمن والشرطة السرية، وتحوّلت

عديد من القوى الوطنية خارج مؤسسات الدولة وتنظيمها السياسي..

وأزمة وطنية برزت بصورة حادة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ التي

استخدمها الحكم للانعراج بتصفية إنجازات ثورة يوليو الوطنية وربط

مصر بالتبعية للمعسكر الرأسمالي - خاصة الولايات المتحدة - والتحول

بالحل الأمريكي الاسرائيلي لقضية احتلال الأرض.. فانتعج الحكم

تأزيم العلاقات المصرية السوفيتية والوصول بها إلى حافة العدا.. رغم

دورهم الهائل خلال حرب أكتوبر.. وكيل المديح لأمريكا، وتسليم

الزمام في المنطقة (للميزز) هنري كيسنجر وزير الخارجية

الأمريكي.. وأدت هذه السياسة إلى توقيع اتفاقية فصل القوات، ثم

تعاقب سيناء الثانية، بشروط مجعفة ومهيبة لتضحيات المقاتلين.

وانتصار الصراع بين حلفاء حرب أكتوبر (عصر مصر)

-للمسلمين، وتزايد نفوذ الانتماء العربية التقليدية - البروتية

-خاصة في شئون المنطقة وداخل مصر.. وبداية ما عرف

بالعصر المصري، أو عصر الثورة لا الثورة..

في يوم ٢٩ مارس ١٩٧٦ وافق الاجتماع المشترك لمجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي والذي ضم (٥٦٠) عضوا على قيام ثلاثة منابر (تنظيمات) داخل الاتحاد الاشتراكي.

- تنظيم مصر العربي الاشتراكي .. وبرأسه اللواء

مصطفى سالم رئيس الوزراء وسكرتيره العام محمود أبو وافية

عبدل رئيس الجمهورية (أنور السادات) .. (تنظيم الوسط).

-تنظيم الاحرار الاشتراكيين .. ورأسه مصطفى كامل

مراد.. (تنظيم اليمين).

-تنظيم التجمع الوطني العقلمى الوجدوى .. ورأسه

خالد محيى الدين.. (تنظيم اليسار).

وكان ذلك إيذانا بهذه التعددية السياسية والحزبية المقيدة، والتي

ما تزال تعيشها حتى اليوم.

وفي ١٠ أبريل ١٩٧٦، أى بعد ١٢ يوما بالضبط على قيام

(التنظيم) لمارونا، عقدت أول هيئة تأسيسية للتنظيم بقاعة الاحتفالات

بالاتحاد الاشتراكي العربي والتي تكونت من ١٣٣ عضوا. وانتجت

خالد محيى الدين (مقررا مؤقتا) و ٣٩ من أعضائها

(سكرتارية مؤقتة). واعتبر هذا اليوم ١٠ أبريل يوم تأسيس

«التجمع»

ولم يكن ميلاد التجمع في ذلك الحين شيئا عاديا أو عابرا، بل

كان حدثا تاريخيا بكل معنى الكلمة. فهو أول حزب يساري علني

(شرعي) في العصر الحديث. يجمع في صفه قطاعات أساسية من

حوار صريح مع : خالد محيي الدين

التجمع لم ينتقل من موقع المعارضة الجذرية إلى..
مواقع أخرى ولكن أسلوبنا في المعارضة تغير

الحكم يرفض تداول السلطة ويتمسك باحتكاره لها

وجود علاقات مختلفة مع الحكم نتيجة بروز
الإرهاب.. لا يعنى إطلاقاً التحالف معه

منبر وتنظيم داخل الاتحاد الاشتراكي إلى حزب سياسي خاص
ويخوض محارك الوطن والأمة، مبرجة مياه كثيرة في النهر، وتصب
مواقع ومفاهيم عديدة.. كان ضرورياً أن تجري هذا الحوار مع «خالد
محيي الدين» رئيس حزب التجمع وقائدته طوال هذه السنوات
المعشرين والزعيم التاريخي لليسار المصري خلال النصف قرن الأخير.

خسة .. يؤسسون التجمع

* في العهد المشرقي لحزب التجمع.. ما هي
قصة الأيام الأولى لإنشاء حزب اليسار.. ومن هم
الذين تحملوا مسئولية الطعير والإعداد لهذا
الحزب، وكيف اختاروا الاسم، ولماذا فكروا في
حزب موحد لكل اليسار؟

«بدأت فكرة المنابر داخل الاتحاد الاشتراكي تبرز عقب الأحداث
الطلابية في يناير ١٩٧٢ وتطرح نفسها على التفكير السياسي في
المجتمع داخل الاتحاد الاشتراكي نفسه، بعد أن بدت للبيان أزمة
التنظيم السياسي.. وقال سيد مرعي رئيس مجلس الشعب والأمين

حوار : حسين عبد الرازق

وأزمة القصادية الاجتماعية سمح سطر، راحته حبيب
على الحكم، قادت البلاد إلى توقف التنمية وصرت الصناعة رديئة،
الدين الخارجي، وسيادة قيم الاستهلال والولع بالمستورد، وارتفاع
الاسعار، وزيادة المعجز مع العالم الخارجي، وسوء توزيع الدخل وانتشار
الفقر

وسجل التجمع في مشروعه برنامجاً الذي تقدم به إلى الاجتماع
المشارك لمجلس الشعب واللجنة المركزية «إن هدفه الفلاح عن
قوة يوليو ١٩٥٢ ومنجزاتها والقدم بها» واعترض على
السياسات الاقتصادية والاجتماعية المتبعة، بتخلي الحكم عن سياسة
الجنمية والتخطيط القوي الشاغل لحساب سياسة الانفتاح. وأكد
على حق الاضراب للطبقة العاملة.. وعلى تمسكه
بالاشتراكية.

والنوم بعد مرور ٢ عام على تأسيس التجمع. تحول حلاله من

هناك تياران متصارعان داخل التجمع.. ولكنهما لا يسعيان للمواجهة ويحرصان على التعايش

انتخابات مجلس الشعب الأخيرة..

تراجع واضح عن الهامش الديمقراطي المحدود

السعيد واسماعيل صبري وأنا. وأذكر أن اسماعيل صبري هو أول من اقترح أن يكون النبر مظلة واسعة لكل اليسار وليس حزبا ماركسيا أو لجمعية يسارية محدودة. وباللعل حرصنا منذ البداية على أن يكون منبرا لتقديمنا واسعا يضم كل اليسار، وأن لا يأخذ الصفة الماركسية، طبعاً يكون فيه ماركسيون ومفتح أمامهم مثلهم في ذلك مثل أي تيار يساري، ولكن لا يتحول إلى منبر ماركسي صرف. وفي هذا الاجتماع الأول طرحت أسماءاً للانضمام إلى هذه المجموعة التي أخذت المبادرة، مثل كمال رفعت ولطفى واكد وحمى الجمل .

وبالفعل تمت وولعت السعيد بزيارة كمال رفعت في مكتبه، والتقتنا به ولطفى واكد، وكان موقفهما إيجابياً للغاية، ولم يطرَح كمال رفعت في ذلك اللقاء فكرة منبر خاص بالناصريين .

وتوالى الاجتماعات وانضم إليها لطفى الحواري ولطفى واكد، وكلف هـ، فؤاد موسى بصياغة مشروع البرنامج في ضوء الضوابط التي حددها الاتحاد الاشتراكي والسلام الاجتماعي - الوحدة الوطنية - الشريعة الإسلامية، ولم يشاركنا كمال رفعت هذه الاجتماعات لدخوله المستشفى إثر إصابته بوعكة صحية.

ثم يار عدد من الشباب الناصري بالتحرك لإنشاء منبر ناصري مستقل وواجهنا معاً - المجموعة التي تشكل والمثير الوطني التقدمي - والمجموعة التي تتحرك لتشكيل منبراً ناصرياً والتي اتصلت بكمال رفعت ليتولى قيادتها - وواجهنا الشرط الذي وضعه الاتحاد الاشتراكي، وهو ضرورة أن يكون المؤسسون عشرة من أعضاء مجلس الشعب أو اللجنة المركزية (أو هما معا) .

بدأنا بأبو سيف يوسف (عضو مجلس الشعب) وأنا (عضو اللجنة المركزية) - ثم عرفني الصديق (المرحوم) زكي مراد بأبناء أسوان والزيرة عبد الهادي يعقوب (عضو مجلس الشعب) وعبد السعار مبرهناني (عضو اللجنة المركزية) وانضم إلينا بعد ذلك

العام السابق للجنة المركزية في ورقة عمل قدمها للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وإن الممارسة العملية خلال المرحلة الماضية قد كشفت عن قصور الإطار الحالي للاتحاد الاشتراكي عن مجابهة التطلعات المتزايدة للمرحلة القادمة.

إن كل وثائقنا منذ الهياك وحتى المستور تؤكد أن الاتحاد الاشتراكي جهاز للشعب يمارس براسمته سلطاته. ولكن الواقع عكس ذلك تماماً. فهو خلال مساره الطويل يؤكد أنه جهاز خدمة السلطة أو لوضع الشعب في الإطار الذي تريده السلطة تماماً. فهو دائماً يفسر قرارات السلطة ويدافع عنها..

وقد دار نقاش طويل عام ١٩٧٢ داخل الاتحاد الاشتراكي وفي الصحف (الجمهورية والطلعة خاصة) حول هذه الأزمة. وكتب -كثيرين غيري - ميموما بالبحث عن منهج جديد للعمل السياسي يأخذ في اعتباره التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تجري في المجتمع، خاصة وقد انطلقت القوى الوطنية تعبر عن نفسها بالتحرك خارج التنظيم السياسي ومؤسسات الدولة. وفي النقابات، واتحادات جماهيرية عمالية وطلابية. أو إقامة تنظيمات سياسية (سرية) .

وأذكر أنني استقبلت في مكنتي مجلس السلام فؤاد موسى واسماعيل صبري ولطفى الحواري وأبراهيم سعد الدين وولعت السعيد. وجرى حوار (مسجل) بيننا اقترحت خلاله إنشاء لواء فكرية وسياسية داخل الاتحاد الاشتراكي أسوة بحزب العمال البريطاني، وأعدنا ورقة يخلص النقاش قدمت للمستترين في ذلك الحين. ولكن مثل هذه الأفكار والاقتراحات لم يكن الحكم على استبعاد لتقبلها .

في عام ١٩٧٥ استقر رأي السادات على إنشاء منابر داخل الاتحاد الاشتراكي. وعادوت التفكير والإعداد لإنشاء منبر يساري. هلفنا أول اجتماع في منزل الصديق حسين فهمي تقيبه الصحفيين الأسبق وحضرة حسين فهمي وفؤاد موسى وولعت

د. لطفي سليمان - محمد خليل... ولكننا عدنا المراجعة مشكلة العشرة المؤسسين طبقاً لتواعد الاتحاد الاشتراكي. فقد بلغ العدد تسعة ولم يبق إلا عضو واحد. ورفض أحمد طه الانضمام إلى التجمع. وتوجهنا إلى المناضل الصالي «هناوي» الذي كان عضواً في مجلس الشعب (رحمه الله). ولم يترد في القبول، ولكنه طلب إجابة على سؤال واحد... (هل ستتدخل الحكومة ضد إسقاطه إذا انضم للتجمع في الانتخابات القادمة بعد أشهر قليلة، وكان سؤاله منطقياً واتصل بالمهندس سيد مرعي من مكتبه. ورد عليه أن انضمامه لنشر شرعي لن يترتب عليه صدور قرار بإسقاطه في انتخابات مجلس الشعب. وهكذا استكملنا الشروط، ووافق الاجتماع المشترك على قيام تنظيم التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» في ٢٩ أبريل، رغم اعتراض ١٤ عضواً على المطالبة بالإقرار القانوني بحق الإضراب السلمي، ورفضوا عضوين على «الاشتراكية العلمية».

ومع انعقاد الجمعية التأسيسية الأولى في ١٠ أبريل ١٩٧٦ واجهنا مشكلة ثانية. كنت قد لاحظت أثناء الجهد الأولي لتكوين المنبر وبعد أن اتسع عدد المشاركين في الاجتماعات أن بعض العبارات اليسارية المتصلة بالحكم وبالسادات شخصياً تفرس على تنمية التيار الماركسي داخل المنبر وتضيي صيغة ماركسية. وكان هذا الاتجاه يتناقض مع قناعات غالبية المشاركين في هذه الاجتماعات، وفي مقدمتهم الماركسيون. وقرر البعض هذه الدعوة بأن هناك من أعطوا وعداً للسادات بأن يكون المنبر ماركسياً في الأساس ويبدل للتحزب والنضال الشيوعي التي أعادت تكوين نفسها بعد مايو ١٩٧١ ومارست معارضة جلوية للسادات وسياساته، خاصة والحزب الشيوعي المصري. وكان المرحوم «عبد الرحمن الشراوي» من دعاة أن يكون المنبر «ماركسياً»، واستمر النقاش معه طويلاً، وترقب النقاش بعد سفر الشراوي مع السادات إلى أوروبا ضمن الوفد الصحفي المرافق للرئيس.

وبعد الإعلان عن قيام المنبر، بادروا إلى تكوين هيئة تأسيسية تم اختيارها طبقاً لشروط موضوعية من ضمن الآلاف الذين انضروا للتجمع في الأسابيع الأولى من قيامه. فجلس لحضور هذه الهيئة التأسيسية كل من له صفة تقيمية. أعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية، أعضاء مجالس إدارات النقابات المهنية والاتحاد العام للعمال والنقابات العمالية، الشخصيات العامة البارزة من السياسيين والقادة النقابيين والكتاب والصحفيين وأساقفة الجامعات والقيادات النسائية والشبابية... وبلغ عددهم ١٣٣ عضواً.

واعترض أحمد حسيوني في هذا الاجتماع على انتخاب السكرتارية العامة المؤقتة من ٣٩ عضواً، وطلب التأجيل، وكان الهدف انتظار عودة عبد الرحمن الشراوي. ولكننا كنا مصرين على التشكيل القوي ويشكل ديمقراطياً خاصة والهجوم على التجمع بدأ بمجرد الإعلان عن قيامه ووصل إلى مستوى خطير من الحدة وتلقين الاتهامات في الأسابيع الأولى من تأسيسه.

وهكذا ولدت أول قيادة ديمقراطية للتجمع قتل كل التيارات والأجيال اليسار/ العدد/ الرابع والسبعين/ أبريل ١٩٩٦/ ١٥



خالد يتحدث مع حسين عبد الرزاق

«محمد إدريس» وأربعة من أعضاء اللجنة المركزية من التلويبية (محمد عبد الصميع - علي طلفان - عهد طنطاوي - محمود محمد غريبي)... وكان يقتضينا شخص واحد لاستكمال شرط المشرة... واجه المنبر الناصري عجزاً أكبر، وبدأت الاتصالات مع مؤسسي المنبر الناصري بقيادة كمال أحمد، وتركز النقاش على مطالبهم أن تكون «الرأية ناصرية»، بمعنى أن يكون المقرر ناصرياً، واقترح كمال أحمد أيضاً أن يضاف كلمة الوحدوي إلى «المنبر الوطني التقدمي» وأن يكون تجميعاً، أي اسمه «التجمع الوطني التقدمي الوحدوي» ووافقنا على هذا الاقتراح الجيد، ودار حوار ونقاش طويل حول الاقتراح الأول. كان كمال أحمد يصر على أن يكون المقرر باعتبار أن الناصريين هم الغالبية والتهار الأكبر. وكان المؤسسون الآخرون يتسككون بمخالفه معنى الدين مقرراً باعتباري شخصية تجمع عليها كل التيارات والشخصيات ولها وجود في المجتمع وبين الجماهير وتاريخ معروف وتجارب مع الجميع ويقلل الجميع بقباحتها ثقة في تغييره عنهم وعلم انتحازه لتيار أو فصيل، بينما كمال أحمد لم يسمع أن تعامل مع أغلب المؤسسين ولا توجد معه تجارب مشتركة، واسم جديد على الحياة السياسية والرأي العام.

وكان يمكن تجاوز هذه المشكلة لو كان المطروح هو الصديق كمال وفعت رحمه الله، ولكن الشروط التي وضعها الاتحاد الاشتراكي لم تكن تنطبق عليه.

وتثبت كمال أحمد باقتراحه لانتا الأنظار أن مصطفى كامل كان زعيماً مصر وهو شاب صغير السن، وأعلن انسحابه ومن كانا معه من الشباب الناصري. ولم يؤد انسحابه إلى غياب الناصريين عن التجمع فقد شارك في التأسيس مجموعة لامعة من الناصريين أذكر منهم «محمد عودة - محمود المراني - لطفى محمود - عبد الصبور عبد النجم - عبد العظيم الحشيش -

والمدارس، وتولت صيغة التجمع المحاسبية المعروفة **والتاريخيون** - **الماركسيون** - **الاشتراكيون الديمقراطيون** - **القوميون** - **التيار الديني المستعصر**.

وقد مارسنا الاستقلالية منذ اللحظة الأولى. وتصرفنا كحزب مستقل. مما أدى إلى وقوع صدامات عديدة بيننا وبين السادات، بدأت في الأسابيع الأربعة بمناسبة الذكرى السنوية. ثم بمناسبة موقف التجمع المساند للثورة الفلسطينية في لبنان (يوليو ١٩٧٦)، فأعلن الحزب تأييده لإضراب عمال النقل العام الذي شل الحياة في القاهرة عقب إعلان إعادة انتخاب السادات رئيساً للجمهورية بأغلبية ساحقة. وصولاً إلى انتفاضة ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، وزيارة القدس واتفاقيات كامب ديفيد.

وهناك سر لا يعرفه أعضاء الحزب.. أنه بمجرد إعلان قيام التظاهرات الثلاثة وضع الاتحاد الاشتراكي قواعد صارمة للحركة، وطالب كل تنظيم بأن يسلم الاتحاد الاشتراكي كشوف عضويته والمستقلين في كل مقراته وأن يبلغ بتحرركات الحزب أولاً بأول، وقد وضعت هذه التعليمات في مكتبتي ولم أبلغ بها أحداً، واتقنا أنها قرارات ليست للتنفيذ، ولم نعمل بها وتصرفنا باستقلالية كاملة حتى فرضنا في النهاية التحول إلى أحزاب سياسية مستقلة.

أخطأنا تقدير المزاج الجماهيري

• حده التجمع عند قيامه عام ١٩٧٦ مجسداً من الاتحاد.. ماذا تحقق منها حتى الآن.. وماذا عجز عن تحقيقه.. بمبادرة أخرى ماضى إنجازات التجمع وإخفاقاته؟

وماهى الأسباب كما تراها من مرفعه كترسي لحزب التجمع؟

• كان لنا ثلاثة أهداف مترابطة

الهدف الأساسى والاشتراكي.. إذا جاز التعبير.. هو وقف الردة عن ثورة ٢٣ يوليو والتراجع عن إنجازاتها التقدمية . والهدف الثانى.. تأكيد التعددية السياسية والحزبية والإقرار بحق كل القوى والتيارات في تشكيل أزمائها المستقلة . الهدف الثالث.. توضيح العلاقة والترابط بين القضية الوطنية والنضال الوطنى والقضية الاجتماعية والكفاح من أجل العدالة .

ولأسباب عديدة سائعت لى بعد قليل فلم نتجس في وقف الردة عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. ومن واجبتنا الاعتراف بذلك. صحيح أننا قاومنا هذه الردة ببسالة وعظمتنا انتفاع الحكم لتصفية منجزات الثورة طويلاً، وأجبرنا طرال عشرين عاماً على تأجيل بعض خطراته وقراراته، إلا أننا لم نستطع وقف التحول من النظام المادى للاستعمار والصهيونية المتطلع إلى العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة والتنمية المستقلة وتقريب الفراق بين الطبقات . المنحاز للصهيونيين من عمال زراعيين وموظفين ورأسمالية وطنية منتجة غير مستقلة.. إلى نظام الردة الذى يمحى مبادئه الإنسانية اليوم . أما الهدفان الثانى والثالث فقد قطعنا شوطاً لا بأس به في تحقيقهما

فهناك - إلى حد ما - درجة من التعددية السياسية والحزبية، وكثير من القوى التي كانت محجوبة عن الشرعية أقامت أزمائها، وهناك قناعة لدى الرأي العام باستحالة الديمقراطية بدون تعددية سياسية وحزبية حقيقية، وإمكانية واقعية للتداول السلس للسلطة .

أيضاً هناك وعي لدى الشعب المصرى أنه يستحيل تحقيق العدل الاجتماعى إذا غاب الاستقلال الوطنى الاقتصادى والسياسى والعسكرى، وأى أساس بالاستقلال الوطنى يؤدى إلى طمس الاجتماعى. وإذا حاولنا أن نفسر العوامل التي أدت إلى عجزنا عن وقف الردة، فستواجه، مجسرة من الأسباب.

- منها سيطرة قوى الردة على أجهزة الدولة والإعلام والصحافة، واستخدام هذه الأجهزة في إعادة صياغة قنوات ومقولات المواطنين، وفي تنفيذ السياسات التي تريدها .

- الحصار الذى فرض على حزب التجمع والحملات التى شنت عليه واتهمته بالعمالة للاتحاد السوفيتى ومهادته للدين واتهمت قاداته بالكفر والإلحاد . وعارساته بالإثارة والتخريب على الفرضى والتخريب والسعى لتكوين ميليشيات عسكرية «عندما دعا الحزب لفتح طرق للدفاع عن الثورة الفلسطينية». وساهم في هذه الحملة رئيس الجمهورية الراحل (أنور السادات) ورئيس الوزراء والصحف القومية ورؤساء التحرير وخلفاء المساجد . الخ. وبعد أحداث ١٨ و١٩ يناير اعتقل ٤٤٠ من قادة وأعضاء الحزب وقلد ٤٦ منهم للحاكمية (حكم ببرائتهم جميعاً بعد ذلك) بتهمة التخريب على التخريب. وقد بلغ هذا الحصار قمته بعد انتخابات ٧٦ وانتفاضة يناير ١٩٧٧ ومعاهدة الصلح ١٩٧٩. واستمرار الحصار والهجوم بعمليات وأشكال مختلفة في الثمانينات أيضاً.

- في ظل هذه السيطرة لقوى الردة على أجهزة الدولة، والحملة ضد التجمع، أو مواقفها المبدئية التي اتخذها في قضايا عديدة أساسية، نجح السادات في إقامة حاجز بيننا وبين الجماهير في مرحلة فاصلة في تاريخ مصر .

لبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وسياسات الجديدة للحكم، شن السادات ونظامه حملة ضد الاتحاد السوفيتى بحجة تخليه عنا وعدم مساعدته لنا. واستغل الحكم الإزهاق الذى كان يعانيه الناس، وروج أن تغير علاقاتنا الدولية والتوجه إلى أمريكا سيؤدى إلى تحقيق السلام والرخاء . ثم انتقل إلى مقولة إن الصلح مع إسرائيل هو الطريق للسلام والرخاء.. وقتلنا ضد هذه السياسة، وعارضنا زيارته للقدس، والارتقاء في أحضان أمريكا، وكان هذا موقف واضح صحيح، أقيمت الأيام صحته.. فبعد كل ما قم لم يحقق السلام ولم يأت الرخاء.

ولكن في حينها كان المواطنون مستعدين لتصديق ما يقوله السادات والتعلق بالحلم. كانوا مقتنعين أن العلاقة مع أمريكا ستؤدى إلى الرخاء.. وانتهى الجرح .

وظهر اقتناع الناس بجميع السادات وموقفه والحلم الذى روج له واضحا، في استقبال الرئيس الأمريكى تسكون. ثم استقبال



خالد محي الدين يتحدث في مجلس الشعب إلى جواره نواب التجمع
لطفى واكد والدمري لغزالي وعبد العزيز شهبان

رفضنا برنامج الحكومة داخل مجلس الشعب ورفضنا كافة القوانين المقيدة للحريات وصوتنا ضد ترشيح الرئيس مبارك لفترة ثالثة

شركاء لنا في المعارضة بعد أن أسسوا والحزب العربي الديمقراطي
الناصرى» عام ١٩٩٧.

ولكن هذا المناخ الناقد للحزب سابق على عام ١٩٩٢، بل سابق
على دخولنا لمجلس الشعب عام ١٩٩٠ وتحمل مسئوليتنا في المعارضة
داخل المجلس.

الأمر الواضح أن هذه الأتاول بدأت بوضوح مع التغييرات
التي حدثت في الأقاليم بدءاً من تغيير رئاسة التحرير في
يونيه ١٩٨٨.

ماحدث ليس انقلاب التجمع من موقع المعارضة الجبلية
إلى مواقع أخرى. ولكنه تغيير في أسلوب المعارضة فرشته
الظروف الموضوعية، وتغيير في بعض المواقف نتيجة تغير في علاقات
القرى .

كان التجمع منذ بدايته يطرح بديلاً مختلفاً عن النظام القائم، وهو
البديل الاشتراكي. ورغم أننا كنا حزبا حديث التأسيس ومحاصر
وتعرض لحملات متتالية من الحكم ، فقد كان هناك صبرة لهذا البديل
لدى الرأي العام. تمتحنا قوة .

كانت هناك التجربة الناصرية منذ عام ١٩٦١ و١٩٦٤. وهناك
أيضا التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي. مجتمع آخر يقدم
صورة للملك الاجتماعي، وتجربة أخرى تعطي أملا في الخلاص من
المنهج الرأسمالي والاستغلال والتخلف. كانت الناس في ظل الامانة
والقتل في النظام الرأسمالي التخلف في العالم الثالث، تبحث عن نظام
آخر وتجربة أخرى .

ولكن مع تراجع التجربة الناصرية والحملة عليها
وتشويهها منذ مايو ١٩٧١... ثم تدهور موقف الاتحاد

السادات بعد زيارته للقسم المحتلة ولقائه ببيجين .

ونحن كقيادة سياسية لم نلقد تقديرا صحيحا الزواج
الجماهيري ومدى تطلع الرأي العام للسلام.

صحيح أن الرضا لم يأت ولا السلام حتى الآن. وأن ما كان يعانيه
الناس وانها لا يثقون بما نحن فيه الآن، وأن هذا الانفتاح والتأييد تراجع
في ظل اكتشاف هذا الروم وعدم تحقيق الرضا المزعوم، ومن ثم التمنت
الجماهير يكذب ما كان يقال لهم من الحكم، وبدأت الناس تستمع إلى ما
نقلوه وتصدقوه وتعترف بصحة مراقبتنا ضد سياسات السادات واتفاقيات
كامب ديفيد... ولكن هذا تم بعد سنوات، وبعد أن عانينا العزلة فترة
صعبة، وأتذكر أنه في انتخابات ١٩٧٩ لم تكن نستطيع أن نقول رأينا
بقوة ضد كامب ديفيد. لأن الناس لم تكن مستعدة للاستماع لنا، وليس
لأن القانون جرم أي هجوم على المعاهدة.

نعارض بأسلوب أقل حدة

* هناك إحساس لدى قطاعات في المجتمع -

وداخل التجمع أيضا - أن حزب التجمع لم يعد هو
حزب المعارضة الجبلية الذي كانه في السبعينات
وبداية الثمانينات... بل وصل البعض إلى الحديث
عن تقارب غير معلل مع الحزب الوطني الحاكم
وتهادن مع الحكم ما هو وهم على هذا القول...؟
وماهى في تقديرهم أسباب هذا المناخ المحيط
بالتجمع هذه الأيام، أو هذه الاتهام؟

هو هذا المناخ موجود بالفعل وفيه قدر من الصحة.

ماهر غير صحيح أننا لاتعارض معارضة جذرية، ونحن مازلنا
معارضة جذرية ولكننا لم نعد المعارضة الجبلية الوحيدة، أصبح الناصريون

هدفنا الأول كان وقف الردة عن

ثورة ٢٣ يوليو .. ولم ننجح في ذلك



والناصرين والشيوعيين والاخوان المسلمين في تأسيس أحزابهم. بما اقنع الناس بأن التجمع حزب ديمقراطي حقيقي .

كذلك كان موقفنا الصلب في معارضة كاتب ديبليد ومعاهدة الصلح بين الحكومة المصرية والحكومة الإسرائيلية. فأكبرنا لموقفنا الوطني.

وأخيرا برتاجنا الذي وضع الحزب على الخريطة السياسية كحزب الشعباني الديمقراطي.

هذه الحقائق الأربع أكنت لدى الرأي العام أن حزبتا هوية خاصة به، وأنه استعصار للتراث الوطني المصري، وليس تكرارا لأي تجربة أو نموذج آخر. وهو أمر يحدد لمؤسسي الحزب والذين حصلوا مسئولية القيادة في هذه الظروف الصعبة .

في ضوء الحقائق الراقية وما جرى على الساحة الداخلية والعالمية والتغير في موازين القوى، كان لابد من تعديل بعض المواقف، وتغيير أسلوب المعارضة .

لقد عارضتنا دائما بقوة وموضوعية. ويعبر موقفنا لم يتغير. في مرحلة كان ما يشغلنا أساسا هو تسجيل المواقف.

الآن مع تسجيل المواقف، نحرص على التأثير في المجتمع - نعارض بأسلوب أقل حدة بحيث لا يتحد. من

السوقية وصورته وصولا إلى الاتهام والتفكك والاختفاء من الخريطة، ثم بعد ذلك أمل في بديل، ولو إلى حين.

ولعلنا نتذكر أن هذا الاتهام لم يتم في يوم وليلة، فمراحل التراجع والفشل برزت في الثمانينات، وتحديدًا في النصف الثاني منها، إلى أن تم الاتهام عام ١٩٩٠ .

ومع الاتهام أصبح هناك شك في إمكانية إقامة نظام بديل ناجح للنظام الرأسمالي .

وإذا كان الناس في روسيا ودول الكومنولث وأوروبا الشرقية يترحمون اليوم على الأيام الماضية وعلى التجربة السوفيتية، فإن الأمر في ذلك الحين كان مختلفا.

ولقد قام ربط خاطيء بين التجمع والماركسية والاتحاد السوفيتي في أذهان الناس، وليس له صلة بالحقائق. وهنا بدأ التجمع كبديل وكقوة معارضة جذرية يتراجع في نظر قطاعات من الرأي العام. وراح أن التجمع -سهما كانت معارضته وجبرتها - ليس له تحقيق شيئا في الواقع .

في الحقيقة كان هناك خطر أن ينتهي التجمع ويقتد جماهيرته قواما في ظل هذا الربط الخاطيء، وقدان أي ثقة في البديل، لولا أن التجمع حرص منذ البداية على استقلاله الفكري والنفطسي وعلى هويته الخاصة، ولم يكن أبدا لوجها مكررا لأي تجربة أو حزب، خاصة التجربة السوفيتية .

كان لدى التجمع - رغم هذه الظروف المعاكسة - محليا وعالميا أريج عجزت جعلته يسقط البقا والاستمرار وأن يظل قوة فاعلة في الواقع المصري اليوم .

أول هذه الميزات أن التجمع كان واجعا وحاسما في موقفه من العقيدة الدينية والعقدين، فأكد في أدبياته وممارساته أن الإيمان بالاديان السواسية من حيث هي نظام إلى جأ -إسعاد الناس، وفهمها في ضوء العقل والاجتهاد، هو طاقة خلقة تسهم في تنمية المجتمع وتحرره من الاستعمار والاستغلال والظلم والتخلف والتعلل .. وأن القيم البنيوية الصحيحة التي يستمد منها الإنسان من الدين قد صارت جزءا لا يتجزأ من تراثنا الحضاري.

ثاني هذه الميزات إصرار الحزب ودفاعه عن حق كل القوى في إقامة أحزابها المستقلة، وقياهه بدور على دافعا عن حق الولدين

وعلى صحيح أن هذه الحوادث تدور بين تيارين محددين يرتبطان بشخصيهما..

التيار الأول يرى أن التعديلات الدولية والعربية والإقليمية أدت إلى اختلال في موازن القوى لغير صالح اليسار الذي يمر حالياً بفترة ضعف نسبي. ومن الخطأ في عقل هذه الأوساط، طرح شعارات تتجاوز قوته وخوض معارك في غير أوانها، وإذا كان صحيحاً أننا تواجه بديلين أو خطرين يمثلان في سياسات الحكم، والقوى الطلابية المتصاعدة بالدين فإن الخطر الحالي والأساسي هو خطر هذه الجماعات. وفي ظل عدم واقعية طرح البديل الثالث الديمقراطي حالياً باعتباره فكرة للمستقبل وليس للحاضر، فلا بد من التصدي للخطر الحالي، والتعامل مع الحكم بشكل مختلف.. الخ.

التيار الثاني .. يرى أن البديل الديمقراطي لا يمكن أن يكون واقعياً إذا سلطنا بالأمر الواقع، فلا بد من مبادرات شعبية تؤدي إلى برز هذا البديل وتحوله من فكرة مستقبلية إلى واقع معاش. وإذا كان هناك تراجع لليسار على المستوى العالمي والعربي، فإن الواقع المصري والتناقضات الاجتماعية والطبقية الحادة التي تسبب بها، تخلق أرضية موضوعية لليسار المصري وعلى القلب منه التجمع.. وأن مواجهة خطر القوى الطلابية يبدأ بمراجعة سياسات الحكم التي مهدت لظهوره ونفذه وجرده وتصاعده.. وتخلق قوى البديل الثالث والتي تضم اليسار والقوى الليبرالية السياسية والقوى الديمقراطية وتصدبه لهذه السياسات ولاطروحات الجماعات المتصاعدة بالدين.. الخ.

هناك كل ما قلته صحيح ومجرد داخل التجمع.. فالتياران يعيشان معاً، ويتصارعان ولا يستطيع أيهما أن يحسم المعركة لصالحه، لأن المعركة غير محسومة في الشارع.

هناك من يرى أن معركتنا ضد الحكم وسياساته قائمة ومستمرة، لكننا تواجه الآن ظاهرة جديدة - ظاهرة الإرهاب - يستحيل تجاهلها، ولابد من إعطاء مراجعتها الأولوية في خطوات معينة. قد يكون خطر الإرهاب قد تراجع نسبياً في الوقت الحاضر ولم تعد معركته على نفس الحدة التي كانت عليها منذ ٣ سنوات، ولكن خطره ما زال قائماً إلى جانب خطر سياسات الحكم.

وهناك أيضاً التيار الثاني الذي شرحت رؤيته.

وفي تقديرى أن التيار الأول تيار عملي واقعي أساساً، ومبني في نفس الوقت، لكنه يعلى الجانب العملي في

نقطة ضعفنا كأحزاب

سياسية.. العجز

عن تكسير القيود

المفروضة علينا

وتخطى الإطار

الذي حدده الحكم

مواقف الناس ولا تنزل عن حركتها، وتكون أكثر قبولاً من التجمع.

وأولنا الآن في المعارضة هو الذي جعل وجودنا في مجلس الشعب عام ١٩٩٠، ثم عام ١٩٩٥ ممكناً، رغم طبيعة الانتخابات في مصر، وإن كان هذا الأسلوب جعل بعض الناس تنكر علينا أننا حزب المعارضة الجذرية والبديل.

الصراع داخل التجمع

يلاحظ المراقب المحايد أن هناك أكثر من قضية محورية يفرد حولها شد وجذب داخل التجمع..

القضية الأولى الموقف من الحكم.

القضية الثانية الموقف من قوى الإسلام

السياسي وتحديدنا من الإخوان المسلمين.

القضية الثالثة الموقف من التنسوق والعمل

المشترك مع أحزاب المعارضة، بما في ذلك الموقف

من التحالف اليساري (أو الاشتراكي) بين التجمع

والتنصيري والشوعيين.

القضية الرابعة، الموقف من القضية الوطنية

وحل الصراع العربي الإسرائيلي واتفاقيات

التصوية الأخيرة.

ما هي طبيعة الخلافات حول هذه القضايا..

وقفنا ضد سياسة السادات وزيارة القدس

واتفاقيات كامب ديفيد .. وكان موقفنا صحيحا

ولكنه عزلنا عن الجماهير

وتجنب للحدود واللغة في الصراع. وحرص على الوحدة التنظيمية لماذا؟

هو السبب الأساسي هو التزامنا بالديمقراطية الداخلية. تصردنا باستمرار أن لا يصدر قرار لا يحظى بأغلبية كبيرة إن لم يكن بالإجماع. فبعد مناقشة أي مشروع في الأمانة المركزية أو الأمانة العامة أو اللجنة المركزية، ويظهر من النقاش أنه لا يوجد قرار يحظى بأغلبية واضحة لا نلجأ للتصويت. هذا تراث ديمقراطي. فالحياة تقيد في فترات معينة هذا الرأي، ثم تعود في فترة أخرى لتأييد الرأي الآخر. الحياة تثبت أن للرأيين وجود وسداد. من هنا التماشي وتجنب التصويت في أحيان كثيرة.

وقيادة الحزب بمثابة في الأمانة المركزية حرصت على عدم طشر الحزب بالإصرار دائما على التصويت، إلا في المسائل الضرورية التي لا تقبل التأجيل أو التي لا يمكن اللجوء فيها لحل وسط. وإذا اضطررنا للحسم فالأغلبية تخضع لقرار الأغلبية وتستمر في نشاطها نتيجة للتجربة الطويلة في العمل المشترك داخل المجتمع.

السبب الثاني أن الخلاف داخل التجمع ليس خلافا تياريا أو فصائليا فهناك خلافات واجتهادات داخل الماركسيين، وداخل الناصريين. وبين كافة تيارات التجمع. أي أن الانقسام أو الخلاف في الرأي لا يترجم على أساس تيارى أو أيديولوجى. وهو أيضا ليس خلافا بين مستويات تنظيمية. بل موجود في كل المستويات تقريبا بدرجة أو أخرى.

وهو ليس انقساماً بين الأجيال لكل تيار أنصاره من كل الأجيال.

والسبب الثالث غياب أي عامل خارجي مؤثر. فتجربة التجمع والاحترام الذي اكتسبه محلياً وخارجياً جعل الجميع يدرك بوضوح استحالة التسلل أو التأثير في صفوفه.

سلطات رفعت السمع

• رغم التسليم بحجم الديمقراطية الداخلية في الحزب، فالبعض يرى أن هذه الديمقراطية معطلة

لتفكيره وحركته.

بينما التيار الثاني مهني أساساً، تيار مهني وعلمي، ولكنه يعطى المواقف المهنية الأولية.

والتياران موجودان في التجمع باستمرار ومنذ نشأته، وهو أمر طبيعي.

وما دام التيار الأول يركز على خطر الإرهاب ومقاومته، فمن الضروري أن يسمي لملكات مع الحكم تختلف عن العلاقة قبل بروز خطر الإرهاب، وهذا لا يعني إطلافاً التحالف مع الحكم. نحن لم نتحالف معه، بل دليل أننا كنا في موقع المعارضة من سياساته، في السنوات الخمس (١٩٩٠-١٩٩٥) التي دخلنا فيها مجلس الشعب بعد إيماننا عنه قسراً لمدة ١١ عاماً متصلة (من ٧٩-١٩٩٠). ولعلنا برنامج الحكومة خمس سنوات متصلة، رفضنا قانون قطاع الأعمال، والقانون ١٥٠ الخاص بالتقاعديات المهنية، وقانون اغتصاب الصحافة (٩٣ لسنة ١٩٩٥) وقانون الإرهاب.. و.. و.. وصوتنا ضد ترشيح الرئيس مبارك لمدة ورئاسة ثانية، وكنا الحزب الوحيد الذي اتخذ هذا الموقف داخل البرلمان منذ بدء التعددية الحزبية.

إن موقفنا واضح، فنقدر خوفنا على المجتمع من الإرهاب، بقدر خوفنا عليه من سياسات الحكم التي أغرت الناس وتقدمهم، إلى المجرع وبالتالي تساهم في انتشار الإرهاب.. ولكن مقاومة سياسات الإفقار وتزوير الحكم للاشتباكات أمر يمكن مهما استغرق من وقت، أما إذا وصل الإرهاب إلى السلطة فلن يكون هناك وقت للمواجهة. وكما قلت فالتياران موجودان داخل التجمع، وكلاهما لا يسعى للدخول في مواجهة حاسمة، وحرصان على التماشي معها.

تجنب التصويت

• هذا يقودنا إلى سؤال آخر..

في الوقت الذي أدت خلافات مثل هذه أو أقل إلى انشقاقات وانقسامات داخل العديد من الأحزاب، فالجميع يكاد يكون استثناء من هذه الظاهرة، فهناك تماشي وطريق دائم للحوار بين التيارات

فؤاد مرسى واسماعيل

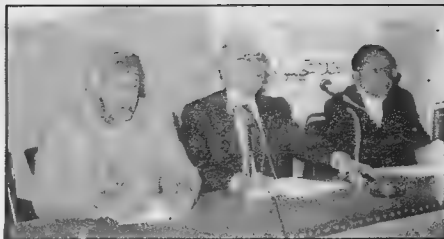
صبرى وحسين فهمى

ورفعت السعيد..

وخالد محبى الدين

المجموعة الأولى

المؤسسة للتجمع



تخفروا من مسئولياتهم التنظيمية ودروهم القهاري، ونفس الشيء سجلت بالنسبة لى ورفعت السعيد. فلن نتغلى أبداً عن التجمع ما دمتنا أحياء. وإذا تركنا مراعفتنا فالتجمع غنى بالخبرات والتجارب والشخصيات القيادية والممارسة السياسية والدلالة على الالتزام بالمبدأ والمرونة فى نفس الوقت .

فى يوم ما ستركه خالد محبى الدين ورفعت السعيد المسئوليات التنظيمية، وسيكون ذلك أختباراً حقيقياً للتجمع.. ولكنى مطمئن أن التجمع سيبقى وسيصير للأمام لأن هناك تراث. فالذين عاشوا معنا ٢٠ عاماً من التضال دون أن يعانون من انقسام أو انشقاق أو تفكك لا يمكن أن يتفكروا أو يتراجعوا فى أى طرف.

وإذا كنا لم نكسر خلال هذه السنوات فتلك قضية أخرى... سببها هو المصاعب المادية، فلما تفرقت للتجمع قدرات مالية أكبر من الحالية خلقنا تطلعا كبيرا. فكل ما نحتاجه نشاط تنظيمي وإعلامي وثقافي وتنظيمي أكبر. وما يتقيد حركتنا هو المال .

حزب اشتراكي ديمقراطي

* ماهى توقعاتك للتجمع حتى نهاية هذا

القرن ؟

به أعتقد أن أهم عمل سيقوم به التجمع خلال السنوات الأربع القادمة، هو ترسيخ وجوده كقوة اشتراكية ديمقراطية . علينا نحن حزب اشتراكي ديمقراطي. ولكننا مبرطين فى أذهان الناس بالماركسية اللينينية.. لابد من حسم هذا الموقف ليتقدم التجمع كحزب اشتراكي ديمقراطي معاد للاستعمار والصهيونية وليس حزبا اشتراكيا على النمط الأوروبي. فالظروف مختلفة.

هيكل والأحزاب

* السؤال الأخير يدور حول ما قاله محمد حنين هيكل فى حديثه الأخير معى الذى نشر باليسار فى العدد الماضى..

لقد اتهم هيكل الأحزاب السياسية بالإفلاس الفكرى والجاهليى وأنها لا تملك بئالاً أو رقى وتطلب التضال بطرق الصدقة، وأقصى ما يطمح إليه أى حزب من

جزئها نتيجة الشخصية الكاريزماتية خالد محبى الدين، وتركيز سلطات عديدة فى يد د. رفعت السعيد، فهو الأمين العام بكل صلاحياته للاتحاد، وله نفوذ واضح على الأهالى، وسيطرة على الترابح المالية، وأن هذا الوضع أدى إلى وجود فرق ملموس بين الخط السياسى المكتوب والمطبق عليه، وبين الخط السياسى الممارس، سواء فى الأهالى . أو تصريحات قادة الحزب لأجهزة الإعلان والصحافة، أو فى مجلس الشعب .

به هذا صحيح.. فهل يريدون حزبا يهبط من السماء... ملالة بيهض بلا نجاح..

دورى فى الحزب ناتج عن وضع تاريخي، وعن ثقافة كافة تياراته وقياداته وأهميته ويجرى فى الحزب. وقيادته وكما يقولون فوجود خالد محبى الدين فرصة تاريخية لليسار والتجمع، خطفأ أحيانا فيقتبل له خطفأ.

فى السنوات الأخيرة، وظروف السن لم يعد لدى التلدة المسيحية للتنام بمسؤوليات كأمين عام بنفس الجدية والنشاط السابق وكان الحل أن أصبح رئيسا للحزب وأن أعطي جزءا من مسئوليات المرفقة لرفعت السعيد الذى أصبح أميناً عاماً .

أما بالنسبة للفظ المكتوب والممارسة، فشى طبيعى فى أى حزب سياسى أن توجد فروق بين السياسة المكتوبة والممارسة السياسية، فالخبرة دائما أغنى من النصص.

* أسعد خالد.. فى السنوات الأخيرة تركه المستويات القيادية للتجمع عدد من أبرز وألغ قيادته - وأن كانوا ما زلوا أعضاء فى الحزب وساهموا فى نشاطاته - مثل د. اسماعيل صبرى عبد الله - د. ابراهيم سعد الدين - ولطفى الحرقلى..

ماهر مستقبل التجمع بعد أن يتتركه خالد محبى الدين ورفعت السعيد مراعفهم القيادية؟ به الأصدقاء الذين أشرت إليهم لم يتفكروا الحزب كما قلت وإن



دافعنا عن حق الوفديين والناصرين والشيوعيين والإخوان المسلمين فى تأسيس أحزابهم المشتركة

المواطن، وبالتالى على جماهيرها.

هناك عشرات ومئات الشخصيات اليسارية والوطنية الجماهيرية المهمة لم تنضم للجمعية نتيجة لثناخ العدا، والمطاردة لأعضاء الأحزاب السياسية، فمثلا هناك قرار بإحالة الحكم بمنع تولي أى استاذ جامعى ينضم للجمعية - مهما كانت كفاءته وأخلاقه - من تولي منصب العميد أو وكيل الكلية. والأشئلة كثيرة ومعروفة.

كلام هيكل فى هذا النطاق صحيح. ولكنى أختلف معه بالنسبة للبرنامج والروية المستقبلية، وأزعم أن حزبنا «الجمعية الوطنى التقدمى الرئاسى» - قد يكون الحزب الوحيد- الذى يملك رؤية وبرنامجا وتصورا لنهاية هذا القرن على الأقل ولعشر سنوات قادمة، مسطور فى «برنامجنا للتغيير» الذى أصدرناه فى فبراير ١٩٩٢، وأعتقد أن هيكل لم يقرأه، وأرجو أن ترسل له نسخة منه.

لقد تناول هذا البرنامج المختصر رؤية واضحة لكل مشاكلنا وقضايانا من تطوير نظام الضرائب، ونظم التأمينات الاجتماعية، والأجور، وعلاقات العمل، والعلاقات الإيجارية، ونظم الزراعة، والتعاون والتخطيط الزراعى، والحقن الديمقراطية المدنية والاجتماعية والسياسية، وإصلاح النظام الانتخابى، وبرنامج مواجهة الفساد والانحراف، وحماية الصناعة والتنمية البشرية والمرأة والطفل والإسكان، ومواجهة الإغراب وحماية المصالح القومية.. الخ.

وسيمكن على المؤتمر الرابع للحزب الذى تأمل فى عقده خلال عام ١٩٩٧ أن يضع برنامجا استراتيجيا جديدا تعدد فيه القضايا الجوهريه مثل نوع الاشتراكية التى نريدها لوطنتا.

على كل قد يكون مقبولا إجراء حوار مع الاستاذ هيكل بعد أن يقرأ برنامجنا للتغيير. وليس لى أى اعتراض على رأى هيكل الذى يخالف رأينا فى التجمع.

الأحزاب المعارضة، هو التفاهم مع الحكومة. أين تغلق وأين تفتتح مع هذا القول؟

مع تداول السلطة فى الوقت الحاضر قضية مبدئية مستقبلية وليس قضية عملية. حاليا لا يمكن لأى حزب أن يحقق التداول. فالحكم يرفض تداول السلطة ويستخدم كل الوسائل والأساليب لاستمرار احتكاره للسلطة، وهو لن يسمح مختارا بتداول السلطة.

مثلا حزبا الذى يتهم بالتعاون مع السلطة، يتعرض أعضاؤه لمطاردة مستمرة فى المحافظات من مباحث أمن الدولة، خاصة الشباب الذين ينضمون للحزب ويأرسلون الحركة فى سجنه، هناك حرص على أن لا يجهده الحزب شبابه، وأن لا يحصل بجماهيره.

هناك إطار محدد سلفا ورسوم لأحزاب المعارضة تتحرك فى إطاره، ولا تسمح السلطة لها بتجاوزوه.

ونقطة ضعفنا هى المعجز عن تخطى هذا الإطار وتكسير القيود المفروضة علينا كأحزاب سياسية، وربما تحتاج إلى عشرين سنة أخرى أو عشر سنوات لتكسير القيود وفرض التداول.

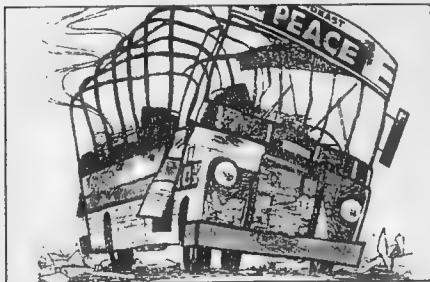
وللأسف فانتخابات مجلس الشعب الأخيرة وماجرى فيها تقلل ترجاعا واضحا عن الهاش الديمقراطى المحدود الذى تحقق لى لفترة سابقة.

وقانون تعيين العميد تراجع آخر. آثار جوا بالغ الرذالة فى الريف. فانتخابات العميد فى السابق كانت تولد مناخا صحيا وديمقراطيا فى القرى.

وقانون تعيين عملاء الكليات، أدى إلى سيادة أجواء غير صحية فى الجامعات، ومثل بدوره ترجاعا آخر عن الديمقراطية.

هناك مناخ غير ديمقراطى قائم وينتشر فى المجتمع المصرى، وتراجع مستمر عن الحيار الديمقراطى ولاشك أن هذه التطورات تؤثر سلبا على الأحزاب السياسية ودورها فى المجتمع، وعلى عضويتها وانضمام

مظاهرة شرم الشيخ واقتراح مدريد



د. عبد العظيم أنيس

هنا أو هناك فتسمع بمرور بعض عربات الاعنبة، لكن عرفت سبيل يروج ويستعطف، وسبيل الإسرائيليين يتحفظون ويتدللون باسم الأمن الإسرائيلي، وأسرائيل تعلم أنها لو أعادت الاتصالات بينها وبين مناطق الحكم الذاتي، فربما تتكرر من جديد الهجمات الانتحارية في إحدى مدنها، ولو حدث هذا فربما يكون بمثابة المسار الأخير في تعفى حزب العمل ويهرز زعنباها.

ولا شك أن الموقف الأمريكي فيما يتعلق بשרم الشيخ وما بعد إنما يرتبط ارتباطا وثيقا بالانتخابات الأمريكية القادمة، وعرصه كلفيتون على كسب أصوات يهود الولايات المتحدة في نوفمبر القادم، وبالتالي فإن إعلان أمريكا عن مواقفها المبدئية ضد العنف والإرهاب لا ينبغي أن

هنا المؤخر قد يشعرها بعض الطمانينة، إلى الوقت الذي يزداد شعورها بأن مستقبلها يرتبط بشكل من الأشكال بمستقبل اتفاقات «السلام» التي أبرمتها إسرائيل مع عرفات والملك حسين، وهي في الحقيقة اتفاقات إذعان. وهذه الفتات الحاكمة ترأهن على انتصار بيريز في الانتخابات، كما كانت ترأهن على اتفاق سلام سوري إسرائيلي، وإن كانت تدرك اليوم أن هذا أمر مستحيل لا قبل الانتخابات الإسرائيلية ولا الانتخابات الأمريكية في نوفمبر القادم.

وفي رأيي أن عرفات وسلطته «الوطنية» كانا أقل الأطراف مكسبا من هذا المؤخر. فالأحداث الأخيرة قبل المؤخر- من جانب عرفات ومن جانب إسرائيل- قد أوضحت حجمه ودوره الحقيقي المطلوب منه أن يتقدم -وقد قام بتقدمه- وهو بهذه الإجراءات يزداد عزلة عن الشعب الفلسطيني والمؤخر لم يصنع له شيئا كثيرا في محنته، فالفتات الحقيقية في يد إسرائيل، وقد تتساحل

المؤخر الدولي الذي انعقد في شرم الشيخ في ١٣ مارس الماضي، لم يكن في رأيي أكثر من مظاهرة سياسية أمريكية القيادة، قصد من ورائها في المحل الأول دعم مركز بيريز في الانتخابات الإسرائيلية القادمة بعد ما اهتز هذا المركز كثيرا بفعل الانفجارات التي وقعت في القدس وعلى أبيب وعسقلان وأدت إلى مصرع ٦٨ إسرائيليا وإصابة المئات. أما الإجراءات الأمنية المشتركة بين إسرائيل والولايات المتحدة، والدعم المالي اللازم لهذه الإجراءات، فقد تم الاتفاق عليها بعد ذلك عندما ذهب كلفيتون مع بيريز إلى تل أبيب، أي أنه تم بعيدا عن شرم الشيخ. ففي تل أبيب- لا في شرم الشيخ- أبرم الاتفاق الأمني بين واشنطن والإسرائيليين وأعلن كلفيتون اعتماده لبلغ مائة مليون دولار كدفعة أولى- في تنفيذ هذا الاتفاق.

ولقد تعددت التلميحات في صحف الغرب وأجهزة إعلامه على نتائج شرم الشيخ، ومعظمها تنقل من أسمية نتائج العملية، وتشير إلى عوصمية البهان الختامي، وإلى رفض أوروبا للموقف الإسرائيلي الأمريكي بإذاعة إيران، يزعم أنها التي تقف وراء العنف في الأرض الفلسطينية المحتلة وفي جنوب لبنان.

لكن مؤخر شرم الشيخ كان في أحد جوانبه تعميلا عن حالة الفرع التي تعيش في أجرائها بعض الفتات الحاكمة العربية، خصوصا مصر والأردن، من اتساع العمل الثنائي بقيادة حواس في الأرض الفلسطينية المحتلة، والاعتراف -حتى في إسرائيل- بأنه لا يوجد رد حقيقي على مثل هذه الهجمات الانتحارية. فالفتات الحاكمة العربية تزداد التصاقا بالولايات المتحدة، وبالتالي بإسرائيل، وتزداد طلبا لحماية الغرب لها أزاء انفجارات محتملة لشعبها في المستقبل، ومثل

بأغذه المللون على محبل الجد،
ولما هي تصد «المنف» الذي يعرى
جد إسرائيل فقط.

ولعل أوضح مثال بين أن الدوافع
الانتخابية هي المارك الأول لورف كليتون
هو أن تقارن بين موقفه إزاء
منظمة «حاس» الفلسطينية، وموقفه إزاء
«الجيش الجمهوري» في إيرلندا الشمالية
وجناحه السياسي وشيخ فين» بقيادة
جيمى آدمز. إن المروف للعالم كله أن
الأمريكيين من أصل إيرلندي- ومعظمهم
يتحاطون مع حزب كليتون- يجمعون
الترعات سنويا التي ترقى «الجيش
الجمهوري» الأيرلندي في شراثة السلاح
وقيامه بأعمال العنف في إيرلندا
الشمالية أو في لندن ذاتها. وفي العام
الماضي تمتح أمريكا جيمى آدمز
تأشيرة دخول للولايات المتحدة ومع له
بالتقام جميع الترعات بل واستقبل في البيت
الأبيض استقبالا حافلا.

وحتى اليوم بعد ما أنهى «الجيش
الجمهوري» الأيرلندي إعلان الهدنة للندن،
وقام بتفجير أكبر ناطحة سحاب في لندن
(قدرت الحسارة بنحو ٤٠٠ مليون جنيه
استرليني) وتفجيرات أخرى أصغر في
أماكن أخرى في لندن. وافق كليتون على
منع جيمى آدمز تأشيرة دخول لأمريكا
ورغم معارضة البريطانيين وبغضهم، وإن كان
قد أعلن أنه لن يسمح له بجميع ترعات هذه
المرة ولن يستقبل في البيت الأبيض.

إن المارقة بين موقف كليتون من
عنف «حاس» وموقفه من عنف الجيش
الجمهوري الأيرلندي، إنما تعود إلى حلف
انتخابي واحد، هو كسب «أصوات
الصهاينة» الأمريكيين وأموالهم
الانتخابية إلى جانبهم في نوفمبر
العام، تقاما كمرسه على كسب أصوات
الأمريكيين من ذوى الأصول الأيرلندية يوم
٢٥ سطره ونفزة على الصناعات ودوائر المال
وفي الكونجرس وفي الحزب الديمقراطي ذاته.
يمى تعلق آخر. على مطاهرة هيرم
الصيغ، يتعلق بالسؤال المهم الحقيقي الذي
كان من المفروض أن يناقشه المجتمعون بكل
جديه وواقعية. هذا السؤال: إذا كان العنف
الفلسطيني لا يحل شيئا كما يقولون، وكان
العنف الإسرائيلي المضاد لا يحل شيئا هو
الأخر إزاء الهجمات الانتحارية، كما يشهد
بذلك كافة معلقى القرب ومعلى إسرائيل
أنفسهم، فما هو الطريق إلى سلام حقيقى بين

العرب وإسرائيل؟ سلام يتحقق فيه التقدر
الأكثر من المدلل للشعب الفلسطيني
وللشعوب العربية، وتتصحر فيه قرارات الأمم
المتحدة التاريخية التي أقرت بحق الشعب في
تقرير مصيره على أرضه؟

لقد بدأ يصير خالف من التردد
في التهاء الإجابة على هذا السؤال
بالدعوة التي وجهتها سوريا قبل
المؤقر بأيام بالصل على إحياء مؤقر
مديد مرة أخرى. وفي داخل المؤقر ارتفع
صوتان ينس الفكر. أحدهما صوت يلمصين
والآخر صوت سعده الفصل وزير خارجية
السعودية.

فقال يلمصين وإن الأساس في السلام
في اعتقادي هو الاتجاه السوري-الإسرائيلي
نحو التسوية السلمية. ومنذ أيام اقترحت
سوريا عقد مؤقر على خط مديد. دعونا لا
نتعمد ونرفض هذا الاقتراح. أليست الفكرة
ذاتها غير سيئة؟ وأعلن يلمصين من استعداد
روسيا لاستضافة هذا المؤقر. إذا وافق
المجتمعون على الفكرة.

ودعا سعده الفصل في كلمته إلى
عقد دورة ثانية لمؤقر مديد لتابعة مسيرة

السلام وتقويم إنجازاتها والعمل على
تعزيزها.

لكن هذه الأصوات المائلة لم تجد إلا
أذاناً صماء من جانب أمريكا وإسرائيل
ومعصر. والغريب أن دولا عربية كانت في
المؤقر لم تنتهز هذه الفرصة وتبعم هذا
الاقتراح.

دوما يمكن أفضل ختام لهذا المقال أن
نقلت الانظار إلى كلمة وزير خارجية اليمن
د. عبد الكريم الأرياني في المؤقر،
عندما قال بصريح العبارة «بأن القضاء
على العنف يتطلب سلاما على
أسس متكافئة بأن الإجراءات التي
تهدد إسرائيل وأمريكا باتخاذها ضد
المنظمات الإسلامية ليست بالضرورة- وكما
أنهت التجربة- كفيلة بتحقيق النتائج
المتوخاة من ورائها. بل قد تسهم في اشتراء
طاهرة العنف والإرهاب. إن إنهاء هذا
المسلسل الجارى في الشرق الأوسط بصورة
قاطعة والقضاء عليه من جذوره يتطلبان
إقامة سلام عادل وشامل على أسس متكافئة
ودون استعصاف أو استكبار».

فهل يسمح الأمريكيون، وهل تسمح
إسرائيل؟ وهل يسمح المستولون في مصر؟

«العولة» حقيقة أو وهم؟

منظمة التحرير والأردن مع إسرائيل، وكانتوا
دائما يروجون بصورة ودية عن مستقبل
علاقتنا مع إسرائيل لولا أحداث الانتفاجات
الأخيرة التي وقعت في القدس ومسلخان
وتل أبيب والتي أوضحت الصورة الحقيقية
للسيطرة الإسرائيلية الفعلية على الضفة
الغربية وقطاع غزة، وفضحت معنى هذا
«السلام».

فهل صحيح أن العالم يحول إلى «قرية
كوزنية» كما يروج بعض الكتاب الغربيون
وبردد بعض المثقفين المصريين؟

إن كان المقصود أن العالم يزاد اقترابا
عن طريق الصورة والتلفزيون والصوت
والأقمار الصناعية فهذا صحيح، وتشهد
بذلك الثورة التي حدثت في التقدير الأخيرة
في عالم الاتصالات يوم من هذه الزاوية يزاد
العالم تقريبا.

لكن العالم يزاد تباعدا بين
الشمال والجنوب، وبين الدول الغنية

يتحدث العديد من المثقفين المصريين عن
هذه «العولة» ويقصون بها أن الكرة
الأرضية بفضل ثورة الاتصالات وتقدم
التكنولوجيا ونشاط الشركات المتعددة
الجنسيات إنما تتحول بسرعة إلى «قرية
كوزنية» تزاد أجزاؤها على مر الأيام
اقترابا من بعضها البعض وتتوحد لديها
بالتدريج الإدارة الاقتصادية الدولية، وبالتالي
تتقد- في رأيهم- العديد من المفاهيم
والكلاسيكية أصبحت، ومن أمثلة ذلك مفهوم
«التحرير الوطني» وثقافته.

وهو يتحدثون عن حاجتنا في ضوء هذه
المفاهيم الجديدة إلى التركيز على ما يسمونه
«ثقافة السلام»، في العالم عموما،
وبينا وإسرائيل خصوصا.

إن هؤلاء المنظرين الجدد لهذه المفاهيم
غالبا ما يجهم من أشد أنصار النظام الحالى
في مصر والمناغمين عنه، وهم يمثلون فئة
تتافع من اتفاقات «السلام» التي وقعتها

المنخفضة إلى قطاع الصناعة ذي القيمة
الضخمة: الأعلى، وهو أمر لا يمكن تحقيقه غير
مرة واحدة.

وعلى أي حال فإن الجزء الأعظم من
التجارة وتدفق الاستثمارات هو "كما يوضح
مؤلفا الكتاب سبين أوروبا واليابان وأمريكا
الشمالية، وليس بين إحدى هذه الكتل وبلدان
العالم النامي من قريب أو بعيد.

وكل هذا يوضح أن المثقفين
المصريين الذين حاولوا أن يروجوا
للملكة "والعولمة"، "والثقافة
الكونية" إلخ كانوا يروجون أفكارا
واجبة في الغرب في فترة من
الفتريات. لكنها أصبحت موضع شك
وتساؤل لدى مراكز بحوث عديدة
غربية، كما يشهد على ذلك مؤرق دافوس
الأخير في سويسرا والكتاب الذي أشرنا إليه
من قبل. وبالتالي فإن الدعوى بأن "الحرور
الوطني" والثقافة الوطنية، هما من بقايا
تفكير عفا عليه الزمن هو أمر في حاجة إلى
مراجعة من جانب هؤلاء المثقفين. فيعملون!

tion يوضحان فيه أن المجمع المتداول عن
العولمة مبالغ فيها إلى حد كبير، فالجزء
الأعظم من نشاط الشركات المتعددة الجنسيات
ما زال قائما في بلادها الأصلية. والأكثر من
هذا أن الاتجاه الغالب لهذه الشركات في
الفترة ١٩٨٧-١٩٩٣ هو عكس العولمة
deglobalisation، أي التركيز الأكبر-
لا الاقل- لهذه الشركات على نشاطها في
موطنها الأصلي.

ويوضح هورست وطومسون بالارقام
إنهما لا يريان انهيارا واسما من الاستثمارات
على البلدان الأقل ثرا وذات الأجور المنخفضة
كما حاول أن يروج البعض، بل يعتقد المؤلفان
أن الإنتاج الراسخ لكل السلع (باستثناء السلع
البسيطة ذات التكنولوجيا المنخفضة) له
مخاطر عديدة خارج "البنية التحتية" in-
frastucture للدول المتقدمة. وهذه
التجارة توافق عليها الشركات المتعددة
الجنسية بشكل عام.

وقد قيل بعض هذه الشركات إلى
الاستثمار في عدد قليل من الدول النامية
حيث النجاح الاقتصادي مؤكد، لكن هذا
النجاح يعتمد إلى حد كبير على تحويل
العائلة من قطاع الزراعة ذي القيمة المضافة

في الشمال والدول الفقيرة والتي
تزداد فقرا في الجنوب. وليس صحيحا
أن عالم الجنوب هو ما يمكن أن نسميه كله
والعالم الثالث. فراقع الحال أن بعض
أجزاء الجنوب تحولت إلى ما يسمونه اليوم
والعالم الرابع، ومن أمثله الصومال
وروندنا وما شابه ذلك، وهي أقطار مهددة
بفعل الفقر الراسخ النطاق بالاختفاء. ربما ما
من التاريخ. وفي الوقت الحاضر تحاول
الولايات المتحدة الأمريكية أن تفرض قيادتها
العسكرية والسياسية للعالم، عن طريق
الاستيلاء على مقابله الأمور في الأمم المتحدة
وعن طريق تهديد الدول الصغيرة تارة بالمحاصر
الاقتصادي (اليران، العراق، ليبيا أمثلة
على ذلك) وتارة عن طريق التدخل العسكري
أو التهديد به كما فعلت في كوبا ومع
الصين إبان صراعها مع تايوان.

لكن ثمة علامات واضحة في العقود
الأخيرة عن الصراع الدائر بين الولايات
المتحدة من ناحية وبين أوروبا واليابان
من ناحية أخرى، بحيث لا يستبعد أن نرى
تحولا في ميزان القوى في العالم لصالح إحدى
هاتين القوتين الأخرتين. والذي حدث في
مؤرق دافوس في سويسرا يشير إلى قلق
الرؤساء الذين الغربيين من أن عملية
والعولمة لا تفضي في الاتجاه
الصحيح وأنها في حاجة إلى دعم لضمان
مسيرتها، وحتى لا تؤدي تحركات الطبقات
العاملة في بلدان العالم إلى إفساد اتجاه
والعولمة. هذا، والذي حضروا مؤرق دافوس
يقولون إن مناقشاته تركزت على الخطر
المحتمل بعملية "العولمة" بسبب
مشاعر القلق والاساء التي تسود
الديكتاتوريات الآسيوية والتي يفسح
أن تتحول إلى قمر وارثه. وهو
الأمر الذي أتهته أحداث فرنسا العالمية
الأخيرة، والتي تهدد تحركات الطبقة العاملة
في ألمانيا وبلجيكا ورومانيا وغيرها أن عدم
حل المشاكل التي تواجه تلك البلدان لصالح
الرؤساء الذين وعلى حساب الطبقات العاملة.

ومن ناحية أخرى فقد ظهر حديثا كتاب
هام للكاتبين يورج هورست وجرهام
طومسون بعنوان "العولمة موضع تساؤل"
GLOBALISATION in Ques-

مهزلة معرض الكتاب

مصالح الكثير من الناشئين -الاسيما غير
المصريين- فإن الكثيرين من الذين زاروا
المعرض هذا العام كانوا غاضبين من سوء
تنظيم المعرض ومن زيف الدعاوى التي تعلقت
بمنابته. ولقد بلغ الأمر حتى بالصحف
المحكمة إلى أن تنتقد إجراءات تنظيم
المعرض وسوء أحواله (انظر الأهرام مثلا).

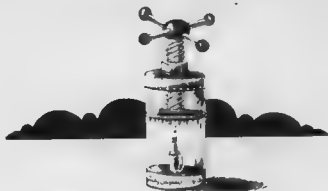
وعينى هنا أمران .. أولهما أن
البرنامج الذي أعلن في الصحف لم يتحقق
منه الكثير في واقع الأمر. ففي ندوات الشعر
لم يحضر الشاعر الكبير أحمد مريد
المطفي حجازي كما أعلن في البرنامج،
ولم يحضر الشاعر الليغوري كما كتب .. بل

اعتدنا على هذا الصدام الذي يبدأ هـ،
سبحر سورجان ومعاونوه. كل عام بأن معرض
القاهرة الدولي للكتاب هو أضخم معرض
دولي للكتاب بعد معرض فرانكفورت.
وسبقنا كثيرا على دعاوى الحوارات الحرة
المفتوحة التي تجرى كل عام في المعرض وهو
الأمر الذي يميز معرض القاهرة دون غيره من
المعارض. وينبغي أن نعترف أن في المعارض
السابقة كان هناك القليل الذي يبرر هذه
الدعاوى.

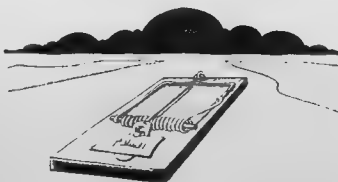
لكن المعرض هذا العام كان مهزلة بكل
المقاييس. فضلا عن تأخره عن موعده السنوي
بحوالي شهرين، وهو الأمر الذي أساء إلى



ضد حرية



ضد حرية



ضد حرية



سمير سرعان



فاروق حسني

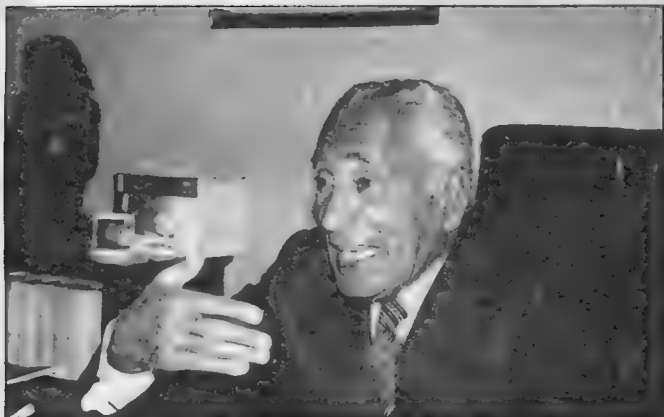
وحسب الشاعر الفلسطيني صمد البرغوثي الذي اطلقوا معه على أن يقرأ بعض قصائده بدلا من القيثورة لم يحضر هو الآخر لأنه - كما قال لي بعد ذلك - كان قد اتفق مع المسؤولين على الاعلان يوم التدوير عن اسمه في الصحف ووافقوا على ذلك، لكنهم لم يفعلوا، وهكذا رفض الذهاب إلى المعرض. وقد روى بعض رؤاد المعرض في رسائل إلى الصحف كيف أنهم كانوا يذهبون إلى بعض الندوات المعلقة في برنامج المعرض فلا يجدون أحدا.

أما الأمر الثاني فهو موضوع الحوارات المزمعة مع المسؤولين. ولقد قيل قبل المعرض إن الهدف من هذه الحوارات هو مواجهة المسؤولين بالرأي الآخر. لكن الذي حدث أن الوزراء جاءوا للدفاع عن مواقفهم وقراراتهم وليس للاستماع إلى الرأي الآخر والحوار معه أو الرد عليه. أي أن تصوير ما حدث في المعرض هذا العام بأنه توجه ليبرالي عظيم بعيد عن الحقيقة. والذين اختارهم د. سمير سرعان للحوار مع الوزراء هم أصدقاء الوزراء وأنصارهم في غالب الأمر. ولذا ترحم الناس على محاضرة الأستاذ هيكمل العام الماضي والتي منعت هذا العام.

أما ثلاثة الأثافي في معرض هذا العام فهي مهزلة منتج الجوائز ودين أسس حقيقية ومعايير موضوعية. ولن أزيد عن ما كتب في الصحف والمجلات عن هذا الموضوع وأخرها مجلة الهلال القاهرية التي تسالت في انتحائية عدد مارس الماضي قائلا: وهل من المعلوم أن يحصل سبعة من أعضاء اللجنة الاستشارية للمعرض على جوائز؟.

وأن يقر أحد الكتب قبل أن يصدر ويخرج من المطبعة؟.

تعقيب على حوار هيكل مع رئيس تحرير اليسار



فكر

هيكل

السياسي

سؤال ظل يتردد في ذهن منذ وصف الأستاذ محمد حسنين هيكل لما يحدث في بر مصر في معرض كتاب القاهرة عام ١٩٩٥، «وعاد السؤال نفسه بلع على الحاطر بإصرار أقوى بعد حواره الساخن حول الموضوع ذاته مع الأستاذ حسين عبد الرزاق في عدد مارس ١٩٩٦ من اليسار. ذلك السؤال هو:

إذا كان الوضع في مصر بهذا القدر البائس من السوء الذي عرّضه الأستاذ هيكل في محاضراته الشهيرة عام ١٩٩٠.

وإذا كان هذا السوء المتعدد الجوانب ليس أمراً وقتياً، بل ظاهرة متصاعدة - أو إذا شئت متعاطلة - على خط بياني منحدر إلى أسفل بعد انحطاطه إلى الراء أكثر من عشر سنوات؟

من أين يأتي التغيير المطلوب

ماهى المقترحات التى يمكن أن تقدمها القوى السياسية إلى رئاسة الجمهورية

حكام اليوم هم أبناء من استغلوا الهزيمة

قام به الغرب- مرة أخرى بفطحا- غربى- على الأراضي المصرية وأمام شواطئها لمساندة إسرائيل وإنقاذها من نتائج أعمالها هى الإرعابية ودون أدنى قدرة أو رغبة فى توفير سلوكها؟

وما تكون مداولات المجموعة السياسية المصرية رفيعة المستوى قد أسهمت فى تخفيف غلواء بعض عبارات مشروع البيان النهائى لمؤتمر صانعى السلام وإضافة بعض الزخرف السياسى إلى عباراته.

لكن ، على ضوء الأحداث التى صاحبت اعتماد المؤتمر وبعد انعقاده ،فى مناطق الحكم الذاتى وبأى أراضى فلسطين ، وفى جنوب لبنان وفى إسرائيل وتطور العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ، هل يستطيع أحد أن يزعم أن أعمال اللجنة السياسية رفيعة المستوى قد غيّرت بمقدار مثقال ذرة واحدة من الطبيعة الحقيقية لمؤتمر وصانعى السلام ، ودور مصر فى التغطية على هذه الأهداف؟

وما قبل ، وحق ، أن وراء مطالبة الأستاذ هيكال بوضع جدول لأعمال المجلس الاستشارى الرئاسى وتسجيل مناقشاته وإطلاع الرأى العام عليها رغبة فى توفير قدر من الشفافية والمناقشة الديمقراطية عند اتخاذ القرار. لكن ألا يثير السيد صقوت الشريف ، بذاته المعهود وقدراته الفائقة على اصطناع الصيغيات الملتزمة ضد كل ما من شأنه أن يثير الفكر على إطلاع الرأى العام على مجمل السياسات والقرارات التى

د. فوزى منصور

اقتراحات مثل ماذا؟

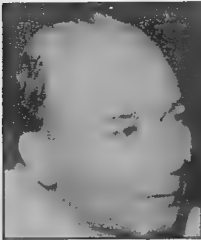
مثل أن تشكل الرئاسة ، أو أن يشكل داخل الرئاسة ، مجلس مستشارين يختصص بوجوده صنع القرار ويجرى نقاش حول السياسات ويصل هذا النقاش للناس لكي يشاركوا فيه قبل صدورها .. الأمر الذى يشير على الفور تساؤلا آخر: فيم سوف يختلف الوضع عندئذ عن الوضع الحالى؟

أليس للرئاسة بالفعل مجلس مستشاريها غير الرسمى الذين تعرف أسماء بعضهم وقد لا تعرف أسماء البعض الآخر أو لا تعرف عنهم إلا أقل القليل؟

هل سيختلف تشكيل المجلس المقترح وطبيعة نشاطه كثيرا- على سبيل المثال- عن كنيته تشكيل ونشاط ما سمعته الصحافة الحكومية والمجموعة السياسية رفيعة المستوى التى كونت من السادة صقوت الشريف ويوسف والى وفتحي سرور وغيرهم من أعالي الموظفين لكى تتعامل تحت تسمية بحث ترتيبات المؤتمر الدولى لصانعى السلام- مع أهم حدث فى المنطقة العربية بعد غزو العراق للكويت فى أغسطس ١٩٩٠ وانهقاد مؤثر القمة العربى القبرى بدعوة عاجلة من مصر لإشقاء ورقة التوت العربية على المخططات الأمريكية للمنطقة، ألا وهو مظاهرة استعراض القوة القريد التى

ثم إذا كان العام الذى مضى بين معاهدة الممرض فى يناير ١٩٩٥ والمزارع الساخن مع حسين عبد الرزاق فى فبراير عام ١٩٩٦ لم يشهد إلا زيادة فى التفخيم والتعازف على كل المستويات؟ وأخيرا إذا كانت رئاسة الجمهورية طوال هذه المدة- الكارثة هى مركز اتخافه القرار وموتور الحركة- وهى وحدها المخصصة بالسياسات بينما تخصص الحكومات بالتنفيذ ولا علاقة لها بالسياسات؟

إذا صح ذلك كله ،وهو فيما أرى صحيح لم يبق أحد البرهان على صحته يفل القوة والافتقار- الذين تميم بهما كتابات الاستاذ هيكال ، فكيف إذن- ذلك هو السؤال الملح المحير- يهود الاستاذ الكبير يوحى شجار أن أية محاولة للعلاج خارج رئيس الجمهورية غير واردة ، ، فيؤكد أنه وليس أمامنا فى هذه اللحظات إلا أن نتقدم باقتراحاتنا ونطرحها على رئيس الدولة ، ونظل نقول ونلح ، ونشجعها على ممارسة مسئولياته قدر ما نستطيع.. لأنه ليست هناك بدائل ولا إمكانات ، للتغيير خارج ما هو قائم؟



يوسف والي

يريد لكنها تعطي للأغلبية من الطرفين مصلحة في المحافظة على النظام المجرود، كان أساسه الفاض الضخم الذي كانت بلدان الغرب ولا تزال تستفحجه من سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي والذي مكنتها من أن تقول بجانب منه مكتسبات طبقاتها العاملة في مقابل تأييد تلك الطبقات لحرورها ومغامراتها الاستعمارية المختلفة.

النصرية .. والمباركية

والثال الوحيد الآخر الذي أعرف عنه بعض الشيء (خارج التجربة الغربية) الاستعمارية وبعض المجتمعات الخليفة المعتمدة على قبض هائل من ريع النفط يوزع بوسائل مختلفة بين سكان قليلين (لمحاولة إقامة قدر معقول من التوافق الطبقي) فكرة العقد الاجتماعي! هي التجربة النصرية في أزهى فتراتنا.

وقد استند النجاح النسبي - والوقتى - لهذه التجربة على قدرة النصرية على أن تنزع من بين أنياب القناب الفاض المسحر الذي كان يستنزف من الاقتصاد المصري، ومن خلال قناة السويس والبنوك وشركات المرافق العامة والتصدير والاستيراد والمجارة الجملة ومحلات التجزئة الكبيرة وغير ذلك بما كانت تسيطر عليه المصالح الأجنبية، وتستخدِم جزءاً من هذا



صمو مرسى

التي تعود عليها واستمرأها حتى أصبحت غاية في حد ذاتها تقنى عن التأمل العميق الراعى في حقيقة الدور الذي يسيطر عليه الضوء.

شروط .. «التوافق» الطبقي

أو لنأخذ، كمثال آخر، تلك التمريرة السحرية التي يقدمها الأستاذ هيكل كأسلوب آخر لاصلاح النظام من فوق : فكرة العقد الاجتماعي.

ومعروف أن هذه الفكرة - كتفسير لنشأة المجتمع ومنطق الحياة السياسية - لقيت ما تستحق من سخرية منذ أطلقها جان جاك روسو في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. لكنها اكتسبت حياة جديدة وبعضين مختلف، كتفسير للدر معقول في التوافق الطبقي تحقق بعد صراعات القرن التاسع عشر الحادة دائماً والدموية أحياناً، بين الطبقات المالكة (الرأسمالية أساساً) والطبقات الشعبية (العامل أساساً) في بلد غربي متقدم بعد الآخر. يستوى - رغم الخلاف في التفاصيل - أن يحدث التوافق تحت حكم الأحزاب المحافظة أو العمالية. لكن يكاد يصعب المحللون الجادون على أن ذلك التوافق الذي أنقذ تلك المجتمعات من أن يلفسها الصراع الطبقي وأنقذ معها الديمقراطية كأداة عقلانية لتفصيل إلى حلول توفيقية لا تعنى لأحد كل ما

تتخذ في كل موضوع؟ فهل سيقبَل الأمر كثيراً لو أنه أضاف إلى هذه الهمام الرسمية الجلييلة ملصقا يبدول الأفعال قبل كل إجماع وتلخيصاً على الطريقة الصوفية لجمال الآراء التي عرضت ؟

ثم من الناحية الواقعية : ألا تصرب أو تصرب هذه السياسات والآراء المختلفة في دوائر الحكم حولها إلى دوائر الرأي العام المعنية قبل اتخاذ القرار بشأنها ؟

لقد عرف منذ فترة طويلة موقف السيد يوسف والي، أو ربما الدور الذي وكل إليه في موضوع المشروع الشرق أوسطى، وموقف موقف السيد صمو موسى المختلف عنه بعض الشيء، وموقف من لا موقف لهم في هذا الموضوع الخطير أو غيره، وباستطاع المراقبون أن يخفوا ، ربما بنسبة ٩٥٪ من الصحة، من تصريحات الرئاسة المتشابهة حولها ، موقفها الحقيقي منه والأصباغ الواقعية التي أدت إلى هذا التغيير الطفيف أو ذلك في هذه المناسبة أو تلك في صياغة ذلك الموقف.

ونتيجة لهذه التسيبات ، وكان بعضها يأتي من الخارج. دوائر في الصحافة والمعامل العلمية المصرية ، والقرصية مصابلات بالغة الجديدة، لو أن بعضها كان قد حدث في نظام سياسي حساس للحجة والبرهان لإتلقى الجهر أو على الأقل سلطت وزارات وحلت محلها أخرى . فهل شعر الأستاذ هيكل أن هذه المساجلات كان لها أدنى أثر على توجهات النظام بالنسبة لهذا الموضوع البالغ الخطورة، أم الحقيقة هي أن سلوكه كان محكوما طيلة الأمر بتوافقات حديث خارج دوائر الرأي العام المصري، بل وخارج السلطات الشرعية التي لها وصدا حق اتخاذ القرارات المصيرية؛ توافقات طال الاعتماد لها من قبل، وبعثما كان النظام يتسلم أحيانا من بعض نتائجها - عندما كانت تتكشف له - فلم يكن الدافع إلى هذا التسلل هو الوعي بالمصر البائس الذي يساق الوطن العربي في مجله إليه والرغبة في التبريد عليه، ولكن الخوف من إزاحة النظام بعيداً عن بزوة أشواء المسرح الشرق أوسطى

المخلفات العينية

بين الوزراء لم تؤثر في توجهات النظام

الفاصل لربع مستوى معيشة الطبقات التي طال حرمانها، ويعد آخر لاسترضاء ما سعى وقتئذ بالرأسمالية الوطنية بقروعه المصعدة، والجزء الثالث لتحويل تنمية زراعية وصناعية طموحة مهما قبل عن خطاياها واخطائها - وقد قلت عنها في وقتها الكثير - لقد أعطت للاقتصاد المصري قوة دفع مكنت ذلك التوافق الطبقي من الاستمرار بعضا من الوقت.

وفي الحقيقة فلم يكن هناك وعدد اجتماعي حتى بالمعنى الفارح الآن بقدر ما كان ذلك «المقدّم» مفروضا من أعلى، وخاصة على الطبقات المالكة، أو تلك التي كانت تتطلع إلى التملك ووراثة المصالح الأجنبية المستردة للوطن.

والتاريخ الحقيقي لا يهتار هذا التوافق الاجتماعي المفروض بكل حدوده التاريخية، هر هزيمة ١٩٦٧ - عندما استغل الطرف الأعلى في الحلف: البرجوازية بقروعه المخططة التي نشأت السادتية والمباركية من تحت عبايتها، ظروف الزويزة وما تلاها لا للتقدم إلى الأمام كما حدث في الجزائر وأمريكا مثلا أثناء الحرب العالمية الثانية) ولكن للترجيع إلى الحلف وتقويض المقد الاجتماعي المفروض الذي لم يرتاحوا قط له.

إن حكام اليوم هم الأبناء والطبقيين أو الفكريين لمن استغلوا هزيمة ١٩٦٧ (وأحيانا هم أنفسهم بأشخاصهم) للعودة إلى الورد. وكل ما نعلم، أنهم استفادوا من

التطورات الدولية اللاحقة للمضى بالخط الذي بدأوا في رسمه في عام ١٩٦٨ وما بعدها إلى غاياته المنطقية، فكيف يصور من هؤلاء، بولي غيبة أية ظروف مرضوية تسمح بذلك بولي الواقع في ظل التدهور غير المسبق في أوضاع الاقتصاد والمجتمع المصري، أن يعمدوا التفكير اختياراً في عقد اجتماعي جديد يسمى للتوافق بين مصالح الطبقات المختلفة للمجتمع؟

وعلى أي أساس مادي يمكن أن يقوم هذا المقد الاجتماعي، إذا كان الطرف الأعلى فيه، الطرف الحاكم، يسعى لتعويض قلوبته على البقاء وتأمين مستقبله من خلال الانتصاع الطوعي أو الجبري للمخططات الأجنبية، ويخلق الطريق بصماته وجعله يتخاذله (أو الرعب من عودة والكايسر الناصري) على أية محاولة للتنمية المستقلة التي وحدها هي التي يمكن أن تولد الفاضل الممكن اقتسامه، ويؤمن - تحت دعاوى الاقتصاد الكرنى والظروف العالمية الجديدة - أن قدره والرد الذي خلق له هو على حد تصبير مراقبي أروپ من الخارج - لست في حل من ذكر اسمه، هو أن يستقبل الخراجات في المطار ويحجز لهم الاجنحة في الفنادق الفخمة، ويقوم بأعمال السيرة وترتيب الترحيبات والمقابلات الحساسة لهم، ويجلس كمنكر لفرانكفونر محلي في مجالس إدارة الشركات والهيئات الأجنبية التي تفيض تدريجيا حتى أمتة الاقتصاد القومي ويقوم «بأعمال

العلاقات العامة لهم، ويحصل مقابل ذلك على دخل عالية، مؤمنة ضد التحركات الشعبية أو حتى الانقلابية، ترفعه درجات فوق مراتبه وحميه من مقتهم وغضبهم؟

أليست هذه هي القضية الحقيقية لأغلب شركات الاستثمار المشترك، وأليست العودة إلى العهد الذهبي لما قبل ١٩٥٢ هي أقصى آماني الطبقات الحاكمة القديمة والجديدة في مجرمها واليقات التي تبني عليه ثقافتها وتوكله له أبنائها في المدارس والجامعات الاجنحة أو الأجنبية الطابع التي أصبحت وحدها هي الفتح الذهبي للمستقبل؟

مؤسسة الرئاسة: لا تتبادل السلطة

وطبيعة الحال - لكي لا نطمح الكاتب الكبير - فإن هيكل عندما يقترح الإصلاح عن طريق مجلس استشاري للرئاسة أو عقد اجتماعي جديد، يصور ولا ريب أسلوباً آخر لتفويض طين الاتراخين مختلف تماما عن كل السرايق التاريخية التي استقرت في العهد الماركسي (ولعل أقربها إلى الذهن كهيئة تشكيل وأسلوب عمل ونتائج مؤتمر الخوار القومى) وأصبحت «لازمة ثابتة لأسلوب عمله. فمن أين يأتي هذا التغيير المفاجئ في الأسلوب المستقر أو على الأصح الانقلاب الشامل عليه؟ من الرئاسة نفسها، كنتيجة للتقدم المستمر باقتراحاتنا وطرحها على رئيس الدولة، ونشجعه على ممارسة مستورباته قدر ما يستطيع، لأنه ليست هناك بدائل ولا إمكانيات للتغيير... خارج ما هو قائم؟!

وقد كان الظن حتى قراءة عبارات هيكل أن المشكلة السياسية الرئيسية في مصر ليست هي حاجة الرئيس إلى التشجيع على ممارسة مستورباته قدر ما يستطيع، لكن هي أن التمسك الذي ورثه من السادات قد منح من المستوربات ما هو أقل بكثير مما يستطيع - هو أو أي فرد آخر، محمله مؤانته بحكم طابع الأمر - يضي غير هباب ولا وجل في تحمل هذه المستوربات، بل وسطها إلى آخر حدود ما تتفتح عنه قرائح مستشاريه الدستوريين

والاستعانة على توسعتها بإبقاء مصر في حالة طوارئ مزمنة.

وتعزز الأستاذ هيكل رهايته - رغم كل السوابق والمقدمات - على جدوى الإغماح بالافتراحات على الرئيس (الذي لا يرى طريقاً آخر مقفوحاً غير هذا) بتشبيهه طريف هو ما يمكن أن تقطع نقطة المياه التي تستقل في نفس الموضع على الحجر الصلد وتؤدي في النهاية إلى التأثير فيه.

لكن التشبيهات البليغة - وخاصة تلك المستعملة من أدبيات الإعلان - ليست دائماً السبيل الأقوم لتحليل الظواهر السياسية والاجتماعية. والأستاذ هيكل هو أول من يعلم، بماضيه وخبراته العميقة في دهاليز السلطة، أن الرئاسة حتى يشكّلها الحالي ليست بهذا الانكفاء. الثاني على النفس الذي يخلط الحجر الصلد بل هو قوة متحركة تستمع وترقب وترصد من زوايا مختلفة متعددة، ثم تختار وفقاً لاعتبارات ذاتية وموضوعية وتتحدد اختيارها في النهاية على أساس سلم الأولويات الذي تضعه لنفسها.

والرئاسة، أو مؤسسة الرئاسة، أو المركز الحقيقي للسلطة السياسية، بعيداً عن أن يكون ذلك الشيء الجامد الجامد الذي يتلقى التأثيرات من خارج ذاته الذي يخلط الحجر الصلد، هي كائن حي يخضع لقوانين الحياة للعديد التي تحكم مختلف أنواع الكائنات الحية، كل حسب طبيعتها ووظيفتها ومستوى تطورها.

وفي بلدان العالم الثالث التي لم تصل بعد إلى مستوى معين من التطور يسبح بالتخصص والتمايز في الوظائف وتقسيم الاختصاصات وتوزيع الأدوار، ويبرز خاص بين اختصاصات ووظائف وإمكانيات السلطة السياسية، وتلك التي تخص للمحيط الأوسع من القانون على السلطة الاقتصادية في المجتمع والمؤسسات لصلحياتها وإمكانياتها، في هذه البلدان فإن السلطة السياسية تصبح قريبة الشبه بالكائن الحي البدائي الذي تحكم فيه غرائزه الذاتية، لا قواعد ومبادئ وأهداف استخدام السلطة كما حدثها أحرار المجتمعات الأكثر تطوراً بها. في ذلك الأعراف الذاتية على أفكار ومفاهيم المتكبرين الذين سامحوا في إرساء وتدعيم قواعد هذا التطور والمجاهداته.

العقد الاجتماعي

الناصري.. لم يكن

بموافقة الطبقات

المالكة بل

فرض عليها

وما لم تنشأ ظروف استثنائية مروية فإن أولى الغرائز البدائية للسلطة السياسية في المجتمعات الأقل تطوراً هي طبيعة الحال غريزة البقاء، بقاء الذات وليس حتى بقاء النسل، أو وفقاً للتعبير السياسي الأكثر تداولاً - الويلسي الهات - لبقاء تداول السلطة ولكل ما من شأنه أن يحمي هذه.

ولكن طال مدة البقاء في السلطة كلما زاد التعشّب بها، ليس فقط من قبيل استدامة النظم، لكن خوفاً من الحساب لو زالت السلطة خوفاً ما اعترف أثناء ممارستها، وليس أدري كيف غاب هذا

الاعتبار عن أولئك الذين يمتنّون النفس والفكر بالوصول إلى الديمقراطية، وأهم ركائزها الامكانيات الحقيقية المحمية قانوناً لتداول السلطة، عن طريق مداورة المطالبات

العقوبة بها. وقد يساعد بفرجة ما على الخروج من هذا المأزق التاريخي النائم لو أن قوى المعارضة أعلنت، في الأحرار التي تصل فيها الرغبة في التغيير إلى درجة عالية من النضج والقناعة، عن استمادها لإصدار قانون

يعطي صانعة كاملة عن كل ما حدث في الماضي، على نحو ما تم مع بوهوفيه في شيلي تمسكاً لعملية تداول السلطة والانتقال إلى الشكل الديمقراطي الحالي.

ويرتبط بغريزة الإبقاء على الذات البدائية التي تميز السلطة في البلدان المتخلفة السمي الطبيعي إلى التحالف أو التوافق مع كل ما من شأنه أن يعزز هذا البقاء، بصرف النظر عن سلامة الأهداف الأخرى التي يسعى

إلى تحقيقها أعضاء هذا التحالف في مقابل تمزيقهم للسلطة السياسية القائمة وعن تأثيراتها القريبة أو البعيدة المدى على المجتمع الذي قارس فيه السلطة. والسلطة مستند هذا المستوي البدائي (وسرة أخرى ما لم تكن هناك ظروف استثنائية مروية) هي سلطة براجماتية تهتدي بتجربتها الذاتية المباشرة أكثر عما تهتدي بالفكر الذي - لو وصل إليها - تراه مجرداً ونظري ومثالياً عندما يتحدث عن جدوى وأهمية المساندة الشعبية الايجابية وكفايتها. وتاريخ مصر الحديث حافل بالأمثلة على ذلك. وأظنني لست وحدي الذي يرى بعد الزمجرات الأمريكية الهائلة التي أغلقت أحداث السبينة أميلاروا والمهالة المحكية المسماة وثورة مصر التي تعاصرت معها، تغيرات واضحة في محاولات السلطة في المجال الخارجي تتعلّق - ولأنها مثلاً بسيطاً لا شك في أنه بسيط - بسلطات ذاتية لأفراد الشعب البسطاء - في انتقاء الكلمات المحايدة المقنعة حتى في المواقف التي تتطلب دفاعاً عن قضايا العرب القومية وكرامتهم الذاتية الإحدر أو على الأقل بعض التقرينات الصورية التي تروى بلدى من التجارب مع مشاعر الشعب وأحاسيسه.

كذلك لا أظنني الوحيد الذي أصبح يرى أن الحلال مع أمريكا حوك السياسات الاقتصادية الداخلية لم يعد، باعتراق بعض المستقلين أنفسهم، يبدو في أغلب الأحرار حركاً ما هو في صالح مصر وما ليس في صالحها على المدى الطويل، ولكن حركاً مدى ما يستطيع النظام أن يفرضه على الشعب من مطالب أمريكا. والهيئات الدولية التابعة لها دون أن تهتز قبرايم الحكم من تحفه.

وغريزة المحافظة على الذات ليست الفريزة الوحيدة التي تحكم سلوك السلطة السياسية في المجتمعات المتخلفة. فكثيراً ما تصبّ هذه الغريزة. وتتكاثر معها غرائز أخرى أغلقت المجتمعات المتقدمة إلى حد كبير في القفل بينها وبين أساليب وأهداف التي تتركز لإلهم ممارسة السلطة السياسية، على الأقل في فترة تصلح لمستولية هذه السلطة، مثل غرائز التحليل والاستحواز والثبات الأسري والعشائري، وتأتى

الأفكار السوفياتية المبتذلة المكتسبة من الاديولوجيات الشائنة أو من التجربة الذاتية المباشرة والتفاسير، أو المستوردة من الخارج معززة بالمباراة الفخمية ذات التغليب العنصري البراق، لكي يجهل من التشكك والاستمواز والسوق والتجارة واكتساب المال من أي طريق يصرف النظر عن نتائج أو مصارفة هي -على كل المستويات- جماغ الصالح القرمي، ويجهل من الأشرطة في هذه المصليات قائد النهضة ويحلل الرول والسند الحقيقي على المستوى الداخلي للسلطة السياسية.

مفاتيح الرئاسة

والأستاذ هيكل أول من يعلم خبراته المعينة أن الرئاسة حتى في شكلها الحالي ليست تلك القوة السلبية التي يمكن التأثير الإيجابي عليها أو حتى تغيير مسارها عن طريق التنظيق المستمر (وان كنت أرى أن ذلك قد حدث مرة) أو مرتين في ظروف تاريخية خاصة جدا لمب فيها التحكين الشخصي للقائد وقدرته على التعلم دورا جوهريا) بل كونها -أي الرئاسة- قوة متحركة لها أجهزتها الدعاية والإعلامية الهائلة القدرة، ووسائل التجميع والتنظيم والشد الشديدة الفعالية، بل ولها -من داخلها ومن خارجها- مفقوها الذين تعلموا أو علموا، وبقدرات هائلة حقا على الترويج على اللحن الواحد والمزج بين كافة ألوان الطيف السياسي، كيف يتركزون مفردات المعتقد، وانتشارا يتداولونها في الشبكات «الرهينة المسمومة» وبين الكرئيس وغير اسلاك التليفون لانتاج ثبات أوسع وأوسع من المعتقد الذين لا تكني معهم وسائل الإغراء المبتذلة المألوفة، بأن الحاكم المسمى في حاجة إلى أن يسعى المقلدون إلى الاقتراب منه ولهمه والتعامل معه بدلا من تركه معزولا وسط وحوش الغابة التي تهيئ به، بينما الهدف الحقيقي -أو النتيجة الموضوعة على أية حال- لجهرد هؤلاء المقلدين الرئاسيين هو منع المقلدين المضويين، كما قد يفرق جراسمى من الرهينة الموضوعة حقيقة الأرواح في بلادهم ونشرها على الناس، وضهم ولو بالشفقة إلى الصفوف المتعالية من المبردين والمتحاربين والامليين في اصلاص البلاد، على أيديهم بالطبع عندما يتبته الحاكم . إلى مواضع المتعززة، ويقدّر ما

تتبع هذه الجهره بقدر ما تزداد القطيعة -التي يشكو منها هيكل- بين جصاصير الأمة وعفقيها و«تخها» السياسية، بوتشاً لوجاع لا تثل نتائجها خطورة من الاستقطاب الذي ينه إليه هيكل بين أهل الفكر المتبع وأهل الشراء الفاضل.

والأستاذ هيكل يعرف ذلك كله . لكنه رغم ذلك لا يرى سبيلاً آخر للاقتداء سوى التوجه للحاكم والإحاح عليه لكي يميل، لكي يقدّر . الانقلاب على كل ما جمد عليه نظامه منذ شتوات طويلة.

وبما أنه أراد أن يستعيد قواما تفسيرين -أعلم أنهما خطرا يبال اليأس- لهذا النص غير الترويع في تفكير الأستاذ هيكل الذي يتناقض قواما مع كل ما ينش عليه من مقدمات، أولها هو «الفتية»، والثاني هو حرص الأستاذ هيكل على ألا يقطع شعرة معاوية التي تربط بينه وبين السلطة.

ذلك انه إذا كان هناك من مصر- رعا على طول تاريخها الحديث- شخص استطاع وحده ويصله القدر ودون حاجة إلى تنظيم جصاصير يحميه أو شيعة تتشبع له، أن يصمم نفسه من بطش السلطة وأن يجعل كل محاولة منها لحصار أو التضييق عليه ترد بالضرورة إلى تحرها وتزيد رقعة في قلبه الناس، فلهذا الشخص هو الأستاذ هيكل منذ باعد بين شخصه وبين سلطة الدولة في متصف السبعينات وتفرغ عن طريق التاريخ الواسع الموثق والتأليف المبدع للمحاكمة على الذاكرة الجميمة للشعب المصري وأجهات في مواجهة قوى البلى والعوان التي لا تسمى إلى شيء بقدر ما تسمى إلى طمسها وتزيفها.

ودون أن يكون لي شرف التعرّف الشخصي على الرجل أعتقد أنه بعد أن رأى في أعين الناس وقرأ في خلجات ضمائرهم هذا النوع الجديد من التقدير والإعزاز . الذي يختلف نوعيا في مثاقفه وفي شعر الرضا عن النفس الذي يشعوه عن مشاعر التجوّل والرجاء والرهبة التي كانت تزجى إليه في المهود السابقة نتيجة اقترابه القريب من سلطة الدولة، بل كم من رهافة الفكر والمشارع ما يجعله يدرك قواما وحسن ثلوق القارق

الضخم بين النوعين من «السلطة». السلطة على القلوب عن طريق الفكر والرأي وفقا لتصور برتراند رسل السلطة المستمدة من رغبة الدولة، وإمكاناتها.

مثل هذا الرجل الذي فاز بهفارة تاريخية نادرة، بذلك كله لا أظن أن شعرة معاوية مع السلطة قد عادت تعنى شيئا ذا أهمية بالنسبة له . لماذا . إذن ؟ ذلك هو السؤال الذي يلح على الكثيرين، يخرج علينا الأستاذ هيكل بتلك النتائج المفردة التي تكاد من شدة غرابتها تشبه الهول الشديد في موضوع الجد الشديد بالإلماء.

إن الأستاذ الكبير نفسه لم يترك الأمر للتخمين والحدس، فصر المنشآت الرشيدة وفنن «القيبريات» الخلافة التي تضمنها حراره مع الأستاذ حسين عبد الرزاق، ومن قبل «مأثرته في معرض الكتاب، يستطيع المرء أن يستشف رغم كل التناقضات «موتيمات» أريج رئيسية. حملها الكاتب رسالة «أن الرئيس وحده هو القادر على العلاج». هذه المرفقات هي:

«الأساس من الأحزاب القائمة الذي يهد إلى اليأس من إمكانات الحركة الشعبية.

«الحرف من الانقلابات التي لن تأتي إلا بما هو أسوأ مما هو قائم.

«المجز من أية رؤية واضحة للأمام مشرور قومي يمكن أن تتجمع حوله قوى الأمة الشعبية.

«التقدير للخطى» -ولا أريد أن أقول. السطحي احتراما للكاتب الكبير، وتقديرا لجهاده وجهده الراتمين لحقيقة العالم - المعاصر والقفو المؤثرة فيه، وخاصة عند قاسها مع العالم العربي بحالعه الرائعة.

حيث تدعو كلها إلى التفكير العميق لكن لا يستطيع أي أن يتحمل أي واحد منها . أو كلها مجتمعة، حتى لو صحت، الاحكام الطاعمة التي رتبها عليها الكاتب الكبير؟ يبدو لي أن الأمر أخطر من أن يترك لتأليف نصير . وأرجو أن تنصع اليسار صديرا لحمايته.

فى التقرير السرى للبنك المركزى



٧ر١ مليار جنيه زيادة فى الديون المحلية

٢ر٢ مليار دولار زيادة فى الديون الخارجية.

كما بلغت ديون الحكومة باسم أذون الخزانة ٣٥٢ مليار جنيه.

وكشف التقرير عن أن دول نادى باريس تستحوذ على ٢٧٢ مليار دولار من إجمالي الديون الخارجية تمثل ٨٢,٦٪ كما أن الحكومة مدينة للمؤسسات المالية الدولية والاقتصادية بنحو ٣ر٨ مليار دولار وبنحو ٧٠٠ مليون دولار للدول غير الأعضاء بنادى باريس.

واحتلت فرنسا قائمة الدول الثامنة وتقدمت على أمريكا لتبلغ مديونياتها ٦ مليارات و ٦٢٤ مليون دولار ثم أمريكا بنحو ٦ مليارات و ٥٩٧ مليون دولار واليابان بحوالى ٥ مليارات و ٥٥ مليون دولار وألمانيا ٣

جنيهاً.

وكشف التقرير عن أن الحكومة مدينة للتأمينات الاجتماعية (حصص المزمين عليهم) بنحو ٢٥ مليار و ٨٠٠ مليون جنيه وبنحو ٢١٩ مليار لصندوق التأمين الاجتماعى للعاملين بالدولة وبنحو ٥٣٥ مليار جنيه عبارة عن صكوك وسندات على الخزانة العامة وسندات الاسكان.

محمود الحضرى

ذكر التقرير السرى للبنك المركزى أن الديون الخارجية ارتفعت إلى ٣٣ مليار دولار بزيادة ٢ر١ مليار دولار بين عامى ١٩٩٥/٩٤ و ١٩٩٦/٩٥ كما ارتفع الدين العام المحلى إلى ١٣٤ر٧ مليار جنيه بزيادة ١٠ر٧ مليار جنيه عن نفس الفترة. وبهذا يصل الإجمالى العام للدين بعد تفرغه بالجنيه إلى حوالى ٢٦٣ر٥ مليار جنيه.

ويبلغ نصيب الفرد من سكان مصر من الديون المحلية إلى ٢٢٢٠ جنيهًا ومن الديون الخارجية ٥٤١ دولاراً أى حوالى ٢٩١٠ جنيهات ليصل إجمالى نصيب الفرد من الدين العام الإجمالى محلى وخارجى نحو ٤٢٣٠ جنيهًا بمتوسط للأسرة المصرية من خمسة أفراد ٢٩ ألف و ٦٥٥

متوسط ديون الاسرة المصرية

٢١٦ ألف جنيه

الاسعار زادت إلى ٩٩٪

والبطالة ٩٦٪

القابلة للتسويق.

وطالب بتطوير نظام المعلومات لدى الجهاز المصرفي لمكافحة ظاهرة غسل الأموال بالتسويق مع كل الأجهزة الحديثة بالحكومة. وتطور النظام القضائي لحسم المنازعات خاصة فيما يتعلق بالاستثمار الأجنبي.

وأوصى تقرير البنك المركزي السرى، الذى تنفرد البصار بنشره تفصيلاً منذ «دورها» بالعمل على تطوير سوق المال لاستيعاب تداول أسهم الشركات المطروح للبيع خلال المرحلة المقبلة.

ودكر البنك فى توصياته على إقامة مشروعات تكاملية مشركة على أسس متكامل مع الدول العربية.

وحول خدمة الدين قال التقرير أنه بلغ نحو ١٣٩ مليار جنيه بالنسبة للمدى الحالى عبارة عن أقساط وفوائد مقابل ١٨٩ مليار جنيه عام ١٩٩٤/٩٣.

أما بالنسبة للدين الخارجى فقد بلغت أعباء نحو ٩٨ مليار دولار بزيادة ١٢١ مليون عن العام الأسبق - وتم سداد ٣٦١ مليون دولار كإقساط وأوامر لمصارف فوائده.

وبس نفس الوقت انخفض حجم الدين التى تم تسويقها بالبيع فى نطاق تمويل الدين إلى ٣٩٣ مليون دولار عام ١٩٩٥/٩٤ مقابل ٧٥٨ مليون دولار.

وكشف التقرير أن الشراء بالتقسيط للنسب المعمرية نتيجة محدودية الدخل - وشراء المساكن استحوذ على ١٦ مليار جنيه من إجمالى الائتمانات التى قدمتها البنوك واستحوذ القطاع الخاص على ٣٩٨٪ من إجمالى الائتمان المصرفى بزيادة ١٣٧ مليار جنيه مقابل زيادة ٧٢ مليار العام الأسبق. وتقلص الائتمان للقطاع الأعمال العام بشكل ملحوظ ليحصل على ١٨٨٪ فقط نتيجة سياسة الحكومة لخصخصة هذا القطاع.

وأشار إلى أن انخفاض العائد على أذون الخزانة بعد خصمها العام الماضى بلغت قيمتها ٣٥٢ مليار جنيه. بدأت

وكشف التقرير عن ١٧ مليون مواطن يتلقون مدد بطالة ٩٦٪ من إجمالى قوة العمل البالغة ١٦ مليون و ٤٥٢ ألف عامل. وقال أن التضخم فى أسعار الطعام والشراب عام ١٩٩٥/٩٤ بلغ ١٢٨٪ وفى الخدمات ٩٨٪ والتعليم والثقافة والرياضة ٨٨٪.

وأوصى التقرير بضرورة الاهتمام بسياسة إعادة توزيع الدخل القومى لصالح الفئات محدودة الدخل، عن طريق تطوير البنية الأساسية والخدمات والصحة والتعليم بالمناطق المحرومة، ومدة مظلة التأمين الاجتماعى لفهم القادرين.

كما طالب فرض رسم سنوى على المشروعات لتمويل برامج حماية البيئة، والغاء نسبة ٥٪ من أرباح القطاع العام المخصصة لشراء سندات حكومة ومصارفها بالشركات الخاصة، والسرعة بإصدار قانون موحد للنشاط الاقتصادى.

ودعا إلى إعادة هيكلة الدين العام الحالى ووضع استراتيجية مرحلية لإصدار مزيد من السندات الأطول أجلاً، وتقليص الاصدارات من أذون الخزانة والسندات غير

ملبار و ٨١٧ مليون دولار والبنك الدولى ومؤسسة التمويل الدولية ٢ مليار و ٧٩ مليون دولار. وأكد التقرير أن البنك المركزى تدخل فى السوق المصرفية بعبء وشراء لتحقيق الاستقرار فى سعر صرف الجنيه للمحاولة دوى انخفاض مبلغ الاحتياطى لدى البنك المركزى ١٧٩ مليار دولار بزيادة ٩٠٠ مليون دولار عن العام الأسبق.

ويوضح التقرير أنه رغم انخفاض المعجز الكلى فإن معدل التضخم بلغ ٩٩٪ بزيادة ٣٥٪، وأرجع ذلك إلى التضخم المستورد - القرارات التنظيمية لتداول السلع فى السوق المحلى - وزيادة الصادرات على حساب الاستهلاك المحلى وهو ما انعكس على المعروض من السلع محلياً مقارنة بالطلب.

كما تراجع بشكل ملحوظ الفائض الكلى فى ميزان المدفوعات من ٢٠٢ مليار دولار إلى ٨٠٠ مليون دولار فقط، حيث انخفض الاستثمار الأجنبى إلى ٧٨٢ مليون دولار وارتفعت الواردات السلمية الكلى إلى ٢٠٣٪. لتصل إلى ١٢٨ مليار دولار كما ارتفعت أرصدة البنوك العاملة بصر لدى مراسليها بالخارج.

تنخفض قيمة الآذون لتصل إلى ٢٦٩٩ مليار في نهاية يونيو ١٩٩٥.

وفي مقابل انخفاض المائد على الروائع بالجنبة المصري ليدل إلى ٩٠٪ في المتوسط ، ارتفع المائد على الدولار من جديد ليدل إلى ٥٪ مقابل ٣٠٪ العام الماضي.

ونتيجة تدخل البنك المركزي في سوق الصرف بعملاً وشراء استقر سعر صرف الجنبة أمام الدولار ليدل ٣٣٩٧ قرشاً مقابل ٣٣٩١ قرشاً بين عامي ٩٤/٩٥.

وارتفع عدد فروع البنوك الأجنبية التي تم السماح لها بالتعامل في الجنبة إلى ٧ بنوك بزيادة بنكين خلال هذا العام (سنة التقرير) علاوة على البنك العربي الأصيلي الدولي.

القطاع الخاص

الأول في القروض

وأشار البنك في تقريره إلى أنه بسبب الفاء السوق الائتمانية وانخفاض معدل الفائدة فقد زاد اقبال القطاع الخاص على المطالبات الائتمانية حيث بلغت ١٦٦ مليار جنيه منها ١٢٤ مليار لقطاع الأعمال الخاص و ١٠٤ مليار لقطاع المعالي. وتركزت مطلوبات قطاع الأعمال العام على قطاع التشبيد ومواد البناء حيث سحب القطاع العام ٩٠٠ مليون جنيه منها ٨٠٠ مليون لقطاع التشبيد. وتراجعت مطلوبات القطاع الحكومي والهبات الائتمانية إلى ٣٦ مليار منها ٢٥ مليار جنيه للهبات الاقتصادية والقطاع الحكومي ٩١ مليار جنيه.

وأشار التقرير إلى ارتفاع حجم الروائع بالبنوك العامة داخل البلاد إلى ١٥٩٥ مليار جنيه بزيادة ١٣٣ مليار بمعدل نمو ١٢٪ بين عامي ٩٣/٩٤ و ٩٤/٩٥. وحازت البنوك التجارية العامة الأربعة على نصيب الأسد حيث بلغت الروائع بها ١٢٢١ مليار جنيه بما يوازي

التقرير يطالب بإعادة توزيع الدخل القومي لصالح الفقراء

٢٦٩٪ من مجموع المركز المالي لهذه البنوك البالغ ١٣٤٢ مليار جنيه.

وشهد عام ٩٤/٩٥ تأسيس أول مجموعة صناديق استثمار بلغ عددها ٧ صناديق خلال سنة التقرير بلغت رؤوس أموالها ١٣٠٠ مليون جنيه ، تراوحت بين ٩٠٠ و ٤٠٠ مليون جنيه وتم تغطية الاكتتاب فيها بنهاية العام الماضي. ومعظمها يعطى عائداً ربع سنوي أو نصف سنوي.

ولرصد انخفاض عدد البنوك العاملة في البلاد إلى ٨١ بنكاً منها ٤ عامة و ٧٤ مشتركة وخاص و ٣٢ استثمار وأعمال منها ٩١ استثمار و ٢١ قرشاً لبنوك أجنبية و ٢٨ بنكاً متخصصاً وزاد عدد البنوك الأجنبية المتعاملة في النقد المحلي إلى ٧ بنوك وما زال هناك ١١ قرشاً يقتصر تعاملها على النقد الحر.

تراجع سوق الصرف

تراجع سوق الصرف في النقد الأجنبي بشكل كبير حيث يبلغ الفائض ٦٠٠ مليار دولار مقابل ٤٠٠ مليار دولار للعام الأسبق- وأرجع التقرير ذلك إلى تصاعد الاستخدمات بتقدير ٩٣ مليار لتصل إلى ١٦٠ مليار مقابل ١٠٠ مليار دولار عام ٩٤/٩٣. كما أن عمده اقتصر على ٢٩ مليار دولار لتبلغ ١٧٤ مليار دولار. وبلغت مشتريات البنك المركزي من النقد الأجنبي له سعر الصرف ٣٥ مليار دولار مقابل ٤٠٠ مليار العام الأسبق. وأسفرت معاملات البنك المركزي

الأسبق. وأسفرت معاملات البنك المركزي عن عجز ٢٠٠ مليون دولار مقابل فائض العام الأسبق ١٠٠ مليار دولار حيث بلغت الاستخدمات التي قام بها البنك ٣٧٧ مليار.

شركات الصرافة

وأشار التقرير إلى عارضة شركات صرافة جديدة نشاطها برؤوس أموالها ٩ ملايين جنيه ليرتفع عدد الشركات إلى ٨٨ شركة بإجمالي رأسمال ١٥٨٥ مليون جنيه ويتبعها ١٠٩ فروع وحقت تلك الشركات فائض ٩٢٧ مليون دولار بانخفاض ٧٨ مليون دولار عن العام الأسبق. وجلبت مراراً ٥ مليار و ١٢٩ مليون و ٤٠٠ ألف دولار.

وحول ميزان المدفوعات قال التقرير أنه تراجع الفائض الكلي فيه إلى ٧٥٩ مليون دولار مقابل ٢١٥٨ مليون العام الأسبق. وذلك نتيجة انخفاض في الاستثمارات الأجنبية المباشرة وارتفاع أرصدة البنوك لدى مراسليها بالخارج.

ولرصد ارتفاع معدل التحويل من ١٨٠ إلى ٢٧٢ مليار دولار وذلك لارتفاع سعر التصدير من ١٢ إلى ١٥ دولار. للربيل وفي ذات الوقت انخفضت الكميات المصدرة وتضاعفت صادرات القطن لتصل إلى ٣٠٠ مليون دولار. مقابل ٤٥ مليون في السنة السابقة للتقرير كما ارتفعت حصة ترمين السفن والطائرات لتصل إلى ٣٠٩ مليون دولار مقابل ٢٧٢ مليون دولار.

كما لرصد أيضاً زيادة الواردات بنسبة ٢٠٣٪ لتصل إلى ١٢٨ مليار دولار وسقطت الصادرات غير القطن والبرول وتبين السفن زيادة ٩٩٣ مليون دولار نتيجة التوجه إلى التصدير حتى لو على حساب السوق المحلي واحتياجاته السلبية مما زاد التضخم.

ولكن كان هناك مرسوم آخر ثقل في تحسن نسبة تغطية حصة الصادرات للمدفوعات الواردات من ٣١٠٣٪ إلى ٣٨٧٪.

وزادت حصة موارد قناة السويس لتصل إلى ٩٣ مليار دولار بزيادة ٤٠٣٪.

سارق الأحلام .. مجتمع للبيع

بدلاً من محاربة الارهاب مجمع الالومنيوم

مراقبة جودة الانتاج يستعد للحصول على شهادة الايزو I.S.O. (الجودة الشاملة) وإلى أن مصر للالومنيوم تحتل المركز الأول بين مصانع الشرق الأوسط وأفريقيا في الانتاج المشتمل بالنسبة لحجم الانتاج، بالمركز الأول في مدينة احتياجات السبق المحلي، والذي يبلغ حجم طلباته بالشركة إلى المركز الخامس في ترتيب الصادرات.

وتتميز الشركة عن منافسيها العالميين في كون أن الأزمات جميعها تخضع لإدارة أجنبية ويتم شراء جميع التقنيات من الخارج، في حين أن الإدارة في المجمع وطنية بالكامل ويتم تقديم جزء كبير من التقنيات كلها حتى أن نسبة المكون المصري زادت عن ٤٠٪ في مصنع الدرفلة.

إنه الوحيد الذي يخضع لإدارة وطنية بالكامل.

أيضا تشير الأرقام إلى ارتفاع متوسط أير العامل (التقدي والعملي) من ٥٣٩ جنيه عام ٧٦ إلى ٨٦٨ جنيه في عام ٩٤/٩٥.

خدمات اجتماعية

وتشير الأرقام إلى أن التكلفة الاجتماعية والمعملة ذاتها من مصر للالومنيوم وبالقائمة الدفترية قد بلغت حتى عام ٩٥/٩٤ ٩٣ مليون جنيه منها ٦٩ مليون جنيه للمدينة السكنية و ٢٤ مليون للمعهد الفني والمدارس و ٦٧ للبنادى الرياض و ٨ طرق داخلية و ٣ خطوط السكك الحديدية و ٦٩ طرق

ملهاير جنيه تحصلتها ميزانية شركة مصر للالومنيوم بالكامل، دون أن يغفل الرقم لخدمة الأرض وشبكة الكهرباء والخدمات المطورة للشركة من الأصل.

والأرقام تشير أيضا إلى أن المصنع بدأ انتاجه عام ٧٦ بطاقة ٤٤٥ ألف طن ارتفعت في ٩٥/٩٤ إلى ١٨١ ألف طن، وبمستهدف زيارتها خلال السنوات القليلة القادمة إلى ٣٠٠ ألف طن. مع بدء انتاج مصنع الدرفلة وعناصر الحلأ المطورة.

وما بين عامي ٨٧/٨٨ و ٩٧/٩٦ ارتفعت مبيعات المصنع من ١٦٨ ألف طن إلى ١٨٩ ألف طن، كما زادت الصادرات من ٩٥ ألف طن إلى ١٢٣ ألف طن من نفس النوع.

صادرات

ومنذ نشأته لم يحقق المصنع الألامنيوم أي خسائر في أي عام من الأعوام، بل حقق دائما أرباحا كما أن إنتاجه لم يعرف الكساد حيث لا يزيد المخزون عن احتياجات شهر واحد لتجسبا للظروا، طلبات مفاجئة، مشاكل نقل.. الخ.

وأن حجم صادراته قد تراوح بين ٦٠ و ٧٠٪ استأثرت الأسواق الأوروبية منها بنسبة ٨٢٪ لحاجاتها الأشد لمنتجات الالومنيوم في الصناعات المتقدمة (السلن والطائرات، القطارات .. عاكسات.. الخ). كما أن المجمع وبعد ٣ سنوات من

الهدف هذه المرة.. مصنع الالومنيوم، وهو ليس مصنعا أو مجمعا صناعيا، بل صمما ومجمع وتكنولوجيا ورسالة.

ورغم أن للمجمع والرسالة توازن ولا تعد، فقد يكون من المفيد البدء بحدث الأرقام بعد أن ملأت الحكومة الدنيا ضجيجا بأرقام منتزعة من سياقاتها الاجتماعية التاريخية ليهان الترف الذي سببه التطلع العام للاقتصاد اللامع دون أن تذكر كلمة واحدة من دوره في تحقيق التطوير الرأسمالي والمجزة، بخطط التنمية، أو التضامن الاجتماعي، وخدمة الجمهور الخرس في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر..

حديث الأرقام: إنجازات

والأرقام تشير إلى أن المجمع الذي طرحه الحكومة في مزاد البيع حقق في العام المالي ٩٥/٩٤ صافي أرباح بلغت قيمتها ١٧٩ مليون جنيه عن حجم مبيعات بقيمة مليار جنيه، بوزن حصيد الصادرات بلغت ١٨٤ مليون دولار، وهي قابلة للزيادة ببدء انتاج مصنع الدرفلة خلال شهر، بطاقة ٦٠ ألف طن ترتفع إلى ١٢٠ ألف طن قبل عام ٢٠٠٠، خصوصا وأن أسعار المورفلات (الالومنيوم الخام) ترتفع عن أسعار الالومنيوم الخام ونصف الشكل الذي ينتج منه المجمع الآن ١٨٠ ألف طن في العام بقرابة ضحكين إلى ثلاثة أضعاف.

وتشير الأرقام أيضا إلى أن تكلفة انتاج وتجدير مصنع الدرفلة قد زادت عن ١٢

دخل المزداد

محدث الزاهد

خارجية و ٥٠ الشبكة الخارجية والمعالجة و ٣٥ مليون للمزارع و ١٢٠ مليون للمستشفى و ٦٠ لدار الحضانة و ٣ لخدمة الطفل ونادى الكمبيوتر.

أيضا تشير الأرقام إلى ارتفاع الضرائب والرسوم السلعية التي تحصلها مصنع من ١٩٠ مليون جنيه عام ٧٦ إلى ٨٩٨/٩٤ مليون في عام ٩٥/٩٤ وارتفاع الوفرات المستخدمة في الاستثمار في السوق المحلي من ١٨٠ مليون إلى ٩١٣ مليون عن نفس الفترة وارتفاع القيمة المضافة الصافية من ٩٩ مليون عام ٧٦ إلى ٤٥١٤ مليون عام ٩٥/٩٤.

شريان للاقتصاد

وتوضح أرقام ميزانيات الشركة أن المجموع قد حقق عائدا للاقتصاد القومي منذ نشأته عام ٧٦ إلى آخر ميزانية بلغ ٧٠٠ مليار جنيه منها ٩٩٩ مليون جنيه (مليار تقريبا) ضرائب ورسوم سلعية، و ٢ مليار وفورات مستخدمة في الاستثمار و ٢٥٠ قيمة مضافة صافية (أجور، إيجارات، فائض ميزان تجاري.. إلخ).

و ١٢٠ مخصصات حتى ٩٥/٦/٣٠. وفي عام ٩٥/٩٤ دفعت مصر للاقتصاد ١٨٠ مليون جنيه ضرائب وحصار وصدت قانونا كهرباء. بلغت قيمتها ٢١٥ مليون جنيه بوزن الترسعات ببناء مصنع الدرفلة الذي زادت استثماراته عن ١٢٠ مليار فإن الشركة ليست مهيئة للهلاك أكثر من

٧١٤ مليون جنيه. بينما تحتفظ بوزائع نقدية وسندات تبلغ قيمتها ٦٦٣ مليون جنيه، ويحساب فرق القروض والودائع، فإن الشركة رغم توسعاتها المالية ليست مدينة.

نحن إذن أمام صرح صناعي كبير دخل مزاد البيع ب ١٢٠ مليار عائد للاقتصاد القومي بينما يتهرب رأس المال الخاص من الضرائب أو تقدم له الإعفاءات منها. وحتى لو تم خصم قيمة الضرائب والرسوم السلعية فإن العائد (وليس التزييف) لن يقل عن ١٢٠ مليار جنيه. هنا فضلا عن حجم الأعمال وفرص العمل التي وفرتها مصر للألومنيوم لشركات المقاولات وأبناء المنطقة المرتبطين بها، والتي لم يتعرف عليها يوما منذ إنشاء المجموع في أعمال التشييد والبناء وصرف الطرق في مدينتها المتنازعين العرب وسيتملكو وميتلكو.

منتجات

وكل ما سبق من أرقام يرتبط بمنتجات المجموع من «الاسطوانات» و «النجاشنة» و «الاسلاك» و «البلاطات» و «لغات الشرائح» و «التراب» و «الكتل» و «البسائلك» و «الألواح المدرفلة» والصاج المدرفل والواح الصاج المربعة وهي منتجات تستغنى لأغراض صناعية عديدة في الانشاءات المدنية والاستخدامات المنزلية وكابلات الكهرباء، والأواح الطباعة والمعدات الفنية وأصعال التفكير وصناعات السيارات والطائرات والطائرات والسفن وغيرها.

فظهر مجمع الألومنيوم أدى لتفلية صناعات عديدة في السوق الوطني، العام والخاص، باحتياجاتها من الألومنيوم الخام ونصف الشكل، كما بدأ بعض المستثمرين مع إنتاج مصنع الدرفلة في إنشاء صناعات في مدينة ٦ أكتوبر تعتمد على المدرفلات، ففكرة الدرفلة تقدم على تحويل الكتلة الخام والبلاطة والتي قد يصل سمكها إلى ٨٠ سم إلى شرائح يقل سمكها عن ٣ مميلي حسب الطلب - بطريقة يمكن تبسيطها بصنع الطائرات أو ماكينات الشعر وما تتقدم الكتلة في السبك تكسبه في الطول غير أن الدرفة تتم تحت ضغط طاقة عالية لإكساب المعدن «الدرفلة» اللازمة للتشكيل ..

بهذا التطور يخرج مجمع الألومنيوم من دائرة المنتج الخام إلى دائرة المنتج التام لينافس السبعة الكبار في السوق العالمي بمنتجات نهائية يتبع ويتوسع استخدامها في مجالات الصناعة حتى ألواح الطباعة الرقيقة، وورق تغليف الغذاء فاليدرفلة يكتسب الألومنيوم كل صفاته كمدن العصر يصلاته العالية ومرونته الفائقة.

هذا عن الأرقام والمنتجات والاتاق قفادا عن الأصول!.

مصانع ... مداورس ... مدن ... هوانى

تضمحل أصول المجموع الذي أقيم على ٥ آلاف فدان كانت صحراء ... صحراء على تخوم مدينة نجع حدادي ٥ آلاف فدان عصرها أداة البشر بختيار إنتاج الحلابا وعقار معطوية ومصنع لاتجاج شرايخ والمعدات أخرى للأطباء، ومصنع قلم باستدراء القلم الأخضر وتصديره قلم محصن، ووروش إنتاجية لقطع الفهار والصيانة، وعقار لاجراء الصمرات المسجمة ومصنع الدرفلة على الساخن والبارد ومعدات توحيد كهربائي تنقية غازات ومطعة مياه ومرآتي وصوامع تخزين في نجع حدادي وسفاجا والأسكندرية والقاهرة وصنادل نهريه وأرناش وأسطول نقل برى و ٣ مدن سكنية و ٤ فنادق ومصيف للعاملين بسفاجا ومزعين وغابة لامصاص الخثول ومطعنين للحم الحمراء والبهاء ومطعنين للالبان ومخزنين بوسون تجاريين ونادى رياضى ومستشفى ومدارس لكل مراحل التعليم، ومعهد فني بعد الثانوية، مركز إعداد مهني، وستراكل ومكبنة طفل ومعهد كمبيوتر فضلا عن مبانى الإدارات.

هذا أهم أصول مصر للألومنيوم، والتي تبلغ قيمتها التقديرية ٥٠٥ مليار جنيه فقط، وتزيد في تقديرات الخبراء على رقم الـ ٩٠ مليار.

ولكن يبقى بعد حديث الأرقام والأصول انها ليست أرقام أو أصول ومصنع أو مجمع صناعي - بل مجمع عمراني ظهر في رقعة من الصحراء، جنوب الصعيد، بعيدا عن الزاوى لسفاد من المجموع.

توربينات السد

في البدء كان الموقع صحراء لا يسكنها غير المزارعين وقطاع الطرق. وفي البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة للتنمية. وكانت إحدى الفرص المتاحة في المغرب بعد اكتشاف بناة السد - اثر معركة من معارك الإرادة استهدفت مراجعة سنرات بقاء النهر وتحريك قطعة من الصحراء إلى مساحات خضراء .. بعيدا عن هذه الصحراء بمساحة ٣٦٦ كم شهد عهد الناصر وغرورشوا الاحتفال باستكمال المراحل النهائية لبناء السد العالي، وبدأت التوربينات تدور، بوقتير طاقة كهربائية تساوى ١١ مليار كيلو - واط - سنويا، وهي طاقة كانت مهددة لتفقدتها في غياب شبكة موحدة ولضعف الاستخدامات المحتملة.

من هنا بدأ التفكير في إنشاء مجمع الالومنيوم وصناعة الالومنيوم في باخترام طاقة مملوكة فاحد اهداف المصنع كان استغلال الكهرباء الزائدة عن الحاجة في اغراض التوسع الصناعي والمجمع يستهلك قرابة ثلث طاقة السد.

قطع

يبدو أنه من الضروري هنا القيام بعملية قطع بنقرة من البدء إلى الخاتمة نمرود بعدها للمباني فانصار المخصصة يروجون اليوم قرية تقول إن المجمع سيق كهراب السد، أو حصل عليها بخراب الفلوس وأن اربابها بالتالي زائفة..

طبعاً يحتاج انصار هذه القرية إلى الطاقة التي ولعها السد، كانت في هذه الزاوية المرحلة مهددة، بأن المجمع من غير الزاوية كان أكبر مستهلك ومرشد للطاقة.

ولكنهم يحتاجون أيضاً أن المجمع قد حصل على الكهرباء، ارتفعت من ٢٠ مليون في له. و.س (كيلو واط / ساعة) عام ٧٩ إلى ٦٨ مليون عام ٩٥/٩٤ زيادة أكثر من ٢٧٠٪، ويحتاجون أيضاً أن مجمع الالومنيوم يحصل على الكهرباء.

بماضر الأولى من كل ميفلاحة التي دول العالم عدا الدول الأوروبية التي تحصل على النفط من الطاقة والمحطات النووية التي ترتفع تكلفتها من الطاقة الهيدروليكية من مصدر مائي لا يستهلك خامات، فبينما بلغت أسعار الطاقة مكرمة بوحدة ميكر / كيلو واط (عام ٩٥) ١٩٩ في أمريكا وأوروبا في كندا و ١٥٢ في أمريكا اللاتينية و ١٧ في إفريقيا و ١٦٩ في دول الشرق الأوسط وصلت في مصر إلى ٢٠٠ ولم تزد عنها غير الدول الأوروبية بمعدل ٢٢٥ ميكر / له. و.ط.

أكثر من هذا لأن مجمع الالومنيوم اقترح إنشاء محطة توليد خاصة به بشرط ربطها بالشبكة الموحدة - لأسباب تقنية - ولن وزارة الكهرباء لم ترد حتى الآن.

تكنولوجيا وعمران

المهم، أنه تم اختيار موقع في الصحراء كان يسمى بالهوءو بعيداً عن الراديو بولا يبعد كثيراً عن السد المالي، وعن ميناء سفاجا (٢٣٠ كم) لانشاء المجمع بهدف تحقيق نقله عمرانية وحضارية في المنطقة ومحيطها، حيث يعمل في المجمع قرابة ١٩ ألف عامل

وهي من النسب المرتفعة في الصناعة المصرية. فضلاً عن الآلاف الذين ارتبطوا بأعمال شركات المقاولات، أو الذين استفادوا من المظلة الإحصائية للخدمات التي وفرتها للمجمع في المحيط.

بالفردين، وبعد انقطاع أو ركود في أعمال الانشاء منذ انقضاء قرار المجمع، بسبب حرب ٦٧ وحروب الاستنزاف، ظهر المجمع للوجود عام ٧٦ ولم يعد قاصراً على العتابر المشرفة التي تضم ٤٦٠ خلية انتاج حيث جرت التوسعات: مصنع الاقطاب، مصنع المليات، القمح، ورش قطع الفخار والعمرات والصيانة، مصنع الدرفلة.

وكانت الحركة تتم في كل اتجاه: انشاء مدن سكنية، تفهيد طرق، مد خطوط سلك حديثة، انشاء مدارس، معاهد، محطات توليد كهربائي وتنتية غازات، غابة لامتناهى العتول، نادي للشباب الرياضي والاجتماعي، مستشفى، مزارع، اسواق تجارية، محطة تنقية لمياه الشرب، حدائق... باختصار سارت حركة العمران في كل اتجاه وشهدت لها جزءاً من نشاط شركات أخرى.

كما بدأت منتجات الالومنيوم في تقنية الصناعات المصرية، ومن خلال العمل القوي للتواصل الذي تحصل عليه آلاف العاملين وفي مقدمتهم د.مهتس يوسف اسماعيل مؤسس المجمع ومهتس سليمان رضا رئيس الصناعة الحالي، والذي تولى قيادة الفريق كرئيس لمجلس الادارة من عام ٨٢ : ٩٥ في مرحلة التوسع والازدهار.

دعم اجتماعي من المصنع للمحيط

تمحورت رقعة الصحراء إلى عمران تمحاور اثر الخمسة آلاف فدان حيث فتح المعهد الفتي لبرابه الادب، المحافظة والصعيد وبكت دراسات المعهد، الذي مولته الشركة بين فروع التخصص وصناعة الالومنيوم والتدريب في العتابر والورش، ويجري تعيين خريجين حتى دفعة ٩٣ في اقسام المصانع، بينما شهد اساتذة الهندسة لطلاب المعهد الذين يستكملون الدراسة في الجامعات بالتفرق والتبرع، بفتحت المدارس والنادي لبرابه لانياء قنا، حتى مدرسة التربية الفكرية للمعوقين، والتي مولتها الشركة، لم تقتصر على أبناء العاملين، وحتى ان الشركة ترسل اتريبياتها لنقل الاطفال المعوقين من القرى

والفرج إلى المدرسة..

وبالساكنات الذاتية وفر المجمع للعاملين فيه مزايا مهمة سكن رخيص نظيف رعاية صحية مجانية.. اجور معقولة.. نشاط رياضي واجتماعي، مصيف بشارك بسيط.. وسائل انتقال كافية للعاملين في القرى.. مكتبة اطفال ومعهد كمبيوتر وجارى الان انشاء محطة لتنقية مياه الشرب لارتقاء المجمع عن متروبول النيل فلم يستهلك منه قطرة واحدة..

باختصار تحصلت الشركة عن وزارات التعليم والثقافة والصحة وجهاز الرياضة والشباب ومحافظة قنا وغيرها بعض الامعاء وامرست في المحيط دوراً اجتماعياً لانياء المجمع، حتى ان اشهر قطاع الطرق في صحراء الهو تمحولوا إلى عتقر مشهود لهم بحسن السير والسلوك.

ورفال عملية البناء قنت كرادير فنية وطنية استطاعت ان تحقق كل المجهزات التوسع الصناعي اللاحق، بأن تجري عمليات تطوير شملت زيادة العمر الافتراضي للخلايا - في التصميم الروس - من ٤٢ شهر إلى ٥٦ - ثم ٨٠ شهراً وإنشاء ٤ عتابر مطورة لتسهيل استهلاك الطاقة نسبة العتول باستخدام طريقة (الاراد سابق التجميع) الذي يرفع الانتاجية بنسب الطاقة بقرابة الثلث، بواكبه تطوير في محطة تنقية الغازات وادخلت طريقة التحكم الآلي لتفقيض اسفالي في استهلاك الطاقة في ١٦ ألف له. و.س. لانتاج طن الالومنيوم إلى ١٤ ألف فقط.

وبالاعتماد على الخبرة الفرنسية تم إنشاء مصنع الدرفلة الذي وسع من نظام استخدام الحساب الآلي، حيث يعمل مصنع الدرفلة بنظام الأكتة الشاملة، ويجري التشغيل - في كل المراحل بالكمبيوتر، وتراقب الانتاج كاميرات فيديو داخل الخطوط، وتبث على الشاشات مرحلة الإنتاج للمهندسين والعامل الفنيين في كل مراحلها وتولى الادارة مهتس. ب. مصريين اكفاء قاموا بكل أعمال التصميم والتركيب، كي يتولى أعمال التشغيل شركات المقاولات المصرية.

لقيام المجمع بانشاء مركز بحوث متطور بالتعاون مع الجامعات المصرية، ونظم المراكز عدة ندوات شاركت فيها جامعة جنوب الراوى بكتليات الهندسة والمعلوم وقسم اجضاع بكلية الاداب، كما شارك فيها نخبة من اساتذة وخبراء الاقتصاد والصناعة فتلقت المجمع تفاعلاً حياً متصلاً مع البيئة المحيطة وكل المجتمع، وكان من الطبيعي ان تكون انتاجية

الرأسمالية تقتل عمال حلوان

فاطمة فرج

أما ما يميز الكفر فهو هذا التراب الأبيض والرائحة النفاذة للاستمت طوال الليل والنهار الذي يسببه فائد من الاستمت يعادل ٥٠.٥٪ من طاقة الانتاج للاقبار .. ويتبع تراب الاستمت ٥٠٠٠ ميكروجرام/م³ مع العلم أن الحد الأقصى المسموح به دولياً من ٢٥٠ - ٥٠٠ ميكروجرام/م³.

وأوضحت الكثير من الأبحاث التي قامت بها مراكز البحوث ومستشفى عين شمس والمعونة الأمريكية الاضرار الصحية الجسيمة لهذا التراب الأبيض الذي يستنشقه اهالى منطقة حلوان باستمرار ومنها ان ابو الشمس وتلف الرئتين الذي يعانى منه ٥٠٪ من عمال المصانع، وعصبه الالامية المعلقة الالزمة البنفسجية التي تسمى الاطفال من الالامية مرض الكساح ولين العظام وتبلغ نسبة الإصابة بالتهابات المفاصل ٥٩٪ بين العاملين بالمصنع بالإضافة إلى الأضرار الجسيمة الناتجة من مادة الاسبستوس، ويعلق احد العمال بالمصنع والعمو عيانه. العمل الصغير يتولد عنده حساسية في صدره .. له نازل من بطن أمه .. من أبة من تهيجة التلوث.

ولم تكن درجة التلوث فى حلوان دائما بهذا السوء كما يقول عمر كامل أحد عمال المصنع وادنا جينا هنا عشان أكل العيش وفى الأول كان المصنع بهيشتغل بالمعجينة وماكتش فى انهيو ويعلمين دخل الطواحين بالاشفنة. وشير مع كامل إلى ادخال نوع جديد للمصانع فى أوائل الثمانينات تعمل بالطريقة

يعانى عمال وسكان حلوان من المرض المزمن والموت البطيء بسبب ٢٠ طناً من الاستمت يومياً تنقلها مداخن مصانع القومية وبورتلاند وطوره. وفى ضوء هذه الحقيقة فمن غير المستغرب أن تتناهب وانت فى طريقك إلى كفر العلو - فى منطقة عشوائية خلف مصنع بورتلاند - حاله من حقن التنفس وعدم التصديق وانت تنظر إلى المداخن والاشمعة للمصنع وهى تنفس عن «هيو» رمادى اللون ينتشر فى الجو ويكسر كل شيء .. ثم تصل إلى ترعة ممتلئة بالقمامة وتعتبر كبرى صغيراً لتدخل إلى الكفر.

وقد ظهر كفر العلو على خريطة العشوائيات فى مصر فى أوائل الستينات وكانت مثل غيرها من المناطق المائلة تمير عن توسع صناعى خارج النطاق العمرانى وعدم توفير سكن مناسب للسكان. ومصابة الكفر ٢٥٠ فائداً كانت فى الأصل أراضي زراعية ويقطن بها ٥٢٠٠٠ نسمة تقريباً بكثافة ٢١٠ شخص / كم^٢ .. ولا تختلف كفر العلو ظاهرياً عن الكثير من العشوائيات فى مصر ، فهى تتسم بنقص حاد فى الخدمات الرئيسية مثل الصرف الصحى و المياه والتعليم ويعيش سكانها فى بيوت صغيرة من طابق أو اثنين وتزدحم طرقها الضيقة بالمعراجا بالقمامة.

وكثيرهم من سكان الاحياء العشوائية يعيش سكان كفر العلو حاليه من السطح كما يحبر عنها محمود احد ساكني الكفر: «المهشة زقت -عقش غير شارعين فهدم مجارى وده علقان الانتخابات وعقش صناديق للزبالة ولما رحنا الحى قال لنا «المزانية لا تصح»!.

العامل من أعلى المعدلات فى الصناعة المصرية وأن يتخذوا العاملين اوراقا ومثل استراتيجية للتطوير حتى عام ٢٠٠٤ - خلال عشر سنوات- من اعداد الوثيقة عام ١٩٩٤ - تناقص بصراحة الإيجابيات والسلبيات والتحديات وتدعم العاملين لفترة جديده.

خس العقل والمنطق والتاريخ

باختصار فإن مجمع الأوتوميوم كما سبق القول ليس ارقاما يمكن عدداً، وإن كانت الأرقام تشهد له، ولكنه رسالة ومجتمع وهى امور تزن ولا تعد...

ومن المفارقات أن الحكومة طرحه للبيع وقد كان ولا يزال رائداً لدعم الاقتصاد وليس شريانا يتزق منه.

ومن المفارقات انها طرحه للبيع وهو مجتمع وليس مصنعاً ومن المفارقات انها دخلت به المزاد ودون أن يطبق عليه الادعاء باستخدام حصيلة المبيعات والفرصة البديلة فالألم لا يثنى سداً عالياً ومجمعا للأوتوميوم كل يوم.

ومن المفارقات انها دخلت به المزاد وهى ترلع شحارات تشجيع الصادرات مع ان الأوتوميوم يشارك فى المراكز الأولى فى الصادرات الصناعية وهو فى سبيله إلى قلزة بتسويق المرفولات.

ومن المفارقات انها تدخل به المزاد وأسره لا تبقى عليها رأسمالية المضاربة التى تحقق عوائد أعلى بكثير - بحساب الأرقام، لا القيمة المضافة من أعمال المضاربة وتجارة الفساد - بينما يخلط على الجميع ماها السبعة الكبار فى سوق الأوتوميوم.

ومن المفارقات انها تدخل به المزاد وهى ترلع شعار تشجيع القطاع الخاص، مع ان الجميع كان رائداً. تنقسم من القطاع الخاص الصناعى.

ومن المفارقات أن الحكومة تدخل بالمجمع مزاد البيع وهى تؤكد أهمية البعد الاجتماعى والجمهور الذاتية بينما تحصل المجمع عينا عن عدة وزارات ومحافظه وهى يارس هذا البعد الغائب.

ومن المفارقات أخيراً أن الحكومة تدخل بالمجمع مزاد البيع وهى تلغ على ضرورة تنمية محافظات الصعيد بينما تفرط لهما تحقق بالفعل فى رقعة من صحرائه .. لو وجد عشرات مثله لما عرف الصعيد طريقه للأرهاب.

إنه ليس مصنعاً للبيع، بل مجتمع وأمل، وحلم.

الجافة وتزود الانتاج بنسبة كبيرة جدا .
ويطلق احد الساكنين في الكثر ومن بعد ما
شغلوا النظام ده والثلاث مصانع خانقين
المنطقة كلها .

والحل الوحيد للتخلص من الهبر في
المصانع الجديدة هو تركيب فلترات لتفنيص المدام
الثاء صموده في المداخن . ومنذ عام ١٩٩١
وتتوالى تصريحات المسترلين بهذا الصدد وتم
اختيار شركة اوراسكم لتزويج وصيانة
الفلترات . ويوجب القانون الجديد تم تركيب
شركة اسنبرو - وهي شركة سويسرية
عربية لحماية البيئة بتابعة هذا الموضوع
. ويصدد هذه التصريحات والتطورات بقول عم
كامل «يا عالم .. قبل كله قالوا ركبوها
فلترات» مشفاهن حايه .. فارتفع في
شركة مبرودة للفلترات ويقتولوا ركبوها في اربع
مدائن . بس الكلام من الاخر ان المصنع ده
حكومة والى مشغله حكومة واحنا المكونين
اللى نل نصنع .

ومرة اخرى يعبر عم كامل عن جهر
المشكلة مشكلة الفلترات انها تستخدم
تكنولوجيا معطوبة جدا وتزويجها
وصيانتها مشكلة جدا لصاحب
العمل .. اعطى بكلمه من اوراق
العمال واسرهم .

يستجد الكثير من العمال ان تكون هناك
فلترات من الاصل وان كانت مبرودة فهي لا
تستخدم . ويوضح هذا على بعض سائقا في
طهران ده «انا ساكن في العزبة القبلية بعيد
عن الكفر والتراب يوصلنا عد هناك .. لو
كان في فلتر مكتشيش تشوفي التراب طالع
من المداخن» . بس هنقول اية الناس هنا
اتعودت على كده .

ويؤكد عامل بالمصنع طلب عدم ذكر اسمه
ان الفلترات مبرودة ولكن «لو في مستور
عنده ضمير كده يمشي يشغل الفلترات صح ..
يعنى مش مهم عنده الانتاج .. لما يبيد
المهندس الانتاج بالليل يتفحصه الاخر ويغنى
الفلتر خالص ونفاجا الصبح يتراب» .

ويوضح احد الاخصائين ان تشغيل
الفلترات يقلل من الانتاج حيث
يعرف المصنع ككل عندما قلل
وحفى يتم تفريلها وايضا بالاضافة
إلى تكلفتها العالية يتسبب أى عطل
بالفلتر بتزويق الانتاج أيضا . وكما نعرف
فشار المرحلة هو زيادة الانتاج ولو كان على
اعتاق العمال واسرهم .

ولكن مشكلة الفلترات لا تقف عند هذا
الحد اين يقف اصحاب المصانع

بالمادم الذى يحجبها . الفلتر عن
الجهد ويرد عامل المصنع «حاولوا يدخلوه
(الهبر) في الاسفلت .. متقمش .. الطوب ..
متقمش .. استخدموه قترية في اسفلت
الطيران ولما لقوا تكلفته عالية بطرو» . وكان
الحل هو ان يتقل المدام من الفلتر إلى
الصعرا بواسطة شحنت حمرتها على طريق
سيد ان وظيفة السائق المسترل عن هذه المهمة
خطيرة جدا حيث انه يقف تحت الفلتر ويعرض
للمادم بكثافة ويقبل البعض هذه الوظيفة
لائهم يأخذون ثلاثة اشخاص اجهم المادى .
ويضيف سيد «لما حب الادارة تدي جزا لحد
يشغلوه على الفلتر لانها شغلته تفرق
وخطيرة» .

وبعد كل هذا فهذه طريقة غير مجدية
للتخلص من المدام حيث يؤكد «وخالد
زكي» مدير شركة اسنبرو ان المدام مع
الوقت يجد طريقه من الصعرا إلى الجهر مرة
اخرى .

وبهذه المستورين ساكني كفر
المطر يطلق المشكلة ويقولون ان المصانع
انشتت في امكان نائية وزحف العشوائيات
حول المصانع هي المشكلة ونسأل هؤلاء
المسترلين هل هناك «لتعاج دوين
عسالة طمعا لا . إذن العامل هو عصب
المصنع وفي هذه الحالة اين يسكن هؤلاء
الاصول من كافر تأكيد غير واضحين عن
حياتهم في كفر الملو كما صرحت زويجة عم
كامل من قهرها احنا عوشتنا صحة قري
مش عارفين نقد من التراب والزبالة» . ولكن
السكن خارج العشوائيات غالى والمواصلات
التي سيكتفها العامل اذا وجد مكانا أفضل
بعيدا عن العمل ستكون أكبر من طاقته .
واكد لى كل العمال الذين تكلمت معهم ان
الحكومة وادارة الشركة أو حتى النقابة لم
تتحرك في طريق ايجاد بدائل لهم . إذن اين
يلعب هؤلاء العمال الذين يكذبهم يزيد
الانتاج؟

اما عن النقابات ودورها فكمثال ليس
لديه ما يقوله : حصل ايه اهر بناخد وجهه في
اليدم» . اما محصوره فيقول : «وقت
الانتخابات تلاقي اللى يقول كاتى ومانى
ومعشش النهارده شاف حايقة» .

ويؤكد كل العمال انهم تكلمت
معهم ان النقابة هتد اكثر باعادة
انتخابها عن حل مشاكلهم
المجهرية .

وعلى الرغم من ان المصنع يوفر التأمين
الصحي للعمال وعائلاتهم ولكن كما يقول

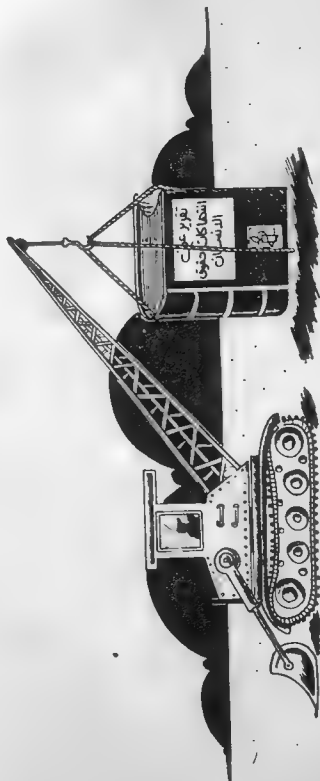
رمضان ديبه في ايه التأمين الصحي .. اى
كلها بهذلة وفي الاخر كلنا عيائين يعنى
عيائين» .

اما في داخل المصنع لا تفرق الادارة
للمداد أى طرق للصيانة ويعتبر رمضان
وانا كنت يشغل في القومية للأسمنت وكانوا
يدونا كاملا لكن مجملش حايقة .
من هناك نهاية لعذاب عمال الاسمنت
واسرهم .

تقول الحكومة ان مشكلة التلوث البيئي
في طرآن في طريقها إلى الحل عن طريق
قانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ الذى ينص
على الانقاص بالمحدد الدولية لتزايح الاسمنت
وشرنا صلاح حافظ - رئيس جهاز شئون
البيئة ان عام ٩٧ سيحدد نهاية المشكلة .
ولكن عمال طرآن يقولون أن هذا لن يحدث
. ويحكى هذا التضارب في وجهات
التفجير مشكلة التلوث البيئي . فالعرف
الساكن في تحليل مشكلة التلوث يدعى ان
هذه مشكلة تكنولوجية وتشريعية . اما حياة
عمال طرآن انفسهم تفضع مشاشة هذا
المنطق . فالتلوث البيئي مشكلة اجتماعية
حيث ان مصالح عمال مصانع الاسمنت
تتناقض مع مصالح الرأسمالية المصرية التى
هي ان حاجة ملحة للتطور عن طريق زيادة
قدرتها التنافسية في السوق العالمية . ويتطلب
ذلك تركيب الاسفلت في القطاع العام
والخاص . وتقلل قدرة الاسمنت في طرآن
مثالا صارخا لهذا التناقض حيث لم يصل
الفلتر إلى هذا الحد بشكل
اعطائى بل كان تعجبه للوعس في
تكنولوجيا معتيرة استرانية
انتاجية تستهدف زيادة الربح .

وبهذا المنطق فتصريحات د . حافظ
عبيد يوم ٣١ يناير ٩٥ بأنه سيتم استثمار
١٠٣٩ مليون جنيه في مصانع الاسمنت (من
ضمناها طر) لزيادة الانتاج بـ ٥٠ ٪ أى إلى
٢٦ مليون طن على عام ٢٠٠٠ لا تشر
بنهاية للمشكلة البيئية الناتجة عن هذه
الصناعة .

ومن الواضح بعد هذه الجولة في كفر
المطر : عمال بورفلاند ان الحل لا يأتي عن
طريق قانون ينقذه مستورين جالسين في
مكاتبهم القمصة في القاهرة مهم الاول
دائما لزيادة الانتاجية والربح ولكن يأتي من
هؤلاء العمال الذين يعيشون المأساة يوميا حيث
أن هؤلاء العمال هم ودهم الذين ليست لديهم
اية مصلحة في زيادة الانتاج على حساب
حياتهم وحياة اولادهم .



ضلعون فانية



ضرورة

السلبية التالية:

- * إغراق السوق بالأجهزة الكهربائية المستوردة، وبضرب مثيلاتها المنتجة محليا.
- * العجز المستمر في قطع القبار، وبالتالي تحكم السوق السوداء في أسعارها.
- * تحول الكثير من هذه الأدوات -نتيجة عدم توافر قطع القبار اللازمة لها- إلى «غردة» بما يحمله ذلك من أضرار اقتصادية على المستهلكين.
- * الأخطر من كل ذلك انتشار الصناعة «السرية» لقطع القبار، بكل ما يعنيه ذلك من مخاطر على المستهلك وانتشار الحوادث التي تصل إلى حد الموت للمواطنين، نتيجة فساد هذه القطع وعدم مطابقتها للأوصاف المطلوبة.

المخسرة للزراع

والتلوث للمستهلكين والملايين المستوردين

- نتيجة للسياسات الحكومية التي فححت الباب على مصراعيه -دون أي رقابة جادة- لما فيها الاستيراد، كانت النتائج في مجال زراعة البطاطس هذا الموسم كما يلي:
- * شراء الزراع لتقاوى رديئة (مثل الدينيز والأجوري)، وبأسعار تقترب من ٣٠٠٪ بالنسبة لأسعار التقاوى الجيدة التي كانوا يستعملونها من التعاونيات.
- * دخول أسدة (مثل مركبات الادوين والفوسفور والسليكون)، ومبيدات (مثل كلوريد الزئبق وفوسفيد الزنك)، مركها مخرمة دوليا لتلويها للمحصول وللبيئة والمياه ولتآكل المستهلك للمحصول.
- * انخفاض إنتاجية الفدان من ٧ -١ طن في الموسم الماضي، إلى ٣-٥ طن في هذا الموسم بما أدى إلى خسارة تقترب أمام ارتفاع أسعار مستلزمات الانتاج - من ٢٠٠٠ جنيه للفدان.
- * ضرب عملية تصدير البطاطس التي كانت لها ميزة تسوية في الأسواق العالمية. فقد انخفض حجم الصادر من ٤٥٠ ألف طن في موسم ٩٤ / ١٩٩٥ إلى ما لا يزيد عن ١٥٠ - ٢٠٠ ألف.

عريان نصف

وفقا للسياسات الحكومية التي تحفى بالكلاء التجاريين على حساب الصناعة والمستهلكين، فقد أصبح عدد محدود من هؤلاء الكلاء سيطرين على سوق الاستمات. فبناء على الأخذ بنظام «ربط الكلاء التجاريين بالمصانع مباشرة» أصبح كل منهم يحصل ليس فقط على حصته المقررة وهي ٣٦٠ طن، بل على ما يقرب من ألف طن برسائل التلاعب والاحمال في الرقابة والمتابعة.

وكان من المنطقى -على ضوء ذلك- تحكم هؤلاء الكلاء في السوق، ورفعهم للسعر من ١٦٤ - ١٨٠ إلى ما بين ٢٣٠ - ٢٤٠ جنيه للطن مهددين بذلك مصالح المستهلكين ومغرقين التجار.

الحوادث للمواطنين والقروا للمستهلكين

وفقا للقرار الوزاري رقم ٢٧٥ لسنة ١٩٩١ - الذي ألقى اشتراط وجود مراكز صيانة في مصر للأجهزة الكهربائية المستوردة - تعرض هذا المجال الهام للأضرار

في العهد الماضي قلنا عرضا لواقع الهيمنة والاحتكار في السوق المصرية بشكل عام وبالنسبة للمحاصيل الزراعية ومستلزمات إنتاجها على وجه الخصوص، مرضعين -بالإلزام الرسمية والمعلومات المرتقة- كيف فككت ما فيها السوق -بفضل السياسات الحكومية- من تكديس ثرواتها بالملايين والملايين مقابل تدميرها للسهولة الواجبة في الانتاج والتعامل في المحاصيل الغذائية والاستراتيجية، واهدارها لصناعات مصرية رئيسية مثل السباد والقزل والنسيج، بكل ما أدى إليه ذلك -بطبيعة الحال- من تروى أضرار الفلاحيين، وتزايد معدلات التضخم والفلا على المستهلكين، بالأضرار الكبير بالدخل العام والاقتصاد القومى.

وسنعرض -استكمالا لهذا الموضوع- لبعض صور ونتائج هذه الهيمنة الاحتكارية على حركة التعامل -الداخلي والخارجي- بالنسبة لعدد آخر من السلع الهامة، ثم نحاول أن نقدم الأجابه على التساؤل الضرورى في هذا المجال، وهو: وكيف تقلد مصر -مستهلكين ومستثمرين- واقتصاد وطني -من هذه الهيمنة المدمرة-؟

انهيار سوق الاستمات

حضور الدولة لمواجهة ماثيا الاحتكار

ثالثاً - العقوبات المخالفين:

١- وجوباً : ١- الحبس من ثلاثة شهور حتى سنتين.
٢- الغرامة من ١٠ آلاف إلى ١٠٠ ألف جنيه ، أو ما يعادل ضعف الكسب غير المشروع الذي تحقق نتيجة الاحتكار ، أيهما أكبر.

٣- مصادرة السلع محل الاحتكار وإلغاء الاتفاقات المخالفة.
٤- جوازاً : الشطب من سجلات التجار أو المستوردين أو الوكلاء والوسطاء التجاريين.

وإذا كان هذا المشروع - لظروف عديدة- قد تأخر صدوره كقانون ، فربما كان في هذا التأخير فائدة ، فلقد أعلن د. جويلى - في الشهر الماضي- أنه سيضاف إلى المشروع- قبل -هـ- على مجلس الشعب -مادة جديدة تقر مبدأ «حق المواطنين في التعويض عن عدم توافر الخدمات التي من المفروض أن تقدمها لهم الوزارات والجهات الرسمية المختصة».

ومع ادراكنا لواقع الأمور - قاننا بالاضافة إلى تقديرنا للدكتور جويلى - نؤكد مرافقتنا على هذا المشروع- بنص صيغته التي عرضناها- آمليين من الله موافقة مجلس الوزراء عليه- وأن يعطي بالتأييد والاقترار من مجلس الشعب.

الحركة التعاونية الزراعية تصرخ وتناشد

وقد أصدر الاجتماع الأخير لمجلس إدارة الاتحاد التعاوني الزراعي المركزي- الذي عقد الشهر الماضي برئاسة السيد محمد ادريس- نداء إلى كل المنعنين بالفلاحين والزراة في تشادهم فيه العمل على تكوين التعاونيات الزراعية من أداء دورها في تسويق المحاصيل الزراعية الاستراتيجية كالقمح والقطن والارز ، توزيع الاسمدة علي الفلاحين.

ففي الوقت الذي ينص فيه الدستور المصري على اعتبار الحركة التعاونية -رخصة- الزراعية -ركيزة- أساسية للمجتمع يحجب دعمها وتطويرها .
وإن رغب من تأكيد مجلس الشورى على



على صدوره.
وبالإطلاع على مشروع القانون ، يتبين أنه يدور على ثلاثة محاور أساسية.
أولاً-

التعريم . لكافة صور الاحتكار المختلفة:



١- إبرام أى عقد أو اتفاق مكتوب أو شفهي ، أو قيام اتحاد «بهدف احتكار استيراد أو إنتاج أو توريد أو بيع أو شراء ، أية سلعة أو مادة تدخل في إنتاجها أو تصنيعها ، بقصد حجبها عن التداول أو إغدا من إنتاجها أو توزيعها أو عرضها . أو التعاضد في أسعارها»
٢- سواء كانت



الأطراف وطنية أو أجنبية أو مشتركة.
٣- قصر توزيع إنتاج المصانع على أشخاص أو فئات محددة أو في أماكن معينة بما يؤدي إلى حدوث احتكارات ، أو احتكارات في التوزيع ، أو زيادات مخفضة للأسعار.

٤- شراء التجار لأسهم شركات تشارك نفس نشاطهم بشكل مباشر أو غير مباشر.
٥- خروج اتحادات أو جمعيات أو روابط المستوردين أو التجار عن أهدافها المحددة ، أو الاتفاق على التلاعب بالأسعار.

ثانياً- قيام جهاز للرقابة:

ينص مشروع القانون على تشكيل جهاز للرقابة يتبع وزارة التكوين ، له سلطات الضبط القضائي والرقابة والتفتيش ، على الإخلال بقواعد هذا القانون .

ألف طن هذا العام.

١- بالنسبة لمجامير المستهلكين لهذا المحصول الفلاحي المهم ، فالنتيجة الطبيعية -بالاضافة إلى التلوث- ارتفاع السعر بنسبة كبيرة.

مواجهة الاحتكار قضية وطنية وشعبية

ولما لادراكنا -وليس تسليمتنا -لواقع السياسات الاقتصادية المصرية في هذه المرحلة ، فإتينا نرى أن مواجهة ظاهرة الاحتكار للعديد من السلع الرئيسية المهمة ، يستلزم التحرك العملي والجاد على أريمة معار:

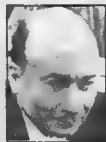
القانون- التعاون- دور الدولة- الرقابة الشعبية.

د. جويلى وقانون منع الاحتكار

في حديث مجلة المصور -في فبراير من هذا العام- سئل د. أحمد الجويلى وزير التكوين : «في اعتقادك ما هي أكثر القرارات أهمية وخطورة ، التي يمكن أن تصدر عن الاجتماع المقبل لمجلس الوزراء ؟»
وكانت إجابته والأهم ، هو الموافقة على قانون حماية المنافسة ومنع الاحتكار.

ولقد كان صدور قانون منع الاحتكار بحثل مرتبة رئيسية في احتمالات د. جويلى منذ

تولييه لوزارة التكوين ، وفي مواجهة ما أدركه -بحسبكم- مسترليته- من تقشير الظاهرة الاحتكارية في التعامل في السلع وخاصة الاستراتيجية والافغانية منها .



من هنا كان اعاده مشروع قانون حماية المنافسة ومنع الاحتكار منذ أكثر من عامين وأصراره الدؤوب



الدول الرأسمالية فى العالم تفسح المجال للتعاون الزراعى وفى مصر الحركة التعاونية تصرخ وتناشدا

ينتج عنها - كما سبق - مدى هائلة ما فيها القرى الاحتكارية - من مليونيرات الانفتاح والسرعة - بها يضر ليس فقط مصالح المنتجين والمستهلكين بل، بالدولة نفسها، حيث ستصبح - سرفقا لهذه السياسات - فى وضع لا يمكنها من اتخاذ أى قرار اقتصادى - أو نقاذة - فالأمر لم يمد فى يدها.

وبالتالى فمن الضرورى ولمصلحة كافة الأطراف، استعرا دور الدولة الواضح والمفان بالنسبة للانتاج والسوق المحلى، والاستيراد والتصدير الرقابة الشعبية.

إن مواجهة استحواد ما فيها الاحتكار على أهم السلع الاسفراجية والغفانية، هى بطبيعتها قضية شعبية، يجب أن تستند إلى حركة جماهيرية قادرة على التصدى لهذه الظاهرة الخفية لمصالح المنتج والمستهلك والاقتصاد الوطنى، مما يفرض على كافة المؤسسات الفنية بالمجتمع - من أحزاب ومصيحات وجامعات وحركات نقابية وأجهزة اعلامية - القيام بدورها الشعبى فى هذا المجال.

ولعل أسلوب تشكيل لجان شعبية حقيقية وجادة - وهتت شكلية ومظهرية - لحماية الاقتصاد الوطنى وجماهير المستهلكين، دون أى «حقوق اذوية» - هو الاسلوب الأشمل لتطبيق ومتابعة قانون منع الاحتكار الذى تأمل الاسراع بأصداره، وخاصة مع اقتراب المخاطر الناجمة عن انضمام مصر لاتفاق جولة أوروپوى المعروف باسم اتفاقية الجات.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف، تنامي أزمة الاسمدة، والخسارة الكبيرة للفلاحين وللإقتصاد القومى فى مجال تسويق القطن، بالإضافة إلى حالة التدهور العام فى الواقع الزراعى / القلاى.

* ومن هنا، وخاصة مع اقتراب العملية الانتخابية للتعاونيات الزراعية هذا العام، فإنه يجب على مواجهة الظاهرة الاحتكارية من ناحية وحماية الانتاج الزراعى من ناحية أخرى - دعم الحركة التعاونية الزراعية، كما يلى:

* التعامل معها كقطاع عام رئيسى فى المجتمع وخاصة بالنسبة للدور فى التعامل فى الحاصلات الزراعية ومستلزمات انتاجها.

* قيام بنك خاص للتعاون الزراعى، من مخبرات التعاونيين وتطبيقاً لقانون التعاون.

* العمل على أن تكون الجمعية التعاونية بالقرية وحدة اقتصادية متكاملة قادرة على توفير مستلزمات الانتاج للفلاحين بالأسعار الملائمة وفى المواعيت الصميحة وتوسيق الحاصلات الزراعية لحماية المنتجين من سيطرة المحتكرين والسماسرة.

«حضور الدولة ضرورى حتى مع الترجمة الرأسمالى.

أن يكون للدولة «حضور» بالنسبة لسوقها المحلى والخارجى، فذلك قضية محسومة حتى فى كافة المجتمعات الرأسمالية الحقيقية.

أما أن يحرك الأمر - بكامله - حركة السوق، فذلك هو الرؤية المصرية الرسمية لنهزم «الرسلة» - بالتى لا يمكن أن

أن والتعبور بالتعاونيات كأفضل صور التنظيم الشعبى - غير الحكومى - للزراعة المصرية، يتطلب تبنى الدولة لسياسات واضحة المعالم تجاه هذه التعاونيات، بما يسهم فى فاعلية دورها فى تنظيم الزراعة المصرية». وبينما توسع الدول الرأسمالية الكبرى - كاليابان - من دور التعاون الزراعى بدعم التعاونيات بما يمكنها من الانتاج - وليس التعامل فقط - بالنسبة للسلع الغفانية ومستلزمات انتاجها.

لأن المستولىة فى مصر يتعاملون مع الحركة التعاونية الزراعية، إن لم يكن بالعمل على تصفيتها مباشرة، فعلى الأقل بالتجاهل التام لدورها الزراعى والاجتماعى وكبحه أمتلة تؤكد ذلك الواقع:

* المذكرة المقدمة من القطاع التعاونى إلى وزارة الزراعة رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٩٤، بالتى حددت بوضوح: «أن الحكومة لم تنفذ أى مطلب للقطاع التعاونى بالنسبة لخطة ٩٣ / ١٩٩٤، مما ترتب عليه عدم فكن هذا القطاع من تنفيذ معظم ما تضمنته هذه الخطة».

* إبعاد الحركة التعاونية الزراعية - رغم استبعاداتها ما فيها وأدوارها وحياتها - عن جميع مراحل عملية تسويق القطن الموس ١٩٩٥/٩٤.

* صدور قرار مجلس الاسمدة - التابع لوزارة قطاع الاعمال - فى ١٠ ديسمبر عام ١٩٩٤، بوقف تسليم أى كميات من الاسمدة للتعاونيات الزراعية لتتولى توزيعها على الفلاحين بالأسعار المقررة وفى الترتيبات المناسبة.

مر على الانتخابات البرلمانية المصرية الأخيرة ما يقرب من أربعة أشهر ولكن لم تول آثارها ممتدة وساخنة ومثار جدل لكل المراقبين السياسيين والمشتغلين بالعمل وذلك لما أفرزته من إشكاليات وقضايا . فالديمقراطية والجنين ، والتي بدأت مع نظام التعددية الحزبية الثانية في عام ١٩٧٦ ، التي كان من المفروض أن تنمو وتكبر في ظل رعاية موضوعية لجهودها وقد ثمرت ونظر إلى كل محاولة تبني التحرك خطرة إلى الأمام على طريق التطور السياسي انا هي محاولة قد تغل بالتوازن والاستقرار.

الارتداد السياسي

مآزق التكامل الوطني

تتأكد أكثر فأكثر المواطنة والمشاركة، ويكون الوطن هو الهدف الأسمى ولكننا نجد بدلا من ذلك «أوتوداد» إلى ما قبل الوطن حيث الثامنة والعشيرة.

في هذا السياق يأتي حديثنا عن الاقطاب حيث تعكس الانتخابات الأخيرة مآزقا حقيقيا واجه التكامل الوطني بين مكونات الجماعة الوطنية المصرية ولم يزل قائما. ويمثل هذا المآزق في مظاهر ثلاثة تزامنت مع مراحل

سمير مرتضى

وراء بنية اجتماعية ما زالت دون المطلوب .وقد ترتب على ما سبق انه كان من المفروض في إطار التطور السياسي أن نشاهد نزوعا نحو تحقيق التكامل الوطني حيث

وربما يكون من المفيد قراءة هذا التعثر في ضوء التجارب التاريخية للديمقراطية وخاصة النماذج الكلاسيكية الشهيرة : الانجليزية والفرنسية والأمريكية . حيث كانت الديمقراطية ثمرة جهد وكفاح وكانت تعبيرا عن تطور اقتصادي -اجتماعي ، كما كانت تحمل منظومة قيمية متكاملة تضمنت : المواطنة والمشاركة . والانتقاء والمقالات والتعددية وفيرل الأخر ولهذا استطاعت الديمقراطية أن تتطور مع التطور الاقتصادي -الاجتماعي ولا ترتد.

ولعل ما عكسته الانتخابات الأخيرة هو ان التطور السياسي في مصر يشوبه ضعف التراكم التاريخي الأمر الذي يسمح بالارتدادية السياسية أو التكرس عن كل التجارب قد يتحقق عبر التاريخ . ولهذا لم يكن غريبا أن تبرز على سطح الحياة السياسية المصيبتان التقليدية وأن يكون لها دور مؤثر في مسار العملية الانتخابية الأمر الذي دفع الدولة نفسها ممثلة في الحزب الحاكم على توظيف البناء التقليدي، القائم على الروابط والملاقات والعشائرية والقبلية والطائفية ، انتخابيا . بل سمحت له أن يكون القوة الفاعلة سياسيا. وقد أكد هذا الأمر ان التحديث المتحقق هو تحديث شكلي يعق

جدول أعمال الأعضاء الاقطاب في الفترة من عام ١٩٦٤ إلى عام ١٩٩٥

الدورة البرلمانية	المنتخبين من الاقطاب	المنتبين من الاقطاب
٦٤-٦٨	١	٨
٦٩-٧١	٢	٧
٧١-٧٦	٣	٩
٧٦-٧٩	-	٨
٧٩-٨٤	٤	١٠
٨٤-٨٧	٤	٥
٨٧-٩٠	٦	٤
٩٠-٩٥	٢	٦
٩٥	-	٦

شرعية ترشيح الاقباط وحق تمثيلهم في البرلمان وذلك من خلال مجموعة من التنازلات الدينية. وهو الأمر الذي أزعج البعض من المفكرين الاسلاميين فقاموا بنشر مقالات يدحضون فيها هذه التنازلات (مثل د. محمد سليم العوا) لقد تنازل بسبب هذه التنازلات بل يمكن القول تطابق مقهوما الأغلبية والأقلية بالمعنى السياسي مع مقهومي الأغلبية والأقلية بالمعنى الديني. الأمر الذي يعني أن العملية الانتخابية قد مورست في إطار نظام طائفي وليس نظاما ديمقراطيا. وعمل الأمر بشكل أو بآخر ارتداداً في تطورنا السياسي.

(٣) التعمين

باتى التعمين في مجلس الشعب دوما ليعالج قصور الممارسة السياسية في الواقع. ومنذ عام ١٩٦٤ حيث نص الدستور الصادر في هذا العام في المادة ٤٩ على ما يلي: «ولترئيس الجمهورية أن يعين عددا من الأعضاء لا يزيد عددهم على عشرة أعضاء» والذي عدل في دستور ١٩٧١ إلى المادة ٨٧ حيث نصت «يعهد لرئيس الجمهورية أن يعين في مجلس الشعب عددا من الأعضاء لا يزيد عن عشرة». وأقول منذ عام ١٩٦٤ والتعمين باتى حل مشكلة تقبيل الاقباط رغم أن الدستور لا يلزم بهذا مباشرة، ولكن بكفى النظر إلى قائمة التعمين منذ عام ١٩٦٤ وهو تاريخ بداية الأخذ بمبدأ التعمين وحسب الانتخابات الأخيرة، للدليل على أن التعمين كما لو كان مرسوما حل مشكلة تقبيل الاقباط في البرلمان.

إن التعمين ضمنا يعنى التمثيل البرلماني المقنن وهو الأمر الذي دفع بالبعض إلى المشادة بالتمثيل النسبي في البرلمان للاقباط بشكل واضح وصريح. إن كلاً من التعمين والتمثيل النسبي يمثلان ارتدادا سياسيا عن النجاحات التي تحققت في تاريخ التكامل الوطني بين مكونات الجماعة الوطنية والأمر يحتاج إلى تمثيل الحياة السياسية والخزيرة لإيجاد المناخ الملائم الذي يتيح التمثيل السياسي من خلال العملية الانتخابية.

وبعد فإن انتخابات ١٩٩٥ قد شكلت نوعا من الارتدادية السياسية عن منجزات تحققت في مجال التكامل الوطنى بين مكونات الجماعة الوطنية. وحسب دعهيد المقدم سعيد فإن الانتخابات الأخيرة لم تكن خطوة متقدمة في التطور الديمقراطي في مصر إن لم تشكل خطرة للورا.

في تصوري إن الانتخابات الأخيرة قد اتاحت اللقاء بين أصحاب الخطاب «الطايفي» وأصحاب الخطاب «الأكثري» حول المسألة القبطية واستبعد تماما خطاب «المواطنة» .. ولهذا حديث آخر..



ضياء الدين داره في حوار مع كمال الشاذلي



سليم العوا

أخطو نتائج الانتخابات استبعاد «خطاب المواطنة» من الساحة القبطية

عشية الانتخابات البرلمانية في عام ١٩٩٤ وكان عنوانه «التعامل مع الاقباط كجماعة انتخابية» شرح للوردة الوطنية» وربما يكون الجديد هنا أنه قد تم التعامل مع الاقباط باعتبارهم كتلة طائفية/ دينية ورغم ذلك المناخ بالإضافة إلى التجاهل الحزبي خان غرض أكثر من ٤٠ مرشحا من الاقباط للانتخابات كاستقلين لئلا حاول أن يؤكد الحق في عارسة «المواطنة» والتأكيد على التكامل الوطنى في مصر. ولكن ماذا كانت النتيجة؟ هذا ينقلنا إلى النقطة الثانية.

(٢) التشكيك في أحقية الاقباط في الترشيح

بينما مارس الاقباط حقوقهم السياسية من على أرض المواطنة فانه وأثناء العملية الانتخابية بدأت حركة مضادة تشكك في

العملية الانتخابية شكلت فيها بيتها ارتدادا سياسيا عن منجزات تتعلق بالتكامل الوطنى بين مكونات الجماعة الوطنية المصرية وذلك كما يلي:

(١) التجاهل الحزبي للاقباط في الترشح

أوضحت الانتخابات الأخيرة عدم قدرة بعض الأحزاب على ترشيح الاقباط وإن ماكينته تكوين الكادر السياسي في هذه الأحزاب قد أصابها العطب بحيث لم تستطع عند الحاجة تفرغ كادر سياسي قبطي. كما أكدت أيضا الانتخابات الأخيرة عدم رغبة البعض الآخر من الأحزاب على ترشيح الاقباط حتى أن الحزب الحاكم الذى قدم ٤٤٤ مرشحا في جميع الدوائر الانتخابية لم يكن من بينهم قبطي واحد. الأمر الأكثر خطورة هو أن عدم ترشيح قبطيا قد جاء- حسب كثير من المحللين السياسيين- (محمد سيد أحمد)- في إطار توازن سياسي بسبب استبعاد التيار الدينى من الانتخابات. وإن صبح هذا الأمر فانه يعنى استمرار النظر إلى الاقباط باعتبارهم جماعة طائفية مستقلة وهي النظرة التى مررها التيار الدينى نفسه في مستهل الثمانينات وذلك بقصد وتدين الحركة السياسية وأر تحول العمل العام السياسي والاجتماعى إلى عمل ديني / طائفي تصبح بموجبه حلبة الصراع السياسي والاجتماعى مجالاً للنفاذ لا بين تيارات سياسية متعددة بل بين تيارات دينية وطائفية. لقد كان لكاتب هذه السطور شرف التحذير من هذا الأمر في مقال نشر بجريدة الأهرام

ملاحظات نقدية على :

بعض مواقف الأحزاب اليسارية



صلاح عدلي



رashed السعيد

صلاح عدلي

يتمنا كل الظروف تتطلب وبسرعة ضرورة العمل المشترك ومواجهة أخطار
اليمين السلطوي أو الطائفي المتستر بالدين.

حزب التجمع بين المواقف

المعلنة والممارسات الفعلية

وإذا نظرنا إلى الممارسات الحالية لأحزاب اليسار فالتناجد أن حزب
التجمع وهو يعتبر من أقدم الأحزاب الآن على الساحة السياسية. ورغم
نجاحه في التعامل بموضوعية وعقلانية مع الظروف الحالية ومن رؤيته
الصحيحة تحذيره المبكر من خطر الأرواح المتستر بالدين سواء أخذ شكلا
فكريا أم عنقا مسلحا... فإن الحزب في الآونة الأخيرة بدأ يفقد زمام
القيادة سواء في علاقته بأحزاب المعارضة، أو عند معارضة لسياسيات
النظام الحاكم. ويعود ذلك إلى أن الحزب وفي الكثير من المواقف يقف
عند حدود اللحظة الراهنة ويهجم أكثر بالتناقضات الثابتة وذلك بالطبع
يكون على حساب الرؤية الاستراتيجية المستقبلية. ولا أحد يمكن أن يقلل

عشرون عاماً منحت منذ السماح بقيام الأحزاب في مصر
١٩٧٦. ورغم طول تلك المدة، إلا أن التجربة الديمقراطية في مصر لا زالت
قاصرة وضعيفة للغاية ويبدو ذلك أساساً إلى استمرار النظام الحاكم على
أن تقلل التعددية الحقيقية ليس فقط من خلال فرض قيود شديدة على
حرية تكوين الأحزاب، ولكن أيضاً عن طريق منع الأحزاب من الاتصال
بالمواطنين بالجمهور وتجهيز أي نشاط خارجي خارج إطار الأحزاب مثل
عقد المؤتمرات أو القيام بإضرابات أو المسيرات والتظاهرات السلمية. وإذا
كان ذلك المناخ غير الديمقراطي يعد السبب الأساسي في ضعف أحزاب
اليسار فإن هناك جملة أخرى من العوامل الموضوعية دولياً ومحلياً لعبت
دوراً لا يمكن إنكاره أيضاً وإلى جانب ذلك - وهذا هو ما يهتسنا هنا -
توجد أسباب ذاتية لا تقل أهمية مسؤولة عن الأخرى عن الوضع الحالي
لأحزاب اليسار وعدم احتلالها للمكانة التي تستحقها على خريطة القوى
السياسية المصرية. وإذا كان تقديم رؤية نقدية شاملة لقوى وأحزاب اليسار
يحتاج إلى دراسة عميقة ولا يسمح به المجال هنا بالإضافة إلى أنه يتطلب
جهداً جماعياً فستحاول فقط تسليط بعض الانشراح السريعة وتسجيل
عدد من الملاحظات النقدية.. كما أن الحديث سيقتصر فقط على أحزاب
اليسار الرئيسية حزب التجمع والحزب الناصري والحزب الشيوعي
المصري رغم إدراكنا بأن خريطة الحركة اليسارية في مصر أوسع من ذلك
بالتأكيد.

التحالف الاشتراكي

وهم أم حقيقة

إن أول ما يلتفت إليه أنه بالرغم من رفع شعار التحالف الاشتراكي
من هذه الأحزاب منذ سنوات عديدة فالتناجد أنها عازلت عاجزة عن
تحقيق مثل هذا التحالف الذي يقوم على أساس الاتفاق على نقاط
برنامجية محددة وحشد قوى هذه الأحزاب في أشكال تنظيمية راقية
للمصلح الجمهوري... والشئ الوحيد الذي ينجح فيه هذه الأحزاب هو
تسجيل المواقف وإصدار البيانات فقط.

وخير دليل على هذا الوضع السلبي ما حدث في انتخابات مجلس
الشعب الأخيرة، والتي انتقدت في الكثير من المواقع إلى أدنى أشكال
التنسيق وتتمت عليه هذه الأحزاب إلى المخاطر الكبيرة التي تهدد الوطن،
وتكاد تقصف بالهامش الديمقراطي المحدود، وتقتضي على المكاسب القليلة
التيقية للفئات والطبقات الكادحة.

ومازال البعض داخل هذه الأحزاب يكتفي بالعمل الفردي والرهان
على السلطة الحاكمة. والبعض الآخر يسعى لمغازلة الجماعات المتسترة
بالدين، والبعض الآخر ما يزال يعيش أسير أوامير الماضي التي لن تعود،

مسألة أشد قوى اليمين شراسة وأكثرها معاة للديمقراطية مهما كانت المبررات.

وهذه المبررات تخلق عمليا فجوة واسعة بين أنصار الحزب الناصري وأعضاء الأحزاب الأخرى مما يولد حالة من فقدان الثقة بين القواعد تحتاج الى جهد كبير من الجميع لإعادة الانسجام وأهمية العمل المشترك بين صفوفها.

الحزب الشيوعي

وفقدان الجاذبية الجماهيرية

وبالنسبة للحزب الشيوعي فإن أهم شيء يفقد إليه الآن هو الوضوح النظري وعدم تقديم رؤية نقدية متكاملة للنظرية الماركسية والممارسات العملية .. وحتى الآن لم يعلن الحزب بشكل واضح ماهي الأشياء التي ينبغي التصكك بها في النظرية وماهي الأشياء التي ينبغي التخلي عنها وما هي التعديلات التي تتطلبها التغيرات العاصفة نتيجة الثورة العلمية وثورة المعلومات والاتصالات، وبذلك فقد تسببت التطورات الكبيرة التي حدثت على الخريطة الطبقيّة والمسياسية ومنظومة القيم والانكار السائدة في مصر.

وإذا كان مفهومنا وصيورا عدم القيام بأي تعديلات جوهرية في مؤثره الثالث كما هو واضح من وثائقه وذلك للحفاظ على الحزب في ظروف الانهيارات الكبرى التي أصابت العديد من الأحزاب بعد انهيار المعسكر الاشتراكي فإنه يمكن من قبيل الانتحار السياسي الآن عدم التحلي بالشجاعة الكافية لمناقشة المشاكل التي تواجه الحركة الشيوعية فكريا وسياسيا وتنظيميا.

والملحظة الثانية تتعلق بضعف العلاقات مع الحركة الجماهيرية وخاصة العمالية والفلاحية وعدم نجاح الحزب حتى الآن في استحداث وسائل جديدة لجذب الشباب العمالي وطلاب الجامعات والمثقفين أيضا والملاحظ أن الأساليب القديمة فقدت جاذبيتها ويغلب عليها الأمر ضرورة البحث بجدية عن وسائل جديدة .. كما أن الحزب مطالبة بتحديث تبرير مقعته للجماهير بضرورة الحزب الشيوعي وأهميته.

ولعل أبرز وأهم سلبيات الحركة الشيوعية هو انقسامها وتشرذمها على الرغم من أن الظروف الحالية تدفعها دفعا للعمل المشترك بل وإلى العمل من أجل الوحدة وما يساعد على ذلك أن الحركة الشيوعية يختلف توجهاتها ومعظم فصائلها تتفق على ضرورة الإصلاح الديمقراطي كمدخل للخروج من الأزمة الشاملة التي يعاني منها المجتمع المصري. كما أنها تتفق على أن التعديلات والديمقراطية ينبغي النضال من أجلها والحفاظ عليها كأساس للحكم حتي في المجتمع الاشتراكي .. كما أن الغالبية أيضا تتفق على أننا في مرحلة انتقالية حاليا تتطلب تضامن جمع القوى الوطنية والديمقراطية.

وأخيرا فانتنا نلاحظ اقتراب موقف هذه القوى في الموقف من الجماعات المتطرفة باليمن باعتبارها تخلق خطرا شديدا على مستقبل البلاد وعلي تطور المسار الديمقراطي وعلى الوحدة الوطنية وتتفق على أهمية المواجهة الشاملة لها سياسيا وفكريا.

وأخيرا فإن تركيز هذه الملاحظات على بعض الجوانب السلبية لا يعني أبدا أنه ليست هناك مساهمات إيجابية كبيرة لهذه الأحزاب. كما أنه لا يمكن إنكار الدور المهم الذي تقوم به لمواجهة الظروف السلبية المعاتبة عالميا وإقليميا ومحليا.

والفرض من عرض هذه الملاحظات ليس مجرد تسجيل المواقف وإثبات الحوص على كشف التناقض والريغبة في إجراء حوار جدي وحقيقي حول أسباب تمزق وضعف الحركة اليسارية حتي تستطيع تجاوز أزمتها.

من أهمية الحصول على مكاسب وقتية أو تحقيق إصلاحات مهما كانت محدودة كما إننا لا نختلف على ضرورة رصد التناقضات في جبهة المقصود والاستفادة منها خصوصا إذا كانت الظروف غير مواتية .. ولكن الخطورة تتمثل عندما يتخلف الحزب عند حدود ذلك ويكف عن طرح نفسه كبدليل ديمقراطي تقدمي .. مما يضعف الروح التضالفة عند أعضائه، ويحصره في دائرة ردود الأفعال ويهدد بلفقائه المصداقية لدى الجماهير.

وحتى لا يكون الكلام لاحا ومجردا سنكتفي بثلاثين بوضوح خطوره مثل هذه المواقف في الفترة الأخيرة.

الموقف الأول هو موقف جريدة الاحالي من الحكومة الجديدة ورئيس الوزراء الجديد، والمبالغة الشديدة في تقدير مرافقه الوطني ودفاعه عن القطاع العام والورسول إلى حد القول بأنه يمثل "بصار الوسط" وعلان التجزؤي بحد ذلك برزت قليل يعلن عن قرارات المخصخصة وبيع عشرات الشركات وتقديم مزيد من التسهيلات لتلك الأجانب الأراضي والعقارات، فمتغير اتجاه الجريدة في الأسبوع التالي لتهاجم سياسة الوزارة ورئيس الوزراء الجديد بالمقالات والكتابات.

ونحن نتساءل كيف تكتسب الجريدة والحزب المصداقية بهذه المواقف المتناقضة.

والموقف الثاني يتعلق بقانون الحسبة والذي وافقت الهيئة البرلمانية الحزب للتصديق عليه في مجلس الشعب على أساس تصور خاطئ بأن دعوى الحسبة جزء من الشريعة الإسلامية وبافتراض أن هذا القانون يمثل خطوة لإمام في هذه المرحلة.

ولكن وبعد وقت قليل اتضح أن هذا القانون يمثل خطوات للخلف لانه "يقال" دعوى الحسبة "التي كانت في الأصل محل خلاف فقهي وقانوني" كما اتضح أيضا بأنها ليس لها أي أصل ثابت في الشريعة الإسلامية (القرآن والسنة) بالإضافة إلى أنها اعطت للنيابة العامة بدلا من الأفراد سلاح التكفير الذي يمكن أن يستخدمه النظام في المستقبل ضد القوى الديمقراطية.

والغريب في هذا الأمر أن هذا الموقف من تأييد قانون الحسبة يتناقض تقاميم التاريخ المشرق للحزب ومع رصيده الكبير من المواقف الثابتة ضد أنصار الدولة الدينية وأصحاب تقادى التكفير وأعداء حرية الفكر والإبداع.

أنتا فقط نريد أن ينتبه الحزب إلى هذه المؤثرات حتى يظل محافظا على المصداقية التي اكتسبها في نضاله المتواصل في أصعب الظروف طوال عشرين عاما.

الحزب الناصري / والموقف

السلي / من العمل الجبهوي

وإذا انتقلنا إلى الحزب الناصري وعما رساته من خلال تجربة الانتخابات الأخيرة، نجد أن هناك مبالغة شديدة في تقدير الحزب لقواه الثابتة ولا يزال هناك تمسك ببعض الشعارات القديمة رغم اختلاف الظروف .. كما كشفت هذه الانتخابات أيضا عن وجود تناقض بين الحزب الناصري وبعض فصائل اليسار الأخرى في عدد من الموقع.

بالإضافة إلى ذلك هناك مجموعة في الحزب الناصري تتمثل في اتجاه التقارب .. بل وإلى ما هو أكثر من ذلك .. مع جماعات الإسلام السياسي ولعل أبرز مثال على ذلك مشاركة الحزب الناصري في اللقاء الترمس الإسلامي " في بيروت ويؤدى هذا الموقف عمليا إلى

هموم

الوطن

الوطن

الانفجار.. الانفجار

وانتشار التفاؤل

د. أحمد

محمد

صالح

(مع الاعتذار للقاصي والداني من الملوك والرؤساء والزعماء العرب المبدعين الذين نجحوا في تنمية وتحديث مجتمعاتهم وحققوا الرفاهية ، وإنهاء الكروية لشعوبهم الذين أصبحوا مستعبدين للقرن الواحد والعشرين من قبل ان يهل بستوات عديدة وسبقوا دول الشمال بزمان ، لذلك كان عليهم ان يفرقوا للإبداع القصصى ، لذلك استندهم في هذا العنوان المستعصى من إبداعاتهم التي سبقت الزمان والمكان.)

وفي محاولتى لضبط مؤشر الرادير بحثا عن اذاعة لندن سمعت مذهبة فى صوت العرب الساعة السادسة الا ثلث مساء الجمعة ١٩ يناير في تعليق أخارى تقول: ان الشارع المصرى ينتشر فيه التفاؤل نتيجة تغيير الوزارة ، ثم حركة المحافظين ، ومعنى ان الاعلام الرسمى يقول أن هناك تفاؤل الان فهنا اعتراف منه بحالة التشاؤم والهأس والاضباط التي سادت الشارع المصرى وما زالت تنوره: لأنه لكي يكون هناك تفاؤل لابد أن تكون له مبررات فما هي مبررات التفاؤل ؟ فالوزارة القديمة هي الجديدة ، والمشكلة ليست تغيير وزارة ، المشكلة تغيير سياسات

والإسراع بها لصالح القاعدة العريضة من الناس . وفي البداية كانت هناك بعض المؤشرات التي تبشر بتغيير السياسات وليس الأشخاص منها القرار الأخير لوزير الداخلية بعدم إغلاق الشوارع عند مرور مراكب الوزراء . احتراماً لحاجات الناس وتنمى أن يمتد هذا القرار لنوع قليلة الاستقبال الشمس . اعتراف الدولة أخيرا بحكم القضاء وأرجاع ضريبة العاملين في الخارج للمصريين ، لقاء رئيس الوزراء . مع صحافة المعارضة والصحافة القومية ، مع الأمل أن يكون لقاء دورياً ، التأكيد المستمر في التصريحات الرسمية على أن الاهداف الاقتصادية في المرحلة المقبلة تركز على الانبعاث الاجتماعية مثل البطالة السكن والاستثمار . لكن هذه المؤشرات كلها جاءت مع الاصرار الجييب للحكومة لبيع مصر كلها لمن يريد ، فالمؤشرات والمقدمات تؤكد أن مصر كلها معرضة للبيع في مزاد

لصالح الاغنياء ، وأصبحت مبررات الانفجار أكثر واقعية من مبررات التفاؤل ، حين يصير مستولوا الاسكان على بناء القصور والأبراج والقرى السياحية ، وحين يستعرض التلفزيون في اعلاناته فاذا ج الفلل وشقق الاعلام والتجمعات والمسابح . الحضراء وملاعب الجولف وحمامات السباحة والملاهي والساحل الشمالي الذي سجن البحر كله لصالح الاغنياء ولم يفتح للفقراء . الا الشواطئ المورثة بكل شيء في بلد يسكن ثلث اهله على الأقل في العشوائيات والمقابر . وحين يصيب النساء والارهاب بانواعه جزءاً من الآلية اليومية لحياة المصريين ، وحين تتحول الأنشطة الثقافية مثل معرض الكتاب إلى سوق لبيع البلاستيكات والكرفانات ولعب الاطفال والباعة الجائلين . وحين تتحول الاحتفالات القومية والوطنية إلى مهرجان لأغاني التناق في حب مصر ، نجد اوهام واحلام بقلعة وحين تنتج المنتجات الثقافية المصرية وفقا لمواصفات أهل الخليج ، حين تنتشر البلطجة والعنف والفرغانة في سلوكيات الشارع المصرى ، ويقعد المصريون القدرة على الوعي بالآخرين وتسود بينهم سلوكيات الزحمة وثقافة العشوائيات وعدم الرعية ، حين تنتشر الخرافة والتدجيل والشعوذة باسم الدين بين المتعلمين ، ونشبه في ملاسنا مطهرنا بسلوكيات الخليج باسم الدين فنطرد الدقون وتكثر اغطيبة الرأس الخليجية على الرؤوس وتنتشر المصاحف في الجيوب وعلى

الحيطان وتقل معانيها في القلوب والسلوك
فنتكر الخاتم . حين تحصل الدولة على
خزائنها في سبائك مختلفة من المصريين
العائدين في صناديق خشبية . وحين يكون
جميع ضيوف وسائل الاعلام الموسوعة والمرئية
والطبوية هم المثقفين والمثقفين والراشدين
والطريين والطبايعين ويختلط الاعلام بالاعلام
على المنجزات الحرة . وحين تعتمد براميل
الترفيهية في التلفزيون على مواقف الاسفاف
و اللطيفة والسليمة والصمت والتفاحة
والسوقية والهجيمة والقها . ومجملتها تشر
بالتنقير والقرق من انفسنا . وحين تسرق
عيون المرئي ويوت مئات المصريين نتيجة
الاهمال في المستشفيات والتلوث وامراض
التصبيب . وحين تهرب يومها كرامة وجهاء
المصريين داخل بلادهم وخارجهم وتقف الدولة
مكتوفة الايدي فلا أمل . وحين نبحث عن
اصحاب الفكر السياسي الذين يمكن أن يثقف
حزولهم الناس ونحاول أن نقيم (بهود) ما
يكفيه اصحاب الأعمدة الصحفية الملاكي في
صفحة القومية تشر بالريمية وفي احيان
كثيرة تشم رائحة النفط في تلك الأفكار
الهادئة . فلا أمل . حين يصيبه الفتيان اذا
توجهت إلى مكاتب الحكومة من بريد
وتليفونات وشعر . حقاري ومردود وتهان
كرامتك هناك فلا أمل . حين تفتتح المدينة
فترت المواصلات وتقل الطرق . فينهان
الناس وتهدر ادمعهم لمرد شريطة مسترول
أو مركب ضيف دون مراعاة مصالح الشعب
، فجعله سعادة تفرش في طرق الحكام
يدوسون عليها تكريها لهم . يوهي الشعب الذي
بدونه لا يصبح المسترول مسترولا ولا الضيف
ضيفا فلا أمل في أي شيء . حين تكشط
شوارع المدن بالناس في عز النهار بلا عمل ولا
تعليم وتكشط شوارع القرى بالمواطنين فلا
أمل . حين يكون حوالي ٧٥٪ من سكان
الحضر و ٩٠٪ من سكان الريف فقراء
ينتظرون حلول المساء لكي يخربوا إلى صرا
القرى أو خرائب المدن أو المساجد لتضاء
حاجاتهم فلا أمل . حين تنتشر الثقافة
السطحية التي تشها وسائل الاعلام في عالم
يعتبر الأمية هي الجبل بهجائية الكمبيوتر
، حين يصعب لمجود المجتمع هم اشياء اساتذة
الجامعات والباحثين والمثقفين والمخترات
الادمية والمخترات الفكرية والمتاجرين بالدين
الذين يشيرون السطحية والمهرمات التي
ماتت والفكر المظلم للقلق القائم على
الهرولوك الذي يتصف بالرجعية والتخلف
، حين تتحول المشروعات البحثية العلمية

والتي تمثل القاعدة الاساسية للتنمية إلى
سيرة للنقطة العيش يتصارع عليها علماء
عصر . حين تصدق ما تهذ أجهزة اعلامنا نيل
نهان من أننا أعظم شعب وأعظم حكومتوكه
قام فهو خداع للنفس لأن بناه النفس أصعب
حين نتشغل بالمعارك الكلاسيكية والتصنيفية
التي يخوضها مفكرون بين الحين والحين بدلا
من قراءة التقارير الدولية عن التنمية في
العالم والتي تصنفنا في قاع العالم فلا يوجد
مهرب للفكر والفتنا . وعندما يصير المحافظ
القديم الجديد لا كبر مدينة ساحلية على وصفها
بأنها لؤلؤة ودرة الدور . ويصير أهلها على
أنها بفضلها أصبحت أكثر المدن واجها بين
مدن البحر المتوسط ولا يتحرك احد فلا أمل
ولا مهرب للفكر . ويصبح علينا جميعا أن
نصرخ مع القاص المجهع الوطن... الوطن...
الانتقار .. الانتقار .. أين التفؤل؟!.

أوهام الانطلاقات الكبرى في العراية

تبت لنا وسائل الاعلام الرسمية يوما
عنايين ضخمة تشر المصريين المحترمين بأن
هناك انطلاقة كبرى في العلاقات مع
السعودية وإن هناك انطلاقة كبرى في
العلاقات مع الكويت سوف تبدأ الايام المقبلة
وتقرأ ونسمع عن حكايات العلاقات الخاصة
بيننا وبين الدول العربية لدرجة أن مصطلح
الخاصة فقط كبره فالكل أصبح له معنا
علاقات خاصة بومند أن وعيت على ما يدور
حول وأنا أسمع بين فترة وأخرى عن الوحدة
العربية والاتحادات القلمية العربية والمصالح
المشتركة في وسائل الاعلام . ونقرأ عن
مبادرات وثقافات وتيارات وتلفونات ثم
مؤتمرات مصفوة وبعضها موسعة . وننتاب
المنازلات بين الحكومات العربية . وهنا نسمع
هتافات وشعارات القومية العربية والوحدة
العربية . والأخرة والقرابة والنسب والمث
تلك القائمة الرجائية من الانتعالات العاطفية
الحلجية . ثم تحدث مصيبة عربية وما أكثر
مصائب العرب . فيقتل المجيع ويتبادلون
الشتم والالتهامات واللوم وتقطع العلاقات
وتتقل السقارات وتطرده الجنسيات العربية
الأخرى ويعمدا يتكر سنابور المصاحة
وتتقيد الاجراء مرة أخرى . أن تحدث
قضية أخرى . وهكذا يدور العرب في حلقات

مفرقة . ورغم أن العصر الذي تعيش فيه لا
يحمل أعمال المراهقة السياسية في العلاقات
بين الدول . ونحاول أن ندرس فيه مفاهيم مثل
الشرق اوسطية والعلاقات الكونية.وانتذكر
منذ فترة حضرت ندوة علمية عن التكامل
الاقتصادي العربي في الزراعة بأحدى الدول
العربية . وأثيرت فيها أفكار تقليدية
للتكامل الاقتصادي الزراعي . وتكلم الجميع
كلأما جيباً نسمعه منذ سنوات طويلة.ويجس
صاحبى بجوارى وهو استاذ فاضل من نفس
البلد . سائلا هل تصدق ذلك؟ فالتزيت
الصمت مجاملة له . ثم استرسل قائلا: أن
العربي حين يساعد أخاه يسجل تلك
المساعدات بالصوت والصورة في سجلات حتى
يقضع اعاء حين تقطع العلاقات (وهو ما
يحدث في كل أزمة عربية) . والعربي لا
يشارك في تجارة أو مشروع اقتصادي الا مع



العربي حتى يضمن حقه . ويعكس المقلوبة
تركيبية ثقافية تخطط بين الحق والواجبات
تحت تأثير القرابة . تركيبة ثقافية عاطفية
السلوك غير موضوعية . والدلائل الكثيرة
والثمة . تحدث يوما تؤكد على أن العرب
يفضلون ربط مصالح اقتصادهم وأمنهم مع
العربي . لدرجة الشك في أن الدين واللغة
والثقافة الواحدة أصبحت عوامل مجمعة
للعرب . اعتقد أنه حان وقت التضع السياسي
في العلاقات العربية . حتى لا تصل إلى
مرحلة تدخل فيها إسرائيل في تحالفات
ضمنية مع دول عربية ضد دول عربية . أو
تتحول إسرائيل على الذي البعيد لمركز
استراتيجي القمسي له شرعية غير مقصودة أو
طبيعية . فإذا لم يدرك ويستوعب العرب
نوعية وحجم التغييرات السياسية والاجتماعية
والاقتصادية التي تسره العالم الآن سوف
يأتى يوم قريب تقدم إسرائيل نفسها بالوساطة
بين الدول العربية لتنقية الاجراء العربية
والصالحه بين الاعياء العرب . لذلك يتوقع
على غرار صورة زعماء أوروبا وهم
يشيكون اياهمد معاً في افتتاح مؤتمراتهم في

بانكوك أملا في دعم التعاون بين القارتين .
أن نجد في المستقبل القريب صورة شبيهة
للمصالحة العربية حيث يقف الممثل
الإسرائيلي في الوسط شابكا يده اليمنى مع
زعماء عرب الشرق ويده اليسرى مع زعماء
عرب المغرب ، لأنه ببساطة لا يستطيع
الزعماء العرب أن يشبكوا أيديهم معا حتى لو
كان في الصور بلون وسيط أجنس .

حياتهم في مصر . وكلنا نعيش مظاهر
الاسلام السعوي المنتشر في مصر
الآن ومحاولات الضغط التنطلي لشراء الاقلام
والاكتار والمقرول المصرية لصالحه . وبعد كل
ذلك يأتي من يقول أن دول الخليج لا تتدخل
في أمورها . ومن الذي ينع أهل الخليج في
الاستثمار في مصر ؟ فنحن جميعا نعرف
جيذا مدي ارتباطهم بالغرب ، بويتطرون أنه

المصري أن يصبح الخليجيون مع الاسرائيليين
هم المالك الجدد لمصر وتصبح الفرصة امامهم
لاشتياق امراضهم والتفتيس عن عقدهم لذلك
مصر . والمصريين بصورة أكثر عما يحدث
الآن . أننا في حاجة إلى أن نفكر أولا كيف
لنجذب ونستثمر فائض أموال المصريين ؟ وإذا
كان اصلاح القطاع العام غير وارد رغم أن
فساده مرتبط تماما بفساد المجتمع ولا بد من

المصريون .. أولا

في حرية المخصصة ويبيع مصر تقرأ
ونسمع من شيوخ المستعمرين الأجانب خاصة
العرب وبالأنص الخليجيون على الاستثمار في
مصر ، على حساب المستعمرين المصريين ،
وتقرأ من يقول أن دول الخليج لم تفكر ابدا
في احتلال مصر أو التأثير في قرارها
السياسي أو التدخل في أمورها لأن مصر
دولة كبيرة يلوب فيها كل من دخل إليها
بأن مصر أفضل بقاع الأرض عند أهل
الخليج ، بأنهم لم يهروا من الارهاب ولكنهم
يهربون خوفا من ارهاب موطلي الحكومة
والاجهزة الرقابية وتلقيق التضايح والضائع
التي تنتشرها الصحف عن الاغتيا . وتقرأ من
يطالب بأن تساوى بين المستعمرين الأجانب
وخاصة الخليجيين بالمستعمرين المصريين في
الثقة والفرص وتقول لهؤلاء : نعم أن مصر
دولة كبيرة يلوب فيها كل من دخل إليها ،
ولكن يحدث ذلك فقط في فترات قوتها
وعظمتها الحضاري ، أما في فترات ضعفها
فإن الجميع يحاولون التأثير والضغط عليها
برسائل متعددة ، وفي التاريخ القريب
محاولات خليجية متعددة للتأثير والضغط
على مصر وتذكرك منها مؤخر بفداده لقاطمة
مصر بعد كايوب ديديد وبسطة حاكم
السعودية لدى السادات لصالح الاخران
المسلمين وما تبع ذلك من ظهور شركات
توظيف الاموال والبنوك الاسلامية وبداية
الارهاب الديني ، التهديد المستمر بطرد الصالة
للمصرية ، ومشاكل تلك الصالة في هذه
الدول ، موقف بعض الدول الخليجية المعارض
لاسقاط دين مصر قبل حرب الخليج ، وآخر
تلك المحاولات ما حدث في اعلان دمشق
والمصريون يعرفون فضائع المستعمرين
الخليجيين المنتشرة في الصحف والمجلات
ومحاولتهم لتطبيق قوانين بلادهم وطريقة

لكي يهروا إلى الاستثمار هنا . ومن قال أن
مصر أفضل بقاع الأرض عند أهل الخليج ؟
لأغنياء الخليج يهيمون إلى أوروبا وأمريكا
وجنوب شرق آسيا ، وبقرءاء الخليج يأتون مصر
بعفا عن التمتع واللهم وليس الاستثمار
نوعين جميعا ترى في شوارعنا وفنادقنا
ومطاراتنا تجارزاتهم للقانون المصري ومشاعر
المصريين ، لهم يلتقون النقاد فوق رؤوس المارة
في شوارع القاهرة يرفضون الرقوف اثناء
عزف السلام الوطني المصري في المناسبات ،
وأهل أخبار الحوادث ملطية بصوريات زواج
عراييز الخليج بالقاصرات الرقيقات من قري
مصر ، هذه أمثلة فقط وإذا اضيف إليها ما
تتمنيه العمالة المصرية في تلك الدول تحت
وطأة نظام الكفيل يصبح ترجيحنا بهم وغيرهم
من الاجانب لشراء مصر بدون شروط أو رقابة
أو قيود نوعاً من المعاصرة قارسها الدولة .
فكيف تساوى بين أهل الخليج والمصريين في
الثقة والفرص والاستثمارية ؟ ونظام الكفيل أو
النخاسة المصرية يتحكم في العمالة المصرية
في تلك الدول ، وأماننا خير حملته لنا
الصف منذ فترة يقول أن مليونيرات عرب
من منطقة مجاورة يشترون مساحات شاسعة
من الأراضي في منطقة التوبارية ، وتماثلوا
مع خبراء من اسرائيل لمشاركتهم في الزراعة
، كان مصر تتفقد الخبراء الزراعيين ، ونسجل
هنا أن مصر الدولة الريدية في العالم التي
تسمح للاجانب بأحتلاك الأراضي الزراعية
، وترد التصريحات الرسمية على ذلك بأن
مصر تسمح بذلك فقط لأشقاء العرب ، وكان
الاشقاء العرب لهم جنسية مصرية وليست
اجنبية وإذا كنا نعتبر اولاد الأم المصرية
المتزوجة من أي جنسية عربية غير مصريين
فكيف يتبع ارض مصر للعرب كأنهم
مصريون ، أخشى بعد أن يتم بيع القطاع العام

بيمه ولا يهدل اماننا سوى ذلك فالأولوية
للمصريين اصحاب الوطن وأن يكون ذلك
مشروط أيضا بالا يكونوا واجهة لآخرين .

الحكومة .. تقطع الشجرة لكى تقطف ثمرة !!

كنت مدبراً للتدويعات في الحكومة العلمية للإرشاد الزراعي من خصصة الارشاد الزراعي بولا ادري كيف جاءت فكرة التدويع، فالارشاد الزراعي هو جهاز حكومي مهمته نقل التكنولوجيا الجديدة في الزراعة والحياة الريفية من مراكز البحوث وهي أجهزة حكومية أيضا مثل كليات الزراعة ومراكز البحث العلمي الزراعي إلى الفلاحين وعلى الأخص صغار الحائزين المطحورين والذين يغلبون على الغلبة الريفيين ومحتاجين للتدوير في الزراعة والحياة ، وبدا من عقد الثمانين من كتيبة تحسين وتطوير ذلك المراكز ، يتكلمون عن خصصة الارشاد الزراعي ، فالكلام هنا مضيق للوقت والجهد فأجبرت الارشاد الزراعي في العالم المتقدم ، والناس في أغلبها خدمة حكومية، لكن يظهر ان الخصصة أصبحت موزعة عندنا وأصبحت مستعدين لبيع مصر كلها ، في الوقت الذي تسعى فيه الولايات المتحدة الأمريكية إلى التأميم والتدخل في بعض المشاريع والمراكز لاتخاذها عن الافلاس. المهم أنني انتهت دائما فرصة ويبدو في القاهرة زيارة الأستاذ عبد المال الباقوري في مكتبه بالاهالي وأصبح ذلك واجبا علي ، فهو أول من نشر لي كلمة بدون ان يعرفني ، زرت مجلة اليسار أولا لارتباطي بمرور مع الأستاذ حسين عبد الرازق ، وفي كل مرة يلتقي نظري دائما اختلاف طريقة الاستقبال عنها في الاهالي ، حيث يستقبلني في اليسار الهدوء والنفقات الكلاسيكية التي تنساب في خفة لتصل المكان وتتمتع بروائع الستينات التي شهدت ادراكى بالوطن ومراحتي، ويحيط بك انتماسه رئيس التحرير الرسمية والمشجعة ، لكن لا يدعوك أحد لشئ ، الا ان هذه المرة حضرت مع دخرك الشاي لضيف مهم فدعاني الرجل فكان الذ شاي شريفي، والموقف في الاهالي مختلف تماما فالحركة فيها لا تتوقف ولا تهدأ وتضطر تبحث عن رئيس تحريرها وتنتظره أن ينتهي من شواغله ، ويستقبلك بتواضع شديد ويحاشيك المهرود ولهجة الورد الميزة ، ولا ينسى في كل مرة ان يتأكد من أنني تناولت الفداء ، فهو يدعوني للفداء حتى لو

كان وقت العشاء ، بتلقائي وحزم الصابدة واعتذر بحجة الاستعجال والارتباط بالسر بوفي هذه المرة استقبلني وأخذ يعرضي بكل من يدخل عنده من أسرة الاهالي . وأنا كقارئ للأهالي في حالة مشاركة اتصالية مع محروبيها واتصورهم في شكل معين إلى أن اكتشفت أنهم جميعا من الشباب، وهنا تغير تأثيرهم على كقارئ ، أصبحت أرى لهم احتجاج الشباب الراعي المهمم بالوطن .وعندما سمعت بحكم المحكمة بالسجن والفرار على الباقوري كأول حكم قائم على قانون ٩٣ لسنة ٩٥ ، بوجع القانون الذي يقيد حرية الصحافة ، ويحجم الديمقراطية ، تصورت انه دخل السجن فعلا ، واتصلت بالاهالي بواتكبت من الخبر وبعرفت أيضا ان حرالي ٤٣ كانا : وصحبنا تم احالتهم للمحاكمة بموجب أحكام قانون اغتيال الصحافة من بينهم ١٢ من رؤساء التحرير وأغلبهم من صف المعارضة وسألت نفسي اذا كان الباقوري وأمثاله من المهجرين بالوطن محكوم عليهم بالسجن فمن الذي يجب ان يكون خارج السجن في مصر ؟ والأمل في قانون صحافة جديد ينظر للصحفي ليس كشاهد المحكمة عليه ان يقول الحق فقط بل عليه ان يقول الحق ولا شيء غير الحق ، لكن قاضي المحكمة لا يطلب سوى الحق كما رآه وفهمه الشاهد ، أما الحق المطلوب من الصحفي فهو متعدد الجوانب وأوسع نطاقا وأكثر تعقيدا ، لأن مجرد قول الحق امر سهل ولكن الأصعب هو قول «كل الحق» وهو كل جزء من الحق يستطيع الصحفي ان يتيهه معتمدا على ضميره الذي يخوض به الصحفي سراجا مريرا على عدة جهات ، فهو يبذل جهده لتبصير الناس بما يدور حولهم في المجتمع دون أن يدمر هذا المجتمع ، وأنه اذا كان الخبر هو التبا الذي لا يريد شخص ما في مكان ما : أن ينشر أو يقطع ، فحين الطبيعي أن يكون هناك الكثيرون في مصر يسعون إلى تقييد حرية الصحافة ومنهم ماخيا القساد ونجار الدين ومن ورائهم نفرة ومال النفط ، لذلك نحتاج الصحافة دائما إلى ضمان قانوني بحرية التعبير ، وليس

العكس، قانون ٩٣ لسنة ٩٥ جعل الحكومة في موقف الذي يقطع شجرة لكي يقطف الثمرة . وإذا أضفنا له القوانين الجديدة في لخصه والاسكان وبيع القطاع العام ومد جعل أهل الثقة والمحاسب إلى ما شاء الله يجعل الحكومة في موقف الذي يشعل الحريق في المنزل لكي يستدفئ بمراد الوطن.

دعوة .. إلى الانتحار

في اهرام الخميس ٢٥-١-١٩٩٦ نشر خبر حادثة الاب المصري في كندا الذي قتل أسرته بعنف شديد ، لقت نظري انه اتصل بالبوليس واخبره انه سيقتل ويقتل أسرته واتقدم البوليس الشقة بعد اربع دقائق بالضبط ويوجد الجريمة ، نكرر بعد اربع دقائق بالضبط ، تصورت ان هذا الاب في مصر واقتل ، بالبوليس كما فعل في كندا واخبره بما سيفعل ، اعتقد اذا جمع الاب في الاتصال بالبوليس ، فان البوليس سوف يشجعه على الانتحار ويحمله على قتل أسرته واذا كان من الممكن ان تنال الجهران واذا كان يمكن ان يخلص على الشارع كله ، أو يقتل المدينة بالكامل فيستريح الجنين حكومة 'شعبا' ، وسوف يعطونه الوقت اللازم لذلك فلن يحضر البوليس الا بعد اسبوع ، ومن الممكن أن يرسلوا له بطليعة يساعدونه في مهمته الوطنية . وهنا أتذكر اننا بحث ميداني في احدى قرى الصعيد حكى لنا احد الفلاحين اننا تناول الشاي على مضطبة منزله المتواضع للغاية ، انه منذ عدة اشهر سرت بقرته وعنفنا ابغى عن السرقة في نقطة الشرطة لكي الاورال فقد تم حسم وتم ضربه عقلة لمدة أيام لكي يتعلم كيف يحافظ على بقرته : يقول له ان الشرطة لديها مهام أكبر من المحافظة على بقره سيادته بركان أمن المواطنين أصبح خارج نطاق مهام الشرطة ، فكل واحد الآن في مصر يفعل ما يقدر عليه، فهذا يأتي بالبلدوز والبطليعة ويهدم عدة محلات في وضع النهار بواش يقتحم إحدى الشقق بالقرية بوهنا واحد من ضباط الامن المركزي يدخل شقة الثمانية يسرا يكالغ

الارهاب بمجلسه الجري ، وتولت لدى انطباع بما نشرته الاهرام وروزاليوسف وغيرها أننا ستواجه قريباً ارباباً من ضباط الشرطة بدلا من جماعات الارهاب المتأسلم ، خاصة بعد ما نشرته الاحلى يوم ١٤-٢-١٩٩٦ تحت عنوان (عزة الأمن) تبلغ فيه الرأى العام عن انحرافات الضباط وسجنهم لمواطنين لصالح اصحاب النفوذ في سجون خاصة لاتعلم عنها الداخلية شيئا. والحقيقة الواضحة الآن أن كلا منا اصبح مستولا عن امنه وعليه أن يتصرف كما يشاء فاذا كان غنيا كان عليه يستعين بشركات الامن الخاصة أو يؤجر بطليجية وما أكثرهم في البلد لحمايته واذا كان فقيرا فليعلم ان يعيش جنب المحيط.

قضية حسبة على طفلى

منذ عدة سنوات كانت تسهر على جامعة أسبوت جماعات الارهاب بولي احدى المحاضرات تسمى امد ططبي المتأسلمين وكان من قيادتهم وراة ان يخرجنى امام الطلبة في المدرج وكنا في اخر معاضرة للبريد وقت وفاة، ان المادة التي تدرسها لنا من عند الكفار وانه لن يذكروا وسوف يقرأ القرآن ليبلغ الامتحان وينجح في تلك المادة بدون مذكرة ،وانتظر المدرج اجابتي وكانت هادئة ومسامحة وقتل له الهلاك... اذا قرأت القرآن فقط ليلة الامتحان بدلا من مذكرة المادة سوف ترسب في الامتحان ،وان علينا جميعا ان نتوكل على الله ونأخذ بالاسباب وقتها فقط سوف يوفقك الله ولكن عندما سألتى ابني (١٢ سنة) ونحن نصلى الجمعة منذ أسبوع في الشارع بعد ان اغلقه المسجد مثل بقية المساجد التي تغلق الشوارع يوم الجمعة كسهر زايد في القدين ، سألتى ماذا تفعل الانساحاف أو البوليس أو المتطوعة اذا وقعت حادثة واستسلم الامر المروى في هذا الشارع ،أو اضطر احد المرضى من الذين يستكنون في الشارع إلى التحرف بسيارة حتى منزله ماذا تفعل؟ ، اشقت على ابني من هذا السؤال وهو في هذه السن، وكانت اجابتي مراوغة ،واكتشفت ان ابني الصغير له طريقة خاصة في التفكير خاصة عندما دخل معي احدى فروع البنك الاحلى المصرى لعرض فرائد شهادات الاستثمار التي أقرها مفتى الديار المصرية ولاحت ابني انه بدل المرسى التي اعتاد أن يمسهم في البنك فلا المكان سمع القرآن الكريم بصوت قارئ خليجى وسألتى هل هناك حالة وفاة في البنك،وسألت أنا بديوى موظفى البنك

فكانت الاجابة عجيبة ان مدير الفرع راجع من عمرة جديد بوانه بعد فترة من الأيام سوف يبيع الموسيقى الجادة ويصعدا بفترة الموسيقى الحقيقية التي أن يأتي معاد الصرة الجديد وهكذا ، واصبحت أنا في موقف من تصرف القوائد على صوت القرآن الكريم، واذا عرف الشيخ يوسف البديوى طريقة تفكير ابني فسوف يرفع عليه قضية حسبة للتفريق بينه وبين زوجته ،لكنه ما زال طفلا يمكن في هذه الحالة يرفع قضية للتفريق بينه وبين أمه ،أو يقرر ان يئن ابني وامه بوانه تصبح فرصة ذهبية لابني للبحث عن ناهد الوكيل بعد ان تركها بحسب الفخرانى وكله بالخلال.

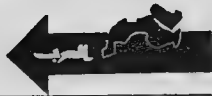
هسس الصعايدة

عندما التحمت اجازة نصف السنة مع شهر رمضان تكاسل طلبة واساتذة من الانضمام الى الدراسة إلى ما بعد عيد الفطر ، فطالت فبهي عن جامعتي في أسبوت ، وعندما انتقلت للدراسة وجدت منية أسبوت حافلة هدوء مريب،واستمتعت لهسس الصعايدة في جلساتهم الخاصة من زلاء في الجامعة ومعارف من الاهل والمسلمين، لقت انتباهي ان المصور الأول الذي دار حوله هسس الصعايدة لم يكن الحرف الطغلى في البديوى التي سقط بها عشرات القذائل من الاحالي والارهابيين والشرعة،وان هناك حيا في الصعيد بين الاحالي وكل من الارهابيين والشرعة، بل كانت القضية التي تهامس حولها الجميع يشفق في حادثة الصيدلي المصري الذي قتل خمسة من الخليجين اغتصروا زوجته هناك ودون عدم استيصال حاكم السمرودية لمارك دوجن نفى الحكومة لتلك الحادثة وتأكيد الناس لها وأخذ الهسس يزداد مع حكايات احانة الذات في السمرودية المنتشرة بين المصريين خاصة مع تكرار التصريحات السادية التي تؤكد ان العلاقات بيننا وبين الدولة القمصة على أحسن ما يرام وكل شيء قائم، وكلما تكررت تلك التصريحات يربوا يزداد هسس الشارع المصري بعكسها بوانه اتوجه لأصحاب تلك التصريحات بأن ينزلوا إلى الشارع المصري ويخذوا رأى منزل بالصناعة، سوف يسمعون العجب وسوف يؤكد الجميع انهم هناك يتلذذون بجعل المصري ذليل الحاجة ، مهما قيل عن العلاقات القمصة ومهما قيل عن العلاقات الحاسة والمصالح العليا وحتى تتعامل كمراتنين تاضجين وليس قصراً من حقنا أن نعرف ما هي المصالح العليا للوطن التي يتحجب بها الاعلام الرسمي حين يريد التعتيم على قضايا ومشاكل معينة لكي تساعد الحكام في

المحاذاة على تلك المصالح التي تهم الجميع.

زكاة أو رشوة

يوم الرقعة الاثنين-١٩-٢-١٩٩٦-قرب موعد أذان الفجر والدنيا حيايم كانت تسير أمامي على كورنيش الاسكندرية سيارة ضخمة فخمة طويلة لونها مثل الشاي عندما يدخلها بالليل وسقفها الحق يميل إلى البني وترعها قد يكون شيفروليه أو كاديلاك أو بريك فلا أعرف بالضبط فانا متخصص في وتصير ١٢٨ أو ١٢٧ أو السيات على أكثر تقدير.المهم ان السيارة عليها لوحات زرقاء مكتوب عليها جمرك السويس رقم ٩٩٠٠ وصاحبها الذي يفردها يتنجر من الصحة والمز والفتى وصاحبه بجوار جميلة طرقة قديمة وتنتلي الذهب بكثرة من اذنيها وتختفي رقبته تحت ثقل الجواهرات وشعرها اسود قادم مرفوع كأنه تاج والملاح غير مصر: اقرب الي الخليجية ، والسبارة تسير بهدء والكورنيش خال وفي منطقة الشاطي امام مستشفى الولادة وقتلت السيارة رمد صاحبها يده كحسا بعدة رولات من فئة العشرين جنبها مشيرا بها إلى الشرطي المصري صول المرور والرائف في تقاطع الشاطي والذي كان ينظر لتسارتي بازدهاء منذ برهة، ففكر الصول وترك عمله نحو السيارة الفخمة وصاحبها الذي لم يكلف نفسه وينظر إلى الصول فهو مشغول في حديث مع صاحبه المجلبة،وقت ارتب الموقف، لم يصدق مثل السلطة والنظام والمرور في مصر أن في يده فجأة يوم الوقفة عدة رولات مصرية من فئة العشرين جنبها خطفهم الرجل من صاحب الجاه في دهشة شاكرا له فضله وهو يكاد يقبل الأرض ،وتكرر الموقف في تقاطع اخر وسألت نفسي هل في زكاة الفطر أم رشوة ، وفكر ان يكون صاحبها احد الامراء الذين سوف يستثمرون اموالهم في مصر...يشعرون التقاع العام ، ويمكن أن يكون هذا العظيم اعجب بنظام المرور المصري فقرر ان يشترى سيارة المصرية بأن فيها لكل شيء في مصر الآن للبيع فلا تستعرب ، لذلك فهو ير عليهم بصفتهم صاحب المال لاطلاستان على سير الامور ، واخشى ان تكون الصورة السابقة هي ما سوف تكون عليها مصر بعد ان تباع نفسها لكل من: حب ودب...بوانه اتذكر مقولة خليجية تقول: بالقرس تفعل كل شيء في مصر كل كل...بوالعلاقات تفعل كل شيء في الخليج.



بعد عقدين من الزمن، كان خلاصها «يوم الأرض» ملكاً للأمة العربية بأسرها، عاد «يوم الأرض» إلى أصحابه.. يوماً كفاحياً متواضحاً يمثل قضية وجود لفئة صغيرة من الشعب الفلسطيني المعروفة باسم «عرب 48». هنا، قضية الأرض ما زالت قضيتهم الأساسية، الإخطار عليها ما زالت باقية، لا تنفع لها وسلام، ولا تذكر في المؤتمرات

عشرون سنة على يوم الأرض

رسالة حيفا

نظير مجلي

من بطن أرض الوطن يحرمون من الحقوق الأساسية.

عاشوا تحت حكم عسكري، أشبه بحكم الاحتلال، حتى سنة ١٩٦٧، من أجل لقمة العيش اضطروا إلى مغادرة قراهم ومذنبهم والسفر عشرات الأميال يومياً للعمل، تعلموا في مدارس، بعضها من «البراكيات» وبعضها تحت الشجر، بسبب نقص في غرف التعليم. الخدمات الصحية لديهم متدهورة والزراعة شعبية (بسبب مصادرة الأرض) ومتخلفة. الصناعة معدومة. أزمة سكن - تقدر (٢٨٪) منهم يعيشون تحت خط الفقر حتى اليوم).

حكومات إسرائيل، التي سارت بهدى الأيديولوجيا الصهيونية القائمة على مبدأ «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» دأبت على مصادرة الأرض العربية ووضعها تحت تصرف المستوطنات والكيبوتسات اليهودية وقوات الأمن. واستولت على الأرض بالحرب، سنة ١٩٤٨، والقوانين والأنظمة الإدارية القوقية. ونقلت ذلك على عدة مراحل: ١٩٤٨، ١٩٥١، ١٩٥٨، ١٩٦٦، ١٩٧٥.

في كل مرة كان العرب في إسرائيل يمتعضون ويمتعضون ويلجأون إلى الحاكم وبالتالي يستكونون مقلين على أمرهم.

ولكن في سنة ١٩٧٥، بعد أن كانوا قد تفرسوا في النضال والصمود هرباً ضد المصادرات.

كانت الحكومة آنذاك برئاسة يعسحاق رابين، وضعه شمعون بيريز وقد الداع، وكان العالم كله يدين الصهيونية

ووجودهم وانتقامهم القوي. وأصبحت قصتهم غرضاً للصمود في الوطن، اتقوى به بقية أبناء الشعب الفلسطيني في النكبات اللاحقة (١٩٦٧ و ١٩٦٨ - معركة الكرامة - ١٩٧٣ و ١٩٨٢، ١٩٨٨).

فتملأوا أن لا يرحلوا عن مساكنهم في أقصى هروب الحرب.

بقا، هذه الفئة من الشعب الفلسطيني في الوطن لم يكن سهلاً، بل تراقق مع نضال يومي ومعااناة وهيبة. تعرضوا للتشريد داخل الوطن، فهبطت بيوتهم وقراهم وصودرت أراضيهم. تعرضوا لسياسة الإفقار والتجهيل والتعويض والكبت، والاضطهاد القومي والتمييز العنصري والتهميد، وصلوا... العالم العربي سيهمهم ولم يعرفهم، بل كان هناك من اتهمهم بالهيانة..

لاتهم بقوا في الوطن وقيلوا يحل سلسلياً للتخفيف... «ولدتان للشعبين، إسرائيل وفلسطين». وإسرائيل لم تتقبلهم مواطنين متساوين وفي مرحلة معينة تعاملت معهم كأنهم طابور خامس داخلها، وفي المرحلة اللاحقة تعاملت معهم كمواطنين من الدرجة الثانية. الثانية: اليهودي الذي مهاجر لإسرائيل من رومانيا، أو ألمانيا أو روسيا أو إثيوبيا يحظى بكل الحقوق والامتيازات... قبل أن تغطا قدماء أرض الطائر، والعرب الذين ولّوا

قبل عشرين عاماً بالضبط، بوحدنا في يوم الثلاثين من آذار /مارس ١٩٧٦، ولد «يوم الأرض». وبعد ستة احتفل به العالم العربي بأسره. ثم صار العرب يحفظون به في كل مكان يتواجدون فيه من العالم. الكثيرون نسوا أسبابه وظروفه واعتبروه يوماً نقالياً عربياً بل عالمياً للتضامن مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

لكن وهجة هذا اليوم بهتت، ليس لأنه لم تعد هناك قضية فلسطينية، فالطريق ما زالت طويلة أمام الشعب الفلسطيني حتى يحصل على حقوقه الوطنية المشروعة، وليس لأنه لم تعد هناك قضية أرض محرقة، فالخطر على الأرض الفلسطينية وفي العربية هموماً ما زال ماثلاً ومهدداً. إننا روح التضال في استراحة، يريد لها النظام العالمي المجهدي أن يتطور وتطول.

وعناسة الذكرى السنوية العشرين ل«يوم الأرض».. لا بأس من العودة إلى قصته وجذوره، لعل الذكرى تمشي الذاكرة..

التاريخ

أصحاب فكرة يوم الأرض وصاغوه هم «عرب 48». تلك الفئة من الشعب الفلسطيني التي بقيت في الوطن ولم ترحله في سنة ١٩٤٨ عام النكبة. الكثيرون والفرح والفرح والفرح، فاصحابها جزء من مواطني دولة إسرائيل، الذين حافظوا على عروبهم

بالتصيرية . وكانت حرب أكتوبر قد حوت العرب من عار نكسة ١٩٦٧ .

وكان الشعب الفلسطيني قد اتجه نحو تمهيق إرادته المستقلة والمواطنين العرب في إسرائيل قد نضجوا للمطالبة الكفاحية بحقوقهم .

لكن الحكومة وضعت مشروعا كبيرا لمصادرة ما تبقى من الأرض: حوالي ٤٠ ألف دونم في الجليل ، بهدف إقامة مستوطنات يهودية عليها وجعل اليهود أكثر من العرب في المنطقة . وحوالي ٥٠ مليون دونم أرض في منطقة النقب .

وشعر العرب ان هذه المصادرة تستهدف وجودهم . فان هم سكتوا هذه المرة ، لن يبقى لهم موطن قديم في وطنهم . وفي تلك الفترة كان قد كشف النقاب عن مخطط عسكري إسرائيلي لاستغلال العرب القادمة وطرده حوالي سبع مائة ألف عربي من السلطة الغربية وإسرائيل إلى

الأردن . فقررنا الخروج إلى معركة نضالية واسعة النطاق لا تنازل فيها ولا مساومة .

يوم الأرض

المشروع أعلن في شهر ايلول / سبتمبر ١٩٧٥ وفي ١٨ تشرين الأول / أكتوبر عقد في مدينة الناصرة العربية المؤتمر الأول للدفاع عن الأرض ، ضم القيادات المحلية (رؤساء سلطات محلية ، بعض أعضاء الكنيست العرب بالأساس من الحزب الشيوعي وبعض القيادات الوطنية الأخرى) . وحضر المؤتمر عدد من الشخصيات اليهودية الديمقراطية مثل نواب الحزب الشيوعي ، وحركة شولي (ساير لشر) وأدوى القنبري ومنير بعلل ورئيس عصبة حقوق الانسان ، الكاتب مردهاي آبي شاول وانبثقت عن المؤتمر «لجنة الدفاع عن الأرض العربية في إسرائيل» .

في البداية لم تحارب السلطة هذا المؤتمر ،

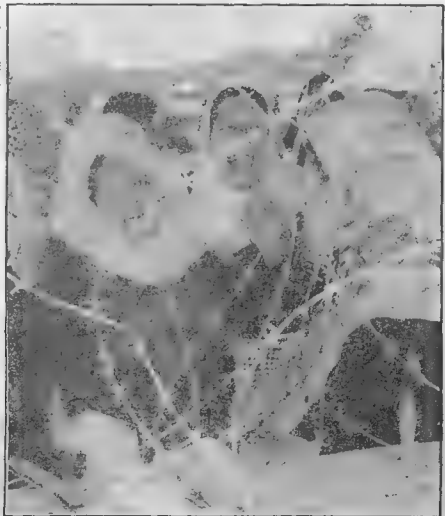
لكنها اعتبرته نشاطا للتحزيب الشيوعي . وراحت تضغط على المشاركين فيه من أعضاء أحزابها الصهيونية والمزبطين لنسحبوا ، ولم تقبل بالقاء ، أو حتى تجريد الشيوع .

وبعد عدة أشهر من المحاولات للتباحث والتفاهم ، تمصلت لجنة الدفاع عن الأرض إلى قناعة واضحة بأن السلطة مصرة على مشروعها وانها لا تترك جيم المعارضة ومعتصمتها . فقررت الانطلاق في معركة نضالية شعبية . واختارت ٣٠ آذار / مارس ١٩٧٦ لإعلان إضراب عام لكل المواطنين العرب . العمال والطابع والفجار . والزرايع والصناع ، بلا استثناء .

وقد اهتزت المؤسسة الحاكمة لهذا القرار الذي لم يكن له مثيل في التاريخ النضالي للمصاهير العربية . واعتبرته السلطة تقريبا خطيرا على سيادة الدولة والقانون (مع أن القانون يضمن حق الاضراب) . وهددت العمال المضربين بالطرده من العمل . وهددت بقصص المعلمين من وظائفهم . وضغطت على رؤساء المجالس المحلية أو معظمهم كانوا من أحزاب السلطة) حتى يلقوا ضد الاضراب . وشنت وسائل الاعلام الاسرائيلية حملة تجرير عصرية هوجاء ضد الاضراب وقيادته الوطنية . معتبرة اياهم «شيوعيين أو اجراء للشيوعيين» .

وبالقفل ، نهجت السلطة في تخويف الكثير من المسؤولين . ودعا قطاها إلى مؤتمر لرؤساء البلديات والمجالس القروية (عقد ليلة يوم الأرض ، في ٢٩ آذار / مارس في شتاعمر) . يستهدف اتخاذ قرار بالقاء الاضراب . وكان زعماء السلطة ورجال المخابرات الفعاليون بين العرب ، مجتمعين في بيت على مقربة من الاجتماع ، الاخبار طازجة ويوجهون التعليمات في نفس اللحظة . واتخذت الحاضرين قرارا بالأغلبية (٣٥ ضد ٦) . بالقاء الاضراب . وذلك بعد صراع عنيف ومعركة باليدى جرت خلالها عدة محاولات اعتداء على رئيس بلدية الناصرة ، الشاعر المرحوم توفيق زياد . ولقد استمصل الرجل ومقنوده في صد الهجوم . وخرج زياد في نهاية الاجتماع إلى مئات المواطنين الذين تجمهروا في الخارج . وقال لهم : الرؤساء رضخوا لاملاعات وتهديدات الحكومة . لكن القرار ليس لهم . القرار للشعب والشعب قرر الاضراب . وكلنا ، قلنا ، إلى الاضراب .

نساء - فتاة يعطانهما استجاءا على الحصار الإسرائيلي / دحور



.. وهكذا كان فعلا.

لقد تحولت قرانا ومدينتا العربية في الجليل والمثلث والساحل والنقب إلى ثكنات عسكرية. عشرات آلاف الجنود ورجال الأمن انتشروا في كل مكان، يخيفون ويهددون ويستقرون، بشكل لم نعرفه حتى في أيام الحرب. لكن الشعب لم يخف ولم يذعن ولم الاضراب. وفتح على الرغم من الثمن الباهظ الذي دفعناه: ستة شهور وحوالي ألف جريح وألوف العمال فصولا من افعالهم.

لكن ٨٠٪ من العمال والموظفين والطلاب شاركوا في الاضراب. وصدى الشباب لقرات الجيش والشرطة واشتبكوا معها بالعبارة والصبر. ودامت المماركة أكثر من عشرين ساعة وفي إحدى قرى البطوف في الجليل (عربة) سيطر الشبان على معجزة يتقدمها قائد قوات اللواء الشمالي، الجنرال وقائيل ايتان (التي أصبح فيما بعد رئيس أركان الجيش وقاد الحرب على لبنان سنة ١٩٨٢ ثم أصبح عضو كنيست واليوم هو قائد حزب «السموت» اليسيني المتطرف. واحتجزوه هو وضابطه وأطافروا سراحه فقط بعد مفاوضات قادها تشطاء الحزب الشيوعي في القرية، وبعد ان اشترطوا انسحاب كل القوات العسكرية من المنطقة.

على إثر هذه الهبة باعلت الحكومة عن محمد قرار المصادرات. وكان ذلك انتصارا كبيرا للمركة، تبعته تطورات تاريخية وانعطاف في حياة الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل. وتركت أثرها أيضا على الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال.

في تلك السنة تأسست الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (ضمت الحزب الشيوعي وأوساطا شعبية واسعة من الجماهير العربية التي لم تكن تجوز على مواجهة السلطة). وفازت الجبهة في انتخابات السلطات المحلية بـ ٢٢ بلدة (من مجموع ١٤١) وأصبحت أكثرية وفزيم اعران السلطة شر هزعة. بالمقابل قامت جهات كنه في الضفة

الغربية وقطاع غزة، ضمت كل القنصائل والقرى الوطنية. وفازت بجميع قيادات السلطات المحلية والبلدية.

وفي سنة ١٩٧٧ فازت الجبهة بأصوات ٥٧٪ من الناخبين العرب وصقلت على ٥ مقاعد في الكنيست.

وأصبح برنامج الجبهة مقبولا علنا على جميع الأوساط السياسية العربية في إسرائيل بما في ذلك رجالات السلطة. وتغيرت نفسية ومكانة هذه الفئة.

«يوم الأرض» أصبح رمزا للضال الشعبي الوطني لدى الشعب الفلسطيني بأسره. وكذلك لدى الأمة العربية. فاحتفى به من سنة إلى سنة. وبما لا شك فيه أن لغيره ترك بصماته على نضال الشعب في الضفة والقطاع، القدس، خضوصا خلال الانتفاضة. وأبرز هذه البصمات استعمال الحجر سلاحا للثوار النضالي الواسع والملاطي والمستنل مبدأ وطرقا.

والهجوم !

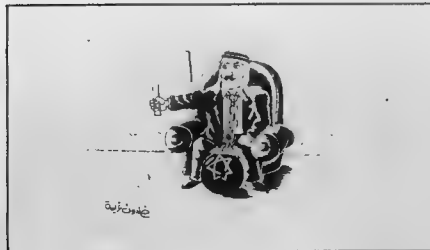
لقد تبدلت وتغيرت الأحوال خلال السنوات الأخيرة. فالنظام العالمي الجديد وانهار المنظومة الاشتراكية. فقد انتضال روحه الثورية في العالم أجمع. وديموم الأرض أيضا أصبح من المناسبات المنسية في عالنا العربي.

لكنه بالنسبة للجماهير العربية

الفلسطينية في إسرائيل ما زال مهما، ليس كمناسبة تذكارية، بل كيوم نضالي. والسبب الأساس لهذا، هو أن قضية الأرض ما زالت ملتهمة. بالاضطرار محدقة بها.

فعلى الرغم من انطلاق مسيرة السلام الإسرائيلي الفلسطيني، وادعاء حكومة حزب العمل بتغيير سياستها مع المواطنين العرب وتأنيها المسارعة، ما زالت تصادرو الأراضي العربية حتى اليوم. وفي النقب هناك مخطط يصرون على تنقيده، يقضى بتجميع البدو في بلدات جديدة بعد مصادرة كل أراضيهم وأراضيهم على التنازل عن المرامي لمواشيهم. وهناك حوالي مائة قرية عربية تريد الحكومة هدمها، لأنها لا تعترف بوجودها، وبالطبع، الهدف نهب أراضيها. وفي الجليل هناك مشاكل كبيرة في تقاضا الأرض وفي عدة مناطق: القصارة، الشاغور، البطوف، مكر، جديدة- وغيرها. البلدات العربية كلها تقريبا تعيش ضائقة سكن. وتقص في الصناعة. ومشاكل في الزاعة وتنقصها الأرض لتنتظر.

وإذا كانت الأرض رمزا للوجود، فإن غياب الحل الجذري والمعادل للقضية الفلسطينية، يجعل من «يوم الأرض» يوما نضاليا أيضا من أجل إحقاق الحق الفلسطيني للشعب الفلسطيني بالدولة المستقلة. وعليه، فإن «يوم الأرض» ما زال حيا وحيويا وما زال أصحابه يحورونه ويحتفلون به.



كاركاتير ضدون غلندن عربية

رسالة القدس

سياسة

الاغلاق و

الحصار

نتائج

وأبعاد

حنا عميرة

تفاوتت التقديرات حول المحاصر التي يتكبدتها الاقتصاد الفلسطيني نتيجة لسياسة الحصار والإغلاق الإسرائيلية على الضفة والقطاع. فبينما تحدثت تقديرات بعض الاقتصاديين الفلسطينيين عن خسائر بقيمة ١.٠ مليون دولار يرومها، أشارت تقديرات السلطة الفلسطينية إلى خسائر بقيمة تتراوح ما بين ٦ إلى ٧ مليون دولار يرومها. أما تيموثي لارسن، مندوب الأمم المتحدة في الضفة والقطاع فقد أكد أن إغلاق المعابر يكلف الاقتصاد الفلسطيني يرومها ٣ ملايين دولار أو ما يعادل ٧٥٠ مليون دولار في العام. لكن المهم في أقوال لارسن أنه أشار أيضاً إلى أن قيمة المحاصر تتجاوز ما تقامه ٢٥ دولة - أي جميع الدول المانحة - سنوياً إلى السلطة الفلسطينية. وهذا يعني أن على الدول المانحة أن تقبل سياسة الحصار والاغلاق الإسرائيلية وعلى المواطن الفلسطيني دفع الثمن. والسؤال فهل بإمكان تصفية من هذا الترهل حل مشاكل الشعب الفلسطيني!!

خطة الفصل تحدّد معالم

الحل النهائي!

وأجمعت مختلف الأوساط أن خطة الفصل الإسرائيلية الأمنية، للره على العمليات الانتحارية أبعد عن الرؤيا الإسرائيلية الرسمية لتتائج مفاوضات الحل النهائي مع الجانب الفلسطيني التي لم تبدأ بعد، وليس هناك ما يشير إلى احتمال بدخا في المستقبل القريب! فهذا الفصل هو من حيث المضمون والنتائج أشبه بالحصار وهو أيضاً سياسة إسرائيلية تختبئ وراء شعارات عارية الإرهاب من أجل فرض وقائع مرفوضة على الشعب الفلسطيني ومحاصرتها بما في ذلك معاصرة السلطة الفلسطينية والتراجع نهائياً عن التعامل معها كشريك سياسي ونحوها إلى تابع أمني يخضع للطلبات والشروط والانتقارات ولا توقف كل شيء وتجمد في مكانه بما في ذلك إعادة الانتشار العسكري الإسرائيلي في مدينة الخليل.

فالإنذار الإسرائيلي الرسمي بالقيام بعمليات عسكرية داخل مناطق السلطة الفلسطينية والعودة إلى سياسة الطرد والإبعاد وهدم البيوت وشن حملات الاعتقال وغيرها، فهي جميعاً إجراءات تشير إلى أن سياسة الضغط والابتزاز ضد السلطة

الفلسطينية مستمر وستتصاعد خلال الفترة القادمة. وفي هذا المجال أشار أكثر من مسؤول ومعلق إسرائيلي إلى أن النظرة الإسرائيلية في مواجهة الإرهاب تعتمد على ٣ مبادئ رئيسية كما يلي:

١- الهجوم الدائم والمتواصل.
٢- ضرب زعماء الإرهاب البارزين
٣- المحافظة على قرة الروع الإسرائيلي.
لقد طبقت إسرائيل هذه المبادئ ضد الشعب الفلسطيني طيلة سنوات الاحتلال ولم تؤد إلى النتيجة التي تريدها.. وهذا هو الآن ستواصل تطبيقها على الرغم من الانتقادات المعقودة وعلى الرغم من قيام سلطة فلسطينية!!

لقد وضعت إسرائيل باستمرار متطلباتها الأمنية قبل متطلبات السلام وانتقدت من هذا السلام وزعمته لصالح أمنها الذي كان يعمل باستمرار الاستيطان والفرص العسكرية والسيطرة على شعب آخر.

وهذه الذخيرة بالتحديد هي التي تخضت الآن من خطة الفصل الأمنية أي الحصار الشامل والمقررات الجماعية ضد الشعب الفلسطيني.

لقد حان الوقت لإدخال تعديل جذري على المعادلة الإسرائيلية التي تضع الأمن والتوسع والاستيطان قبل السلام القائم على الاعتراف بحق تقرير المصير لمن تريد الوصول إلى السلام معهم.

وإذا كانت إسرائيل تريد الفصل بين الشهيدين الفلسطينيين والإسرائيليين فليكن فصلاً سياسياً قائماً على الاعتراف بالسيادة الفلسطينية الكاملة على الأرض والحدود والمعابر، وإذا أرادت إسرائيل أمناً كاملاً فلتعترف بالولاية الكاملة للسلطة الفلسطينية، وهذا يتطلب البدء قريبا بمفاوضات الحل النهائي وليس بتطبيق سياسة الفصل الأمني والمقررات الجماعية والحصار. وفي هذا المجال فإن أمام السلطة الفلسطينية أن تفعل الكثير لإنقاذ إسرائيل للوصول إلى هذه النتيجة وعدم الاكتفاء بالتجاوب مع طلباتها وشروطها الأمنية المتصاعدة وغير المتناهية.

مكانة السلطة على ضوء مطالب إسرائيل الأمنية

حدد رئيس الوزراء الإسرائيلي شمعون بيرس عدة مطالب أمنية من السلطة الفلسطينية كشرط لتلك الحصار وشكل طاقما

سياسياً، خاصة من أجل متاعاة هذه المطالب ووضع التوصيات اللازمة في هذا المجال. أما مطلب يبرس فقد قلقت بهتمام السلطة الفلسطينية بالقاء. التقيض على ١٣ من المظلمين للسلطة الإسرائيلية وفق مصلحتهم من وصفهم بالمسؤولين عن العمليات الانتحارية الأخيرة. كما تضمنت هذه المطالب إخراج عدد من المنظمات الفلسطينية العسكرية خارج القانون ومجرمها من سلاحها وتدمير البنية التحتية والمنشآت لهذه المنظمات وتجنيف مصادر تمويلها.

أما الناطق باسم منسق وزارة الدفاع الإسرائيلية فقد كان أكثر وضوحاً عندما استبعد رفع الطوق الشامل من الضفة والقطاع قبل الانتفاضات الإسرائيلية واعتبر هذا الناطق إن إعادة الانتشار في عملية الخليل سابق لأوانه - الاتفاق نص على تنفيذ إعادة الانتشار في الخليل نهاية آذار (مارس) - وأضاف أن المفاوضات لن تستأنف مع الفلسطينيين لأنه لا يوجد ما تتفاوض عليه معهم على حد قول، وقال أيضاً ما لم تتأكد من ضمان امتثال ٩٠٪ فلنأخذ لنرفع الإغلاق، كما أن الوضع لن يعود إطلاقاً إلى ما كان عليه سابقاً. وانتهت الناطق الإسرائيلي، وهذا ما يفعله مختلف المسؤوليين الإسرائيليين كل يوم الرئيس هرتس بأنه لا يفعل ما فيه الكفاية للقضاء على حركتي حماس والجبهة.

وإذا كان المطلوب من الرئيس عرفات ضمان أمن إسرائيل ١٠٠٪ كشرط للتقدم في عملية السلام.. فليقل على هذه العملية السلام.

إن إعلان موقف المطالب الأمنية الإسرائيلية بهذا الشكل هو وسيلة واضحة للتصريح من عملية السلام يرميها وحتى ما تحقق منها حتى الآن على قلتها ومحدوديته وهذه مسألة تتطلب التفكير العميق من الذين يعتقدون بأن بإمكان عودة المياه إلى مجاريها السابقة.

ولعل ما يستدعي إيمان النظر فيما يجري والتفكير جدياً بالأمر هو ما ورد في بعض التعليقات الإسرائيلية التي نشرت مؤزراً عن احتمالات السلطة الفلسطينية ومن أسئلة باتت تطرح عن مستقبل هذه السلطة عن الخطوات الإسرائيلية القادمة وتأثيرها في هذا المجال.

لنحرق العنف والعنف المضاد ولنتفاوض حول الحل الدائم على أساس القرارات الدولية

مرة أخرى تسقط الضحايا ضمن مسلسل العنف الطويل، وتتراو الأفعال وردود الفعل الناجمة دون توقف، ولقد كنا منذ البداية نرفض هذا الأسلوب وتدين قتل الأبرياء وكل أشكال الإرهاب، ونؤكد على أحزناها بمختلف المعايير الإنسانية والوطنية. ومن غير شك أن أبحاث الأسيرين الآخرين قد كشفت عن مدى بشاعة نتائجها بالمعدين الإنساني والوطني، لكن إدانة جرائم العنف والعنف المضاد، وإن كانت ضرورية، فإنها لا تكفي، ودليل ذلك أن مختلف الإدانات والاستنكارات السابقة لم تقنع سقوط ضحايا جديدة. فمسلما لم يتح ذلك العنف والقمع ومختلف صروف القهر الأخرى.

وتنح إذ نطالب بوقف أعمال العنف لانتبهت عن تبريرها، ونؤكد على التصالح بهذا التفاوض لتفكيك القرارات الدولية الخاصة بالصراع العربي الإسرائيلي، فلنأخذ تدعو إلى استخلاص النتائج بما يجري.

إن الاتفاقيات الموقعة بين السلطة الوطنية الفلسطينية وإسرائيل والتي وصفت بأنها اتفاقيات سلام لم تحقق الأمن والسلام لأحد الطرفين. ولم يكن ذلك نتيجة للتفاوض من حيث المبدأ وإنما كحل هذا التفاوض قد خرج عن مساره الهادف إلى تطبيق قرارات الشرعية الدولية وتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني يوجب هذه القرارات، ولكن ما جرى التوصل إليه من اتفاقيات لم يغير شيئا ملموساً في حياة الجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة على المستويين السياسي والاقتصادي. فقد استمرت الحكومة الإسرائيلية في سياسة التوسع الاستيطاني والضغط الاقتصادي والإغلاقات بين مدن ومناطق الضفة والقطاع ومصادرات الأراضي باسم الطرق الانتقافية وتوسيع المستوطنات.

وزادت حدة البطالة وتردى الأحوال المعيشية للجماهير الفلسطينية، وذلك بل تفاقت عوامل الإحباط والتفكك ورفض الوضع القائم. إن وضعنا كهذا، ويدبر تدمير لأعمال العنف التي وقعت. من شأنه أن يغني الهجمات التطرف والعنف، الأمر الذي

يستوجب تغيير ذلك الوضع. ولكن الحكومة الإسرائيلية بالإجراءات التي تتخذها مثل الحصار وإسلاء الشروط على السلطة الفلسطينية والاكتفاء بالنظر إلى المشكلة من زاوية بوليسية مجردة، تزيد من تفاقم المشكلة بدلاً من حلها. فلقد كانت هذه الحكومة بكافة أذرعها الأمنية مسيطرة على الضفة الغربية وقطاع غزة لأكثر من ربع قرن ومع ذلك لم تتجعب في وقف مسلسل العنف.

وقد أن الأوان لإدراك أن الاتفاقيات الموقعة والإبقاء على سياسة التوسع الاستيطاني ومصادرة الأراضي وفرض حالة الحصار على الضفة والقطاع لم تحل السلام، وأن هذا السلام الذي نطالب به وتترقب إليه جماهير الشعب الفلسطيني والإسرائيلي لا يتحقق، يفرض مزيد من الإجراءات القمعية ولا بما يسمى الفصل الأمني بكل ما يعنيه من تصفيقات جديدة على المستويين الإنساني والاقتصادي، ولما يتحقق فصل سياسي يتمتع بوجبه كل شعب بحدود أمنة معترف بها وسيادة كاملة على أرضه ضمن حدوده، وتطلع عليه واجبات حماية تلك الحدود وحمل المسؤولية الكاملة عن تكسيها كحدود سلام وتعايش وتعاون بين الشعبين الجارين.

ومن هنا فلنأخذ تدعو إلى البدء في التفاوض حول الحل النهائي على أساس قرارات الشرعية الدولية، والتوقف عن تطبيق سياسة انصاف الجار.

إن السلطة الوطنية الفلسطينية مدعوة للتصريح فيما يمكن أن يؤخذ إليه وضعتها ومكانتها في حالة استجابتها للشروط الإسرائيلية، واستمرار حكومة إسرائيل في رفضها تطبيق القرارات الدولية، ومواصلتها سياسة التكرار لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

لند بلغ الوضع هذا من الخطورة يستوجب من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الاجتماع ودراسة مختلف الاحتمالات وتقرير خطة تفاوضية جديدة حول الحل النهائي ومطالبة راعين المفاوضات والدول العربية والصديقة مساندة الموقف الفلسطيني والعودة بالمفاوضات إلى مرجعيتها المتفق عليها وهي قرار مجلس الأمن ٢٤٢ و٣٣٨، ودعوته إلى استخفاف نفوذها لدى إسرائيل للالتزام بذلك كي يتم التوصل إلى حل عادل وقائم للتراث يخرج شعبنا من دائرة العنف والعنف المضاد إلى دائرة السلام الدائم والعدل.

١٩٩٦/٣/٥

المكتب السياسي
تحزب الشعب الفلسطيني

الجيش حامى النظام

والامتيازات الطبقية

تقوم البرجوازية أي بورجوازية - من طبيعة مشروعها السياسي من مرحلة لأخرى فيأخذ أحياناً طابعاً طائفياً وأحياناً أخرى طابعاً وديقراطي أو عسكرياً طبقاً لموازين القوى الطبقية فالبرجوازية مهما الرئيس أن تحافظ على امتيازاتها الطبقية بغض النظر عن الطبيعة السياسية لنظامها وتطبق هذا على الوضع في لبنان فالبرجوازية اللبنانية انتفعت من جرائم الحرب الأهلية ومن نمو السلم البوم. فالبرجوازية اللبنانية ذات الغلبة الطائفية المسيحية قبل الحرب الأهلية وأتاحتها استخدمت المواقف والامتيازات ذات السمة الطائفية التي حصلت عليها نتيجة طبيعة النظام السياسي الطائفي، من أجل تكريس هيمنتها الاقتصادية وحماية امتيازاتها الطبقية على حساب الطبقة العاملة وأوسع الجماهير الشعبية من كل الطوائف بما في ذلك الجماهير المسيحية من للطبقة العاملة وصغار الفلاحين والوظفين والفئات الوسطى في المدينة والريف، وكانت كلها تعرضت لامتيازاتها الطبقية من اللطيف أمام الحركة العمالية والشعبية والديمقراطية وفي ظل تقاوم الأزمة الاقتصادية لنظامها كانت تلجأ إلى تسمير الطائفية لطمس طبيعة الصراع الطبقي من جهة ولتشتت الجماهير المسيحية في معركة الدفاع عن الامتيازات الطبقية وكأنها امتيازات ومكاسب لهذه الجماهير وليست لحفنة ضئيلة من البرجوازية على حساب أوسع الجماهير.

لكن مع الدمار الذي سببته الحرب الأهلية باتت البرجوازية تدرك أن هذا النظام الطائفي الذي أقامه خصوصاً لحماية امتيازاتها لم يعد ملائماً فقد أدت الحرب إلى تدمير الاقتصاد وانقراض رعية رأس المال المستثمر بشكل جعلها مهددة بالإفلاس والحروب ومن ثم عملت بالإضافة إلى عوامل أخرى على وضع نهاية للحرب الأهلية. وجاء اتفاق الطائف ليلحق وفقاً وطنياً هشا في لبنان بعد انتهاء الحرب، فهاذا الاتفاق كرس حكم الفرد، فقد أعطى مجلس الوزراء صلاحيات واسعة ويحكم بكون رئيس الوزراء رجلاً يحجم «ويقبح الحروري» القوة

المالية الضاربة والأسالي الكبير، فإن النظام بأكمله يدور حوله حيث تذهب هذه الصلاحيات عملياً إلى رئيس هذا المجلس ولم تسمع سلطة البرجوازية مثلاً في الجمهورية الثانية لحل المسألة الطائفية حلاً ديمقراطياً بل عملت على أن تظل هذه المسألة حاضرة كورقة يمكن استخدامها عند اللزوم فهي سعت منذ البداية إلى ضبط وتجميع دور المسيحيين الأمر الذي انعكس سلباً على مشاركتهم السياسية حيث امتنع المسيحيون عن المشاركة في انتخابات ١٩٩٢ - وبصورة أقل على التقل الاقتصادي لهم، يحدث هذا في موازاة مع ضبط صعود الثقل الشيوعي سياسياً واقتصادياً المتنامي بشدة بسبب الوجود السياسي والعسكري السوري المكسر باتفاق الطائف الذي أكد على دور سوريا في إدارة دفة الأمور وأعترف بمصالحها في لبنان. ومن هنا فإن أجزاء الانقسام الطائفي في لبنان على الصعيد الشخصي عادت إلى البرزو بقوة علماً بأنها استمرت حاضرة منذ انتهاء الحرب الأهلية.

لقد اجتلى لبنان بعد معنة الحرب برأسمالية أشد فتكاً من تلك الحرب فهي تشهد اليوم بؤساً لا يوصف في الوقت الذي تنضج الحكومة في بيروت مئات الملايين من الدولارات حيث يراد لوسطها التجاري أن يكون مركزاً استثمارياً مهماً في الشرق الأوسط وتقدم بتوزيع المشاريع على ذريعتها من سوليدير إلى اليسار إلى لاهوت ومعه هذه المشاريع معفاة من الضرائب فالبرجوازية اللبنانية استولت من خطط الإنماء وإعادة الأعمار بأرباح هائلة اقترنت بزيادة الفقر عند السواد الأعظم من الشعب اللبناني وعلى رأسه الطبقة العاملة.

وتتضح من الوضع الاقتصادي والاجتماعي التناقض والفضب العام الذي تبلور في الإضراب تلر الإضراب أن السلطة السياسية مهددة بالسرقة ومن هنا بدأ الجيش في صورة المنفذ فالسلطة محتاجة إلى حديدية لتصرير سياساتها الاقتصادية التي تستهدف تجميع وفقار الشعب ولتصير قانون السيطرة على الإعلام المرئي والمسموع ولربما استجابت إليه لتصير مشروع قانون الانتخاب الذي تعارضه أغلب القوى السياسية. ولذا فهي قررت إنزال الجيش إلى الشوارع بدعى حساسية الظروف الأمنية وهو نفس التكتيك الذي يأسه تقع الحكومة المطالب العمالية

دائماً كما حدث في المظاهرات العمالية في يوليو الماضي إلا أن هذه المرة سببها الجيش في الشارع لمدة ثلاثة أشهر الأمر الذي يمكن القول معه أن البرجوازية اللبنانية أدركت أن المخرج الوحيد للحفاظ على امتيازاتها وهو وضع الجمهورية في يد الجيش وتركيز الديكتاتورية.

وأمام حيرة التصعيد تراجع الاتحاد العمالي العام عن قرار الإضراب والتظاهر وأكد على تحمله للمسؤولية في دعوة المواطنين الالتزام بقرار منع التجول الذي استمر ١١ ساعة يوم ٢٩ فبراير حرصاً على عدم الاصطدام بالجيش الذي رجع به إلى مواجهة مواطنيه بقرار لاصبر له من قبل الحكومة من وجهة نظر الاتحاد العام ورئيسه إلياس أبو رقيق الذي ينظر إلى الجيش نظرة حيادية كأنه جيش كل اللبنانيين وليس جيش البرجوازية وحامي امتيازاتها الطبقية - إن هذا الموقف التراجعي للاتحاد العام يعكس طبيعة التهربية له فالقنات الوسطى التي انحدرت إلى الطوائف الفقيرة هي التي اصطفت وراء الاتحاد العمالي العام التحذير عما انتهت إليه أحواله فهؤلاء أبناء الطبقة الوسطى المسيحيين قبل الحرب الهائلة أحوالهم بعدها «هؤلاء» لم يفلحوا في عناية مستحقة من حكومات ما بعد الطائف المتعاقبة. وتشكلت قيادة الاتحاد العام من تلك الفئات الوسطى التي انخرطت في التحركات المطالبة.

أخيراً يبدو أن حكومة رئيس الوزراء رفيق الحريري عزمة على الاستمرار في سياسات رفع الأسعار ولو بإطلاق النار فبعد تراجع الاتحاد العمالي عن الإضراب والتظاهر أعلنت عن قيادة جديدة في سحر صليحة - البزني في منتصف الشهر الماضي متحدة بذلك الاتحاد العمالي والجماهير الشعبية المتلفة حول الاتحاد الذي راعى على التفاوض مع الحكومة لنيل المطالب واكتشف الحدة ومن ثم قرر الإضراب العام في نهاية مارس الأمر الذي يشير معه احتمال تكرار نفس السيناريو فالتحرك الطائفي للطبقة العاملة في لبنان ما زال متقيماً من ناحية بالطبيعة والتهدئة لقيادة الاتحاد العمالي العام وبالعودة الحديدية للجيش المتحركة تحت مظلة خادعة ووصفية تسمى الأمن القومي.

قراءة في مغزى قمة صانعي السلام

رسالة شرم الشيخ
فاطمة فرج



عزلات بولسطن ومبارك وكلينتون يمشون شجرة أباهم ما

المأزق السياسي لهم جميعاً والأزمة الاقتصادية يتطلبان الاندماج مع إسرائيل. فالانظمة العربية في ظل توازن قوى لصالح إسرائيل وفي ظل اندماجها مع إسرائيل تضحي بالحد الأدنى من مطالب الشعب الفلسطيني وتقف في مواجهة الشعب الفلسطيني.

القضية القائمة والتي دار حولها الكثير من النقاش هي: هل هذا المؤتمر لدعم السلام أم لمكافحة الإرهاب؟ لقد انشغلت الدوائر السياسية بهذا الموضوع قبل انعقاد المؤتمر. طلبت الولايات المتحدة تسميته بدعوة مكافحة الإرهاب، وأصررت الإدارة المصرية على إبراز عملية السلام كمحور رئيسي. وكان يوم ١٢ مارس مشحوناً بالنقاش فالرؤود العربية تنقش أن تهدر أمام شعبها كمن يساند بيريز بشكل مطلق. قال دبلوماسي مصري: «فلتتنا طوال اليوم في نقاش مع الأمريكيين والعرب وكبي نجد صياغة ترضي الجميع الأطراف». وكانت الصياغة للاستهلال الملحق في صالح قمة صانعي السلام.

ولكن هذه الزبوة تفرض اقتراضاً خائفاً وهو أن هناك اختلافاً حقيقياً بين كين القمة قمة للسلام أو مكافحة الإرهاب. فهما في الواقع وجهان لعملة واحدة والمسيبات في هذه الحالة تمجيد. حاصل.

وفي هذا السياق يصيح السؤال: ما هو جوهر عملية السلام الحالية؟

أما صحف المعارضة فركزت على الأزدراج في موقف جميع الحاضرين حيث تصارع الدول لمساندة إسرائيل، وتتصالح بالصمت عندما يراجه العرب الإرهاب الإسرائيلي.

ويظل التساؤل عن مغزى قمة شرم الشيخ الحقيقي وماذا تقول عن قضايا مثل «عملية السلام»، «والإرهاب» و«وحاس».

وهذا التقرير يحاول للإجابة عن هذه التساؤلات من موقع الأحداث.

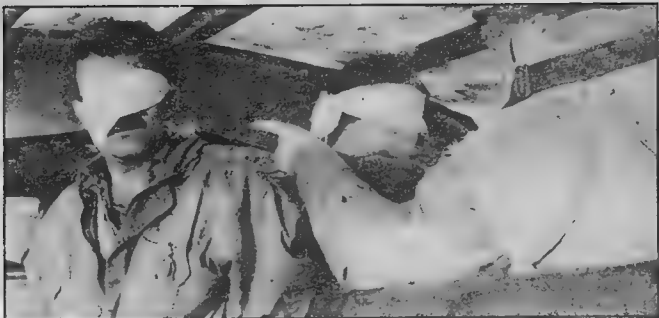
« أول ما يلتفت الانتباه هو تجسيد القمة للتناقض والتناظر الجوهرى بين مصالح الحكام والشعوب في المنطقة ككل. وقد لخص الرئيس كليتون هذا الاستنتاج في كلمته عندما قال: «لا ندعونا نقلل من أهمية تجمعنا اليوم. فاليوم الحائط الفاصل الذي نواجهه في الحقيقة ليس ما بين العرب وإسرائيل». فلكل بات واضحاً أن الاختلاف بين مصالح الحكام العرب ومصالح الحكام الاسرائيليين ليست جوهرية خاصة إذا ما قورنت بالاختلافات فيما بين الحكام العرب. فتشروع الطريقات الحاكمة في منطقة الشرق الأوسط واضح وواحد وهو خلق سوق شرق أوسطية لتتجه في النظام الرأسمالي العالمي. فالمصالح الاقتصادية هي التي تجدد مواقع الحكام وليست هويتهم القومية قد أصبحوا على يقين أن الخروج من

أثارت قمة «صانعي السلام» التي عقدت في شرم الشيخ يوم ١٢ مارس وحضرها ٢٩ من أهم قيادات العالم زبوة في الأوساط السياسية والإعلامية. وبعد انتهائها بدأ الجميع يحارون. جمع هذا الكم الكبير من التفاصيل والمعلومات لتساعد في تكوين رؤية واضحة عن مغزى القمة.

انطلق الصحفيون يومى ١٢ و١٣ مارس يلهمون وراء الستورين ليحصلوا على كلمة من هنا أو تصريح من هناك، ليجعلوا أنفسهم في نهاية اليوم وقد سودوا صفحات عديدة .. ومع ذلك.. يظل السؤال «إيه المهم؟».

وعصوما تركزت التغطية الإعلامية على التفاصيل الإخبارية الثيرة مثل المصافحة والتاريخية بين سمود الفصيل وميريز ودعوة قطر بيريز لزيارة الدوحة وحديث بيريز لعرفات لمدة ٤٥ دقيقة. «توصيحات الرؤود المرافق لكلينتون التي توضح أن الرئيس الأمريكى جاء لشهر الشيخ ليحرب عن تعاطفه ومساندته لشعب إسرائيل وتوصيحات الامريكان أيضاً عن مصادق قبول الحركات الاسلامية الراديكالية حيث يقولون ان ٦٠٪ من هذا التمويل تأتى من دول الخليج.

وكالعادة ركزت وسائل الاعلام المحرورية على مبادرة السيد الرئيس ، ومحرورية دور مصر في المنطقة وكثافة العالوية في تنظيم وتأمين الاجتماع.



عضوان من حاسا اعطلفهما السلطات الإسرائيلية في إحدى قرى الضفة الغربية

«الشامل العادل» دون النظر إلى من المستفيد ومن المتهور، «وحجة أنه لا توجد بئابل أخرى معاحة وفي نفس الحجة التي استخدمها الساديون لتبرير كامب ديفيد والمشكلة ليست في عدم وجود بئابل ولكن منظور هؤلاء، جميعا هو الأنظمة وليست الشعوب. ومن هنا هشاشة وضعف من يطالبون بأن ندين كل أنواع الارهاب فيها الارهاب الاسرائيلي لكن نكون منصفين.

فحساس هي التعبير السياسي للبرجوازية الصغيرة التي طعنت في ظل الاحتلال ولم تكسب شيئا من عملية السلام وسلطة الحكم الذاتي. لذلك فهي حركة غاشية ومتخفية تعبر عن جزئ طبقها من وطأة الظلم. وعندما يكون هناك ظالم ومظلوم فلا يتساوى الاثنان عندما يلجأ للارهاب. حتى لو بادرت حساس بالارهاب فهي تعبر عن المظلوم في مواجهة الظالم. القضية ليست ارهاب أم قتاح مسلح مشروع، ولكن أن نقف مع جماهير الفلسطينيين المتهورين ونقف مع تكتيكات تؤدي إلى الخلاص وبهذا المنظر نحن لسنا مع حساس وفي نفس الوقت نتخذ موقفا نقديا من حساس ولكن ليس على اساس موقف أخلاقي من الارهاب ولكن لأن حساس بفرطها لطبيعة الصراع تحرف مسار الجماهير عن مواجهة الامبريالية وتلغي دورها. وفي النهاية لا تعبر عن بديل للجماهير الفلسطينية للخلاص.

فرضته إسرائيل وتواصل إسرائيل، ضرب جنوب لبنان بالرشوة المهودة. لقد قال الرئيس كليفتون: «هذا الحصار لو نظرنا إليه يعني فهو عقاب جماعي ولكن لو نظرنا إليه بالعين الأخرى ستجد أنه احتياط أمشي». ومن الراضح أن الجميع ينظرون بالعين الأخرى بما يفهم القيادة الفلسطينية حيث قتل حساس- للمصالح الرأسمالية الفلسطينية - خطرا يجب التخلص منه بأي ثمن. وكانت زيارة عملي إلى س. أ. أي. أهد لعرفات قبل اعتماد المؤقر مؤثرا آخر على وضوح محاللات المصالح.

ولم يكن غريبا أيضا أن لا يعرف الرئيس عرفات موعدا لرفع الحصار والمائة من «شعبه» فقال لمجموعة من الصحفيين إن يبرز ويهدد برفع الحصار قوفاً وفي حديث آخر في نفس اليوم إن سهرلح الحصار بعد أياما.

ولكن من المؤكد أنه لم يكن لديه أي ليس حول مبلغ الـ ١٠ مليون دولار الذي وعده بها الكيكل- وزير خارجية اليابان أو الـ ١٦ مليون دولار التي تم الاتفاق عليها مع جهاله شهرها قبل التقة بأيام.

ويحتاج موقف الممارسين للقمّة إلى رؤية نقدية. فالكل ينفذ خلف عرفات ويحاول تقوية موقفه التفاوضي مع إسرائيل. دون أي نقد لمشروع البرجوازية الفلسطينية. والكل يقبل في النهاية هذا «السلام» ويضيف إليه

لقد اثبت الواقع انها تجسّد مشروع البرجوازية الفلسطينية التي وجدت نفسها في مأزق عندما تغير النظام العالمي من نظام ثنائي القطبية إلى ما يسمى بالنظام العالمي الجديد. وفي ظل هذا النظام الجديد أصبح ميزان القوى في غير صالح حركة التحرر الوطني. أصبحت الولايات المتحدة الحليف الرئيس لإسرائيل اقوى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. وتغير مشروع الأنظمة العربية في العشرين عاما الماضية إلى مشروع الاندماج في النظام الرأسمالي العالمي وانتهى العمل من أجل التنمية الرأسمالية المستقلة. وتم استخدام القيادة التاريخية حركة التحرر الوطني لتبرير المشروع الجديد مع إعطائها دور السماسر في السوق الشرق أوسطية.

لقد خلقت عملية التصرية -السلام- بعض مصالح البرجوازية الفلسطينية وإن كانت بشروط مجففة دون التفات لمصالح الشعب الفلسطيني الذي عانى وطأة الاحتلال ستين طويلة والسلام الحالي يعني لخالية الشعب مزيداً من القهر ومزيداً من الفقر وزيادة في عدد العاطلين وبناء المستوطنات ووجه آخر للقمع: النشطة الوطنية في ظل الحكم الذاتي. فعلمية السلام هي التي تغذي الارهاب. وللإبقاء على هذا السلام لابد من تصفية الارهابيين.

إذن لم يكن غريبا أن يأتي عرفات إلى شرم الشيخ ليجلس مع بيرز بينما الشعب الفلسطيني يموت تحت الحصار الوحشي الذي

في بداية ابريل الحالي. تنتهي المهلة التي جدها مجلس الأمن الدولي للحكومة السودانية لتسلم ثلاثة من المشتبه في تورطهم في محاولة اغتيال الرئيس «صبار» وإلا أوجعها تحت طائلة العقوبات الدولية. وقبل أيام انتهت الانتخابات التشريعية والرئاسية في السودان التي بدت كسبغ للنظام السوداني لتثبيت شرعيته خاصة وأنها حثت بعد أسابيع قليلة من مؤتمر محو قوى المعارضة السودانية الثاني في العاصمة الخرطوم «أسراء» الذي تحدث فيه المعارضة حول أساليب وإمراج إسقاط النظام، ونجحت في أعقابه في اكتساب دعم ومآزة القوى الاقليمية والدولية، باعتبارها بديلا مقبولا للنظام السوداني.

وفي الجوار التالي يرسم «صبارك» الفاضل المهدي، القطب البارز في حزب الأمة السوداني والأمين العام للجمعية الوطنية الديمقراطية المعارض، السيناريوهات المختلفة للعقوبات الدولية المحتملة التي تنتظر النظام السوداني.

عناصر من المعارضة تفاوض النظام السوداني للتنازل عن السلطة

حوار : أمينة النقاش

الرقعة الزراعية. والبترو، يستخدم النظام أكثر من ٨٠٪ منه في تشغيل آلة الحرب التي تلحق بالشعب السوداني أكبر المآسي وتقوية أجهزة القمع بعد أن أوقف خدمات العلاج والتعليم المجاني التي اكتسبها الشعب السوداني في فترات الحكم الوطني منذ الاستقلال. لقد وصلت أوضاع الشعب السوداني بحكم الغلاء والسياسات الخرقاء إلى القاع.

رلن تزيدنا أي نوع من العقوبات سوا لئلا يخلو شيئا أصلا من الحكومة. وسوف تساعد تلك العقوبات في سرعة التخلص من معاناته التي ارتبطت بالنظام القائم. كما أن هذه العقوبات التي تلزم الحكومة بانتهاء وجود معسكرات تدريب المتمردين على الأراضي السودانية. وحلما الوجود أثر سلبي على المجتمع السوداني ودفع بعض شبابه للتطرف المذهبي والديني وقضى على روح التسامح السودانية المعروفة بعد أن واجهت في السودان بشكل غير مسبق كتب التكفير. إن هذه العقوبات لن تؤثر على الشعب السوداني بل ستفعل يد النظام عن إسقاط مزيد من الظالم ضد مواطنيه.

عقاب شعبي

الانتخابات
والرئاسة التي انتهت منذ أيام
هل سمحت البساط من تحت أقدام

عن التمهين الا مناورات لن تغلق في إنقاذها من العقوبات الشاملة التي تنتظرها.

* وما هي العقوبات التي توقعون فرضها على السودان؟

الحديث يدور الآن عن عقوبات سياسية وأخرى اقتصادية قلدي بعض دول المنطقة خاصة مصر وأثيوبيا خرج من أن تقرر الدعوة لفرض عقوبات اقتصادية بأنها محاولة لزيادة معاناة الشعب السوداني. لكن الموضوع وصل إلى مستوى لا يستطيع طرف أن يحكم مساره في اتجاه معين.

فالقضية أصبحت دولية، لأن الارهاب أصبح مع نهاية الحرب الباردة أحد العناصر التي تهدد الاستقرار الدولي وتشكل اهتمام الاسرة الدولية، ومن غير الممكن أن يتكيف الموقف منه بمزاج دول المنطقة أو عواطفها.

وبالنسبة للعقوبات الاقتصادية لم يعد يبقى بين ألا منع الصادرات السودانية إلى الخارج وحظر تصدير البترول إلى السودان. بعد أن توقفت المعونات الاقتصادية والغذائية للحكومة السودانية من الدول التي تربط بين منع تلك المعونات وبين احترام الحريات الديمقراطية وحقوق الإنسان.

* وما هو ذلك على من يرجعون لوما للدور الذي لعبه المعارضة في المطالبة بفرض عقوبات على السودان وقد تمحصر نظامه لكنها تضر بالشعب السوداني لا محالة.

هذا اللوم في غير محله، لأن حجم الصادرات السودانية انحصر بالفعل لضيق

كما يكشف عن الاتصالات التي أجراها أقطاب الحكومة السودانية مع قيادات في المعارضة للبحث عن مخرج للنظام. كما يناقش الاعتراض الثالث بأن هناك أزمة في الحكم وأزمة في المعارضة، ويبره بالبرهان على مزاعم الحكومة بأنها تحقق انتصارات في الحرب الأهلية في الجنوب.

ومن الطبيعي أن تكون البداية حول «حديث العقوبات»

العقوبات قادمة

سألت «صبارك» الفاضل المهدي: * بعد انقضاء مهلة الشهرين التي منحها مجلس الأمن للحكومة السودانية هل توقعون أممغال الحكومة لقراره بتسليم المتمردين في حاد «اغتيال الرئيس صبارك» أم فرض العقوبات عليها؟

«العقوبات آتية في كل الأحوال، لأن الحكومة السودانية أوقعت نفسها في مأزق سيء. سلمت المشتبه بهم، أو لم تسلمهم. ذلك أن قرار مجلس الأمن يتجهس في نفسها بالتورط في محاولة الاعتداء على الرئيس «صبارك» كما يدعوها للتوقف عن دعم الأنشطة الارهابية، وعن توفير الملاذ للارهابيين. بالإضافة إلى أنني لا أتوقع أن تتعاون الحكومة السودانية مع الاسرة الدولية، أو أن تنفذ قرار مجلس الأمن، وما «الحركات» التي تقوم بها الآن بزعم البحث



مبارك المهدي
الأمين العام لتجمع
المعارضة السودانية :

الحصار يساعد الشعب السوداني على التخلص من نظام قمادي في قمعه

المعارضة أهمي آخر حل حست من
صورة النظام السوداني؟.

- لا أعتقد بأنه من سوء حظ النظام
السوداني، أن الانتخابات بدأت مع صدور
قرار مجلس الأمن، الذي يفرضه بتطريقه
بالعقوبات، ملقضى بذلك على ما تبقى من
بريق لهذه الانتخابات بوجد من قدرته على
خداع الرأي العام بها، فحولت الأنظار من
الانتخابات إلى العقوبات. وأصبحت الصورة
كالتالي: نظام معزول دوليا يتحدث عن
التحول الدستوري في الاتجاه الديمقراطي
بينما العالم يتحدث عنه كنظام إرهابي
ديكتاتوري ويطالبه بتحسين سلوكه مع
جيرانه واحترام الحواثيق الدولية. لقد ولدت
الانتخابات مئة وجات مقاطعة الجماهير
للترشيح والتصويت لتشكيل عقابا يليقا
للجبهة الإسلامية القومية ورموزها، الذين
اقتصرت الممارك الانتخابية عليهم، فحول
الشعب السوداني الانتخابات إلى أسحورة،
تضاد إلى التكتة التي أطلقها نظام يتحدث
عن التحول من الشرعية القوية إلى الشرعية
الدمسورية التي تنحدر إلى الديمقراطية
والانتراج السياسي، في الوقت الذي فتح فيه
قوانينه الثمانية تكوين الأحزاب والفتانات
ومظلمات المجتمع المدني، وتحظر التظاهر
والتجمهر وإنشاء الصحف وتصف الجهرات

هذا فضلا عن أن القانون الذي ينظم
الانتخابات يمنع المرشحين من الدعاية، ويؤكد
مهمتها إلى لجنة حكومية تنوب عنه في
الدعاية لبرنامجهم، بالإضافة إلى لجنة أخرى
تسمى «لجنة الرفاق» مهمتها إقناع المرشحين
بالتنازل عن الترشيح، بدلا من إجراء
انتخابات للتصفية بينهم. إنها انتخابات
تنافس فيها الحكومة السودانية
نفسها، وتضع المواطنين بالزعم لهم بأنهم
مساوون، في الوقت الذي تشير فيه قوانين
إجراء الانتخابات إلى أن الرئيس المنتخب
سهاخذ الهممة من المواطنين أي يصبح إماما،
فما هو الحال لو أن الذي لمج جمع رئيسا
للجمهورية كان مسيحيا؟.

هزائم وصحافة

«الأنباء الواردة من الخرطوم
تتحدث عن اكتفاء ذاتي من الغذاء
وانتصارات في معاديين الحرب
الأهلية لصالح القوات النظامية،
فما مدى صحة ذلك؟.

- هذه مزاعم لا أتأها. فبعد العزلة
الدولية والإقليمية التي طرقت النظام، فإن
العزلة الداخلية قد أطيقت عليه، بعد الاتهام
للمتصار في الوضع الاقتصادي الذي أدى إلى
التضخم والارتفاع الهائل في سعر السلع
الأساسية، وباللجوء إلى طبع العملة لتغطية
المصروفات العسكرية والأمنية مما أدى إلى

فقدان الجنيه السوداني لقيمته بنسبة ١٠٠٪
بعد أن أصبح الدولار يساوي ١٤٥٠ جنيهها
سودانيا.

وسبب التضخم وزيادة التكلفة
انحسرت مساحة الرقعة الزراعية مما دفع
هيئة الأمم المتحدة لأن تتحدث عن نقص في
الغذاء في السودان هذا العام وصل إلى
٩٠٪، هذا فضلا عن أن ٨٠٪ من الأموال يتم
تداولها خارج القطاع المصرفي، مما أدى إلى
إفلاس البنوك وانعدام الثقة في الجهاز
المصرفي، والانهيار المتسارع في الأوضاع
الاقتصادية، يوهو انهيار تعترف به كل يوم
مؤسسات حكومية من قلب النظام.

« هذا عن الأوضاع الاقتصادية،
فماذا عن الوضع العسكري؟.

- قبل أكتوبر الماضي، كانت الحكومة
تروج أنها أنهت التمرد العسكري في الجنوب
وقضت عليه، وأنها تتعامل الآن مع بؤرة
صغيرة في شريط «قولي» على الحدود
الأوغندية السودانية، وأنها أوشكت على
القضاء عليها. لكن الموقف تغير منذ تكتت
«الحركة الشعبية» أن تهزم في أكتوبر
القرات الحكومية وقرات البذاع
الشعبي، وتحدثت بهم خسائر وصلت إلى ٦
آلاف قتيل، وبعد أن كانت الحكومة في موقف
هجوم على «قولي» أصبحت في موقف
دفاع عن «جوبا» وبنيجة لهذا التغير في



الصادق المهدي

وقبل أيام أخبر «عصام صديق» أحد أعضاء الجبهة الإسلامية السيد الصادق المهدي بمرافقة «حسن الترابي» على اللقاء معه بالشروط التي وضعها. وبتم اللقاء بالفعل في منزل عصام صديق الذي قدم للاجتماع بأنه رتب بطلب من الدكتور الترابي لبحث قضية الدليل الديمقراطي ثم استرسل الدكتور الترابي في حديث طويل دون أن يتطرق لموضوع اللقاء فقاطعه السيد الصادق المهدي مستائلا هل أنت تبحث عن طرق لتجهيل وجه النظام، أم تريد الاعتراف بفشل هذا النظام والبحث عن تسوية في إطار التزول عن الحكم، فلما راوغ الترابي في الرد على الجزء الأخير من السؤال أنفى «الصادق المهدي» الاجتماع معلنا إنه لم يوافق عليه إلا في إطار محدد بوائه شهر مستعد لحوار يبحث عن تجهيل صورة النظام ويقيه في مواجهة.

وبالرغم من أن الاجتماع لم يتوصل إلى أي اتفاق، كان محاولات الوساطة من قبل جماعات أفراد للبحث عن مخرج للنظام ما زالت مستمرة.

اختيار نحو الوحدة

«معتبر المعارضة» السودانية مؤثر «أسراء» الثاني في اختيار الماضي، نقطة تحول في مسارها، كما هي في رأيها ودواعي هذا الاعتبار.

- أهمية مؤثر «أسراء» الثاني تعود إلى أنه ترجم مقدرات «أسراء» الأولى إلى أرض الواقع، وبويعت الروح في الفجع الوطني الديمقراطي، وبجول قراراته إلى برنامج عمل، وزعت في إطاره الأدوار والمسؤوليات، بصورة تجعل تنفيذ هذا البرنامج أمرا ممكنا. فخر هذا المؤثر أكمل الشكل التنظيمي للعمل المسلح، بتكوين اللجنة السياسية العسكرية العليا، وبتشكيل لجنة التنسيق ما

موازين القوى. أصبح الضباط النظاميون، يرفضون الذهاب للجنوب، مما اضطر الحكومة إلى فصل ١٥ ضابطا لم يمثلوا لأوامرها، وإلى قبول استقالة مدير العمليات العسكرية لرفضه تنفيذ أوامر بالتحرك للجنوب، واعتبرها أواخر سياسية لا عسكرية، وقد أدت تلك التفاعلات إلى إصابة قائد القوات الجنوبية اللواء محمد السنوسي، بانهيار عصبي بسبب زيادة حجم الحصار، وأرسل على إثره للعلاج في الأردن، وقد أدى هذا التغيير موازين القوى لأن تعدل المعارضة السودانية في الداخل من شروطها، وبعد أن كانت تتحدث عن تحول سلمي وديمقراطي، وتقبل بالحوار في هذا الإطار، أخذت ترفع شعار التنازل عن الحكم.

التخلي عن الحكم

«هناك آليات فريدة، ثم تغير وتمازج الظهور مرة أخرى عن حمار بين الحكيم وبين وميض من المعارضة، فلما مدى صحة ذلك؟»

- هناك مجموعات تنتمي للجبهة الإسلامية القومية غير راضية عن سير الأوضاع، وتتأهبها القلق من المصير الذي ينتظرها في المستقبل، وتسعى تلك المجموعات للاتصال بالسيد «الصادق المهدي» رئيس حزب الأمة، وبأقطاب آخرين من المعارضة، في محاولة لإيجاد مخرج للنظام من الورطة التي أوقع نفسه فيها.

وفي الفترة الأخيرة اتصل الشيخ وحيد المهدي شيخ الطريقة القادرية في شمال السودان بالصادق المهدي وقال له: أنه مكلف من قبل د. حسن الترابي بالاتصال به والسفر لمقابلة السيد محمد عصمان المهرشي رئيس التجمع ورئيس الحزب الاتحادي في محاولة للوساطة لتسوية بين الحكم والمعارضة ورد عليه الصادق المهدي قائلا: إن الجبهة الإسلامية غير صادقة في قضية «الوفاق الوطني»، وأنها طالما استخدمتها كسبائرية لخلق الرأي العام العالي والمحلل لإحداث انشقاقات في صفوف المعارضة السودانية. واشترط الصادق المهدي لإتمام الوساطة، أن يكون رجال الطرق الصوفية من بينهم لجنة تدعو طرفي الحكم والمعارضة للاجتماع إلى آرائهم على أن تكون القضية الوحيدة المغارة للنقاش، هي بحث «التنازل عن السلطة» وليس قضية المشاركة فيها.

حق تقرير المصير لن يقسم السودان وسوف يقود إلى وحدته



- لا أوافق. لأن النضال السياسي منذ أنظمة الحكم الديكتاتورية، هو فنون متصلة بواسطته القتل أن الشعب السوداني كان من أشجع وأشرع الشعوب في مجدي مثل هذه الأنظمة والتخلص منها «فتمسرى» ظل في الحكم ١٦ عاماً. لكن المحاولات لانتقاعه والانتقال عليه لم تتوقف، وهو ما يحدث للنظام القائم في السودان الآن. ويرغم أنها المرة الأولى في تاريخ السودان الذي يأتي نظام للسلطة يحول مؤسسات الدولة إلى منظم حزبية، فإن هذا التعديل قد يعيق عمليات التغيير لكنه لن يستطيع منعها.

ضمانات البرنامج

هل تعتقد أن الانتفاضة الشعبية ما زالت وسيلة ممكنة للتغيير في السودان؟

- نعم : ما زالت هي الوسيلة الأساسية وانتفاضة الطلاب في سبتمبر الماضي، خير شاهد على ذلك ففهم المظاهرات التي انطلقت يؤكد أن الإجراءات الرقابية التي اتخذتها الحكومة لنشل قدرة الجماعات والفتايات والاحتادات قد باحت بالفشل فالشعب السوداني يقاوم بضرورة، والطرف الدولية تساعد على مزيد من الجراءة والتعصدي بهد أن تقوض مهمة الحكم وطأة الحصار والعزلة والازمة الاقتصادية والحرب الأهلية.

ما هي الضمانات التي

يعتقدك التجمع الآن، لكي لا يهبط شعار الانتفاضة الشعبية، انقلاب عسكري كنظام الإنتفاضة.

- هناك مجموعة من الضمانات : أولاً اتفاق أطراف التجمع وقراء السياسية على تحقيق الديمقراطية وإحلال السلام في آن واحد بالتوازي وليس على التوالي واتفاقها على الوضع الدستوري في الفترة الانتقالية بقبول الحكم اللامركزي، الذي توزع فيه السلطات على أبسط المستويات، كما تم الاتفاق على السياسة الخارجية والبرنامج الاقتصادي وقوانين الصحافة والأحزاب والمطبوعات وصيحت العمل النقابي، ففي أسرها تم الاتفاق على كل القضايا المنظمة للحكم الديمقراطي في الفترة الانتقالية التي جددت بأربع سنوات مستمدتين من الأخطاء المجهمة في الانتفاضة الشعبية حيثيات في عام ١٩٦٤. وعام ١٩٨٥ لتكون هذه هي المرة الوحيدة التي تتفق فيها القوى السياسية المعارضة على ترجمة ميثاق عملها إلى برنامج دستوري وسياسي وقانوني.



الغرابي



البشير

العقوبات الدولية ستطول نظام الإنقاذ في كل الحالات

فشعار الانقصال يبرز في ظروف الصراع السياسي وسرعان ما يظهر إذا ما تغيرت الظروف، والدليل على ذلك أن حركة «أنانيا» الأولى الانتصالية قبلت باتفاقية أوس أبابا الوحدوية التي وضعت في عهد فبراير عام ١٩٧٢، بدون أي مشاكل، بل أن قائدها «جوقيف لاجو» انخرط في العمل السياسي في السودان، وتراعى مطلبهم بالانقصال آنذاك نهائياً.

والدليل أن الشعارات تستخدم كوسيلة للصراع السياسي، أن الحركة الشعبية تقاومت في بداية ظهورها من أجل قضية الوحدة، مع حركة «أنانيا» الثانية، وهو الصراع الذي انتهى بمقتل قائدها «عبد الله شوك» وبعد مصرعه تحالفت قواته مع «فجيرة» وبعد سقوط فجيرة تحالفت تلك القوات مع الحركة الشعبية، ثم عادت مؤخرًا وانشقت عليها مكونة جناح «التناصر» بقيادة «رياك» - شار.

والآن دخلت الحركة السياسية السودانية مرحلة: لا تستطيع أن تجبر الجنوبيين على القبول بموقف معين، ولذلك فنحن مطمئنون إلى أن القبول بحق تقرير المصير عبر استفتاء، شئى سوف يؤكد خيار الوحدة.

نضال متصل

هناك من يعتقد - بأن النظام السوداني ومعارضيه في مأزق، وأن مشكلة السودان هي أزمة الحكم وأزمة المعارضة، فهل توافق على ذلك؟

بين الفصائل، بواجابة خطة عامة للعمل العسكري.

مجنبت المعارضة السودانية في «أسراء» مبدأ حق تقرير المصير للجنوب والناطق المصحة، ألا يحشى التجمع من أن يقر هذا الحق إلى فصل جنوب السودان من شماله؟

-أعتقد أن هذه مخاوف مبالغ فيها، فالمجنبت كالتشال به تنوع كبير وتعدد مشاكل قبلية ودينية وعرقية وثقافية متعددة، وهو متجذر الآن حول توصيف المطالب التي حالت به من النظم الشمالية. وعلينا ألا ننسى أن هناك عوامل تنافس قبلية وسياسي واجتماعي موجودة في الساحة السياسية الجنوبية. كما أن الحركة الشعبية التي تقود النضال في الجنوب هي حركة وحدوية غورت في مسار نضال الجنوبيين الذي بدأ مع حركة «أنانيا» الأولى بالدمعة إلى الانقصال... حتى عام ١٩٨٣ حتى بدأت الحركة الشعبية في الدعوة لبناء السودان الموحد الجديد الذي يحقق العدالة والمساواة لكل السودانيين. وفي عام ١٩٩١ حدثت الاشتباكات داخل الحركة الشعبية، مورع المنشقون شعار المطالبة بالانقصال، مما دفع التيار الوحدوي داخل الحركة الشعبية بقيادة «ج. جون» لفرق إلى طرح شعار حق تقرير المصير كنقطة مشتركة للتعامل في إطار الجنوب، وحتى لا يتفجر الصراع بين الجنوبيين أنفسهم بصورة تصب في مصلحة النظام القائم.



أضواء على المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعي الأمريكي

رسالة واشنطن

سمير كرم

بالنسبة للحزب، يبقى أو يمتد أو يزول. وتخطى الحزب لاحتصالات للشرق تحت وطأة تلك الحملة عن مدى استقلاله وأحيانا عن مدى «ستالينته» تحت زعامته الحالية. استطاع أن يبقى وأن يتجاوز الحملة. وكانت السنوات الأربع الماضية كلها بمثابة صراع شاق من أجل بناء ثقة الطبقة العاملة الأمريكية من جديد والاحتفاظ باحترام القوي التي تدرك أن الشيوعيين الأمريكيين دورا لا يمكن تجاهله فضلا عن ختله.

وعلى الرغم من أن الحملة السياسية على الحزب الشيوعي حاولت أن تستند ذخيرتها من ملفات المخابرات وأجهزة الأمن السوفيتية السابقة التي فتحها سلطات النظام الروسي الجديد أمام أعين أجهزة المخابرات والأمن الأمريكية، إلا أن تأثير هذه الحملة على الحزب كان مؤقتا بل سريع الزوال. والأهم من هذا أنه لم يصل إلى الدوائر المالية، بل لم يصل تأثيرها إلى دوائر الرأي العام الأمريكي في أروبع قطاعاته.

ولعل من أكثر الأدلة وضوحا على اجتياز الحزب الشيوعي الأمريكي أزمة تأثيرات سقوط النظام السوفيتي وعوالبه أنه عندما نظم الحزب في أواخر العام الماضي حملة لجمع التبرعات لجمعية لجمعية الحزب وبالعالم الشعب الأسبوعية، فإن الحملة خلقت نجاحا ملحوظا .. بل تجاوزت الأرقام التي استهدفها في عدد من الولايات.

كان هدف حملة التبرعات جمع ٤٠٠ ألف دولار لدعم جهود الحزب وبلغت قيمة المبالغ التي جمعها ٤٠٣ آلاف دولار، أي أنه نجح بتسبة ١٠١ بالمائة.

ويلاحظ أن الحزب جمع في بعض

في انتخابات عام ١٩٨٤. مع ذلك فإن وجود الحزب الشيوعي على السلطة السياسية الأمريكية في الظروف الراهنة هو مؤشر إلى «الاستمرارية» من ناحية وبمن ناحية أخرى إلى استعلاء الحزب لشعبية التيار البعثي المنصري ذي النزعة العسكرية الذي نجح في انتزاع الأغلبية في مجلس الكونغرس في انتخابات عام ١٩٩٢. فإذا ما نجح أيضا في انتزاع الرئاسة في البيت الأبيض في انتخابات نوفمبر القادم فإنه سيخلق وضعا بالغ الصعوبة، بل الخطورة لا للجماهير الأمريكية والأخص الطبقة العاملة، بل للعالم كله.

ولقد عقد المؤتمر السادس والعشرون للحزب الشيوعي الأمريكي من ١ إلى ٣ مارس الماضي في جو نفسي وسياسي مختلف- إيجابيا- عن الجو الذي ساد عندما انعقد المؤتمر الخامس والعشرون في عام ١٩٩٢.

فقد انحصرت الحملة السياسية والإعلامية الضاربة التي وجهت إلى الحزب اتهامات بالتبعية للاتحاد السوفيتي ووصلت إلى حد اتهام زعيم الحزب جاسوس هوذا يتلقى مساعدات مالية من موسكو وتلقى أوامر من الحزب الشيوعي السوفيتي. وكان المؤتمر الخامس والعشرون مؤقرا مصورها

عقد الحزب الشيوعي الأمريكي مؤتمره العام في مدينة كليفلاند الصناعية بولاية أوهايو الأمريكية خلال الأيام الثلاثة الأولى من شهر مارس الماضي. حضر المؤتمر خمسمائة مندوب من تنظيمات الحزب وغروعه يستقيته المختلفة في أنحاء الولايات المتحدة.

وكان هدف المؤتمر- كما عبر عنه شعار الرئيس الذي عقد تحت رايت- «توحيد معالم الطريق لبناء حزب جماهيري من أجل تحقيق الاشتراكية».

ويلاحظ أن الحزب حرص على عقد مؤتمره العام الجديد بعد انقضاء أربع سنوات قاما على عقد مؤتمره السابق في المدينة نفسها .. تأكيداً لاستمرار النشاط التنظيمي للحزب في أوسع أشكاله وأغلاها وسلطة في مواكبة ظروف لا تتحمل التأجيل لأي سبب. وكان انعقاد هذا المؤتمر- وهو السادس والعشرين منذ تأسيس الحزب عام ١٩١٩-

في جو حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية التي تتميز حتى الآن بهيمنة أفكار المرشحين الجمهوريين، وبالأخص أكثرهم ميمنة وأغلا في الفكر المحافظ ضرورية تتجاوز مجرد هدف إثبات وجود اليسار وعزمه على تحدي التيار البعثي المحافظ.

وتبعية الحال فإن الحزب الشيوعي لا يشكل تحديا للنظام الأمريكي السائد سواء في الانتخابات أو في أشكال الصراع الأخرى السائدة في هذا المجتمع. وليس للحزب الشيوعي مرشح للرئاسة في انتخابات هذا العام. وربما يند ذلك على نظرة أكثر واقعية إلى الأمور. وكانت آخر مرة وضع الحزب أحد قادته للرئاسة الأمريكية

الشيوعيون الأمريكيون تجاوز أزمة أوائل التسعينات والظروف تفرض لهم دورا واضحا فى حركة المجتمع السياسية.

على فرص الاستثمار فى كوبا وتراها فى ظل العقوبات الأمريكية تلعب لشركات أوروبية وباهائية وكندية.

وقد كانت مسألة العلاقات مع كوبا واحدة من القضايا التى اهتم بها الحزب الشيوعى الأمريكى منذ انقصار الثورة الكوبية. وفى وقت حضور الرئيس الكوبى فيدل كاسترو فى العام الماضى بدء الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة نظم الحزب الشيوعى له زيارة لى «هاولم» فى نيويورك التى فيه خطابا دافع فيه بقرعة عن الاشتراكيين ومنجزات الثورة الكوبية وعن العلاقات «الشعبية» بين الكوبيين والأمريكيين.

لكن حادث الطائرتين-الذى يبدو فى معظم الأساط (غير الرسمية طبعاً) حادثاً مدبراً لاجهاض سياسة تحسين العلاقات مع كوبا يبعج ولو مؤقتاً فى تأكيد سياسات المهاد للثورة الكوبية والاستمرار بمحاولة خنقها التى بدأت قبل ٣٣ عاماً.

« يضاف إلى هذا أن المؤتمر انعقد فى وقت بدأ فيه الأمريكيون يبركون أن القرد يسقط الشيوعية . ناهما وأيديولوجية ليس نهضة حمية ولا نهائية فى روسيا أو فى أوروبا. فإن نتائج الانتخابات فى روسيا ومثلها فى برلن وبغداديا. وتوقع مزيد من الانتخابات الانتخابية للشيوعيين الروس فى انتخابات الرئاسة المقبلة (فى يونيو ١٩٩٦) - على الرغم من الدعم القوي الاقتصادى والسياسى والدعائى للرئيس بوش بلعصن- قد فتح أعين الكثيرين على حقائق معاناة جاحري روسيا ودول أوروبا الشرقية اقتصاديا. واجتماعيا وثقافيا وسياسيا بسبب السياسات والانفضاضية التى تسببت خلال السنوات الخمس الماضية فى كوارث خطيرة. « وعلى الصعيد الداخلى الأمريكى فإن انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعى الأمريكى السادس والعشرين وأكب معارك اقتصادية على درجة قصوى من الأهمية لفالبية

التيار اليسارى بالزعامة فى انتخابات الاتحاد العام للعمال الأمريكى. لأول مرة منذ أكثر من نصف قرن.

« كذلك جاء بعد أسابيع قليلة من انتصار قيادة جديدة أكثر ميلا لليسارى فى أكبر منظمات السرد الأمريكية وأقدمها وأثقلها وزناً من الناحية التاريخية والسياسية وهي: المنظمة الأمريكية لتقديم الشعوب المظلومة». وكانت قد سيطرت عليها لعشرات من السنين منذ اغتيال مارتن لوتر كينغ فى عام ١٩٦٨ قيادات أكثر ميلا لمصادرة السلطة ومهادنتها وليس للصراع من أجل تصحيح وتطوير حركة الحقوق المدنية للسود والأقليات الأخرى.

بعد المؤتمر الـ ٢٦ للحزب بعد قيام علاقات دبلوماسية كاملة لأول مرة بين الولايات المتحدة وقيتنام .. وكان الحزب قد لعب دوراً تاريخياً ومؤثراً فى معارضة الحرب الأمريكية فى فيتنام. وقسده طوال ربع القرن الماضى يطلب إقامة علاقات كاملة مع فيتنام وفتح الابواب بلا حدود بين البلدين للتجارة والتبادل الاقتصادى والثقافى (وكان المؤتمر الأخير بالثالثي أول مؤتمر يتحدث فيه ممثل للحزب الشيوعى الفيتنامى أمام أى مؤتمر سياسى لحزب أمريكى على الإطلاق).

« بالإضافة إلى هذا فإنه لولا الحادث الأخير الذى أسقطت فيه كوبا طائرتين مدعيتين أمريكيتين اتابعتين لاحدى منظمات الأمريكيتين- الكوبيين، أو الكوبيين فى التفتى بعد اجتيازها المجال الجوى الكوبى، لكان المؤتمر قد انعقد فى ظل أجواء إيجابية فى العلاقات الأمريكية- الكوبية. خاصة بعد ترسل واشنطن وهافانا فى العام الماضى إلى اتفاقات بشأن الحد من الهجرة غير الشرعية إلى أمريكا. وكان يسود أساط إدارة الرئيس كلفنتون نوع من التهور لحظرات لتسعين العلاقات مع كوبا، خاصة تحت ضغط الشركات الأمريكية التى تضع عينها

الولايات أكثر كثيراً من الهدف الذى حدده لحملته فيها . وفى ولاية فلوريدا استهدف جمع ١٨ ألف دولار لكنه جمع ٣٧ ألف دولار (بنسبة ٢٠٩٪) وفى ولاية «كنتوكى» كانت النسبة ١٦٥٪ ، و«أبوا» ١٥٨٪. « وأجمالا فإن عدد الولايات التى دفعت تبرعات لأخر حملات الحزب لدعم جريدة بتبرعات مباشرة من المواطنين بلغ ٢٧ ولاية من مجموع ٣٧ ولاية (للمجلس لم تشمل كل الولايات المحسنين) . أما الولايات التى لم تحقق فيها هذه الحملة أهدافها فكان عددها عشر ولايات فقط. وأكثر هذه الولايات قصورا عن هدف الحملة كانت ولاية كاليفورنيا الشمالية حيث لم تتجاوز التبرعات نسبة ٢٩ بالمئة من المستهدف. ويعد بالذكر أن هذه الولاية هى أكثر الولايات الأمريكية وقرا تحت سيطرة الجماعات والسياسات والزعامات الدينية المتزمنة .. وتعد المركز الأول فى صناعة الولايات التى تشكل ما يسمى فى أمريكا «خام الانجيل». ويغل هذه الولاية فى مجلس الشيوخ الأمريكى السيناتور جيمس هيلمز الأشد تطرفا إلى اليمين السياسى بين أعضاء الكونجرس بمجلسه.

لكن بعض الولايات التى لم تنجح فيها حملة التبرعات لجريدة الحزب لم يكن القصور من بلوغ الهدف فيها ذريعا إلى هذا الحد. وعلى سبيل المثال فإن الحملة حققت نسبة ٨٢٪ من هدفها فى شمال كاليفورنيا و ٧١٪ فى جنوبها. وفى نيويورك بلغت التبرعات للجريدة الشيوعية ٦٩ ألف دولار وكان المستهدف ٧٥ ألفاً ، أى بنسبة ٩٣٪. فإذا عدنا بعد هذا الاستطراد إلى المؤتمر السادس والعشرين للحزب الشيوعى الأمريكى. فإتانة نجد طرقا إيجابية أخرى أحاطت به:

« جاء المؤتمر بعد شهر قليلة من قو

الأمريكيين الذين يشهدون -لأول مرة في تاريخ بلادهم- توافق الازدهار الاقتصادي في الولايات المتحدة مع تطور أوضاعهم الاقتصادية إلى حد انخفاض أجورهم نسبيا عما كانت عليه في النصف الأول من السبعينات ، وحرمان الملايين منهم من التأمين الصحي.

لقد انخفضت أجور ٨٠ بالمئة من القوى العاملة الأمريكية في الوقت الذي ارتفعت فيه بحصة الثلث معدل الدخل الفردي العام.. وهو لفز في نظر كثيرين، ولكن التفسير الاقتصادي له بسيط للغاية وهو أن معظم الارتفاع ذهب إلى «جيوب» الشريحة الأكثر ثراء.. التي لا تتجاوز نسبة واحد بالمئة من الأمريكيين.

وكتب «السيكر لوف» استاذ الاقتصاد وعيد كلية الإدارة في «معهد ماساتشوستس» للتكنولوجيا (المعروف باسم إم. تي. أي) يقول: «وعلا ما يحدث أبدا من قبل أن شهد أي بلد تحولا ضخما في توزيع المكاسب دون أن يكون قد مر بفترة أو زمن في «حرب كبرى». ولكن هذا ما حدث ويحدث في أمريكا (المزيد من التفاصيل أنظر «اليسار» عدد مارس ١٩٩٩).

ومن المؤكد أن هذه الظروف نفسها هي التي أدت إلى صعود التيار اليساري في الحركة العمالية والمثل في الحركة النسائية وفي منظمات الدفاع عن الأقليات وعن الحقوق المدنية بشكل عام .. وهي في مجموعها تشكل مناخا مواتيا لمؤثر للشيوعيين حيد هدفه بالتحديد معالوم الطريق لبناء حزب جماهيري من أجل تحقيق الاشتراكية.

ولعل لم يكن من قبيل المصادفة أن الشهر الذي شهد في بدايته انعقاد هذا المؤتمر شهد الأسبوع الثاني منه بداية أخطر إضراب عمالي في تاريخ الصناعة الأمريكية منذ عشرات السنين ، وهو إضراب هز أضعف مؤسسة صناعية وأعمالية في العالم وهي مؤسسة «جنرال موتورز» لصناعة السيارات، على الرغم من أن الإضراب لم يشمل إلا مصانعها في عدد من الولايات ولم يشملها كلها.

ولا تقرب هذا على سبيل التأكيد بأن الحزب الشيوعي كان المحرك الرئيسي لحركة الإضراب فهو لعب دورا من خلال الاتحاد العام للعامل يوم خلال اتحاد نقابات عمال صناعة السيارات، لكنه ليس الدور الرئيسي -إنقا على سبيل تأكيد مواكبة نشاطات الحزب لحركة الصراع الاجتماعي داخل الولايات

المحفوظي تخرج من مرحلة الصلعة التي شكلتها انتصارات اليمين الجمهوري في انتخابات ١٩٩٤ إلى مرحلة التصدي وإلحاق الهزيمة باليمين في انتخابات ١٩٩٦ (التي لا تقتصر على منصب رئيس الجمهورية إنما تشمل الكونغرس وحكام الولايات المتحدة وكل المناصب الاتحادية والمحلية التي تشغل بالانتخاب).

وقد أعلن جاس هول «الرئيس القوي» للحزب في بيانه السياسي أمام المؤتمر «أن انتخابات ١٩٩٦ يمكن أن تصبح انتصارا تاريخيا على التيار اليميني ونحن ستستضم إلى وتعمل مع أي ائتلاف من أجل اقتلاع اليمين المتطرف عود الشعب من جلوده في الكونغرس».

ويكمن القول أن الحزب لم يسبق -في غير ظروف الحرب، والكوارث الاقتصادية الكبيرة- مثل الحرب العالمية الأولى والثانية وأزمة بداية الثلاثينات الاقتصادية للمرة -أن أبى مثل هذا الاستعداد الذي عبر عنه هول للاختراق في أي ائتلاف لانتفاخ جلود اليمين المتطرف .. وهذه المرة فإن الحزب لا يتنقل في عهده هذه إلى تحقيق هذا الانتصار التاريخي في انتخابات العام الحالي من فراغ أو من مجرد شعارات دعائية. أن الواقع السياسي -الاجتماعي السائد يفرض حركة متفائلة في هذا الاتجاه.

وأعلن تقرير الحزب إلى المندوبين في المؤتمر «أن الحزب الآن أكبر بكثير مما كان في مؤقته السابق وبوسعنا معه أن يمارس دورا أكبر وبوجهة نظرنا عليه أن يطور أسلوبا أكثر شعبية في القيادة». وعاد فهد المهمة المعالجة بأنها إلحاق الهزيمة للمتطرفين الجمهوريين الذين تلونهم نزعة قاشية في هجومهم الشرس على استحيات حياة الشعب وخططهم لتعطيم الزراعة الطبية والبرامج الاجتماعية ورامح حماية البيئة والحقوق المدنية للسود والأقليات الأخرى .. كل ذلك من أجل تحقيق الأرباح القصوى للمزك والمؤسسات المملكتة.

وعكست أعمال المؤتمر حقيقة أن التحديات التي يواجهها الحزب لا تتعلق بالأوضاع الاقتصادية وحدها. فإن سياسات اليمين الجمهوري المتطرف وحملات مرشحيه لانتخابات الرئاسة تكشف عن هجمة لا يسبق لها مثل منذ سنوات الستينات على حقوق الأقليات، حتى النسوية والثقافية والاجتماعية والثقافية.. فضلا عن تصاعد العنف العنصري الأبيض عملا في «الميليشيات المسلحة» التي تروج للثوق العنصري للبيض وتسمى لإرهاب

السود والأقليات الأخرى من كل لون ودين وتسمى لإلحاق أبواب الهجرة إلى بلد صنعه المهاجرون الذين يسهمون في رخائه الاقتصادي باعترا ف أكثر النازيين والباحثين مرضوية ووجي وثقا لتقارير أكاديمية العلوم الأمريكية.

وقد أصدر المؤتمر قرارا بالإجتماع تحت عنوان «إعلان وحدة» بضرورة إعادة توجيه الحزب نحو الصراع ضد كافة أشكال العنصرية وضيق الألق والشرقية، كما أصدر الحزب قرارا بالإجتماع بالتنديد بتصعيد الحزب إلى مرتبة تكاد تصل إلى درجة الحرب.

وتطهيا فإن الحزب انتخب ١٤٨ عضوا للجنة القومية (اللجنة المركزية) وبهذه أ أعادت هذه اللجنة انتخاب جاس هول- رئيسا للحزب.. ويجوز بالذكر أن هول يعزف الحزب الشيوعي الأمريكي منذ عام ١٩٨٥. لهذا يعد «أقدم زعماء الحزاب الشيوعية في العالم» وعلى الرغم من تقدمه في العمر (٨٥ سنة) ومن اتهامه من جانب كثيرين من زعامات «اليسار الجديد» الأمريكي. والمثل من جانب القوى اليمينية والإعلام الأمريكي بأنه «دسلفي» النزعة إلا أنه لعب دورا واضحا في تمسك الحزب في ظروف بالغة الصعوبة وحافظ على خط الحزب الفكري في وقت عصفت فيه تقلبات كثيرة بنظم تطهيات اليسار الرأسمالية في الولايات المتحدة. خاصة بعد انتهاء الحرب الفيتنامية.

وال من المناسبات أن نقل ما وصله هو آخر تقرير سنوي أصدرته ومؤسسة هولر في أضعف مراكز الأبحاث المناهضة للشيوعية في الولايات المتحدة وقد لعبت دورا بارزا وخطرا في تصعيد الحرب الباردة طوال السنوات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخرجت عددا من المعارين ضد الشيوعية الذين شغلوا أرفع المناصب في الإدارات الأمريكية المعاتية) كان آخرهم جونز شولز قائد خارجي ووالد ريجان أوكات المؤسسة تصدر تقرير سنوي بعنوان «الكفاح السنوي في الشؤون الشيوعية الدولية» «دري الطبيعة الأخيرة منه قبل أن تتوقف مؤسسة هولر عن إصداره وكان ذلك في عام ١٩٨٠. وصوتت زعيم الحزب الشيوعي الأمريكي هول بأنه «مضعف بشعوية كبيرة» ولكنه محدد كليا... ولا قاد الحزب منذ عام ١٩٨٩. ولا انتفاخ وهي فترة أطول من أي فترة قاد فيها الحزب أي فيه آخر ولا يبدو في الألق حتى الآن خليفة له.

في الوقت نفسه يصفه مترج اليسار الأمريكي «هول» يوهلي وهو نفسه

أحاطت بانتقاد المؤتمر الـ ٢٦ للحزب الشيوعي الأمريكي قائل في كثير من جوانبها طروفا سابقة في مراحل مختلفة من حياة هذا الحزب ساعدت في وقتها على نمو عضويته ودوره وتأثيره. ولقد جاء وقت كانت فيه مهمات الحزب متحصرة في النضال من أجل البقاء والإكليات ضمن الاضطهاد السياسي والمطاردات. أما الآن فإن أوضاع غالبية الشعب الأمريكي الاقتصادية والاجتماعية تكسب مهماته طابعا أكثر حركية والتميز نحو الائتلاف مع التيارات التقدمية الأخرى ومع المنظمات الجماهيرية غير الحزبية... من أجل التأثير في الأوضاع والسياسات العامة.

ورئاسة ثانية، إذا ما أظهر كليتون مواقف أكثر حساسية وشمولية في الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة الأمريكية والقوى العاملة بشكل خاص في مواجهة حملة مصالح الشركات الكبرى وقطاع الأعمال. وما يزيد هذا التفسير روعة صحته أن الاتحاد العام للصالح الأمريكيين بقيادةه الجديدة، أعلن تأييده لكليتون. ومن المسلم به أن الحزب الشيوعي سيجري على الوقوف في جبهة واحدة مع اتحاد العمال في تأييد كليتون من ناحية والمصلح من ناحية أخرى على عارضة أكبر قدر ممكن من التفرقة على قراراته وسياساته الداخلية والخارجية. ويرجع عام فإن الظروف الحالية التي

ماركسي بأنه «ديمقراطي شعبي» إلى انتصار الليبرالية الأثروكسية على الأثريين المثل والفلطح التي كان له انتصار كثيرون في فترة الخمسينات. ويؤكد برهلي أيضا أن هول آوى العمل السري على التعرض للسجن كما فعل كليرفيلد غير من زعما الحزب في عقد الأربعينات والخمسينات (الفترة المكارثية). مع ذلك فقد أتى التقصير عليه وسجن واعتدال طلاق سراحه عام ١٩٥٩ كان الحزب في حالة أزمة حادة بسبب أحداث لنجر وانتكاسات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي التي شهد انتقادات غروشوف لسالتالين (١٩٥٦) وانتخب في تلك الظروف رئيسا للحزب. ولم يلبث أن سجن مرة أخرى في أوائل الستينات وأفرج عنه بعد أن حكمت المحكمة العليا الأمريكية بحكم دستورية «قانون مكارثي» الذي حكم وسجن بقتضاه معظم الشيوعيين الأمريكيين.

من ناحية أخرى فقد قاد هول التيارات التي تأثر بالشوعية الأوروبية في عقد الخمسينات الذي كان يدعو إلى تعددية أساليب الوصول إلى الاشتراكية ويقر المذهب يوهلي إن زعامة هول حققت بهذا ذلك قدرا كبيرا من الاستقرار للحزب، وإن لم يحقق له نجاحات «دراماتيكية» أو باهرة... وأن كتاباته في صحيفة الحزب ونشرااته المختلفة وكتبه لا تزال تشكل الخطاب السياسي الرئيس للشيوعيين الأمريكيين.

مع ذلك فإنه من الخطأ المبالغة في تصور دور أكبر من مجرد الدور الرمزي لزعامة تاريخية ومستمرة يمثلها هول... فهو بحكم عصر التقدم لا يستطيع أن يوجه عمل الحزب تصلييا. وهذا يعني «سقوط» أن قيادات الحزب الأخرى. ومعظمهم من الشبان الذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والأربعين. يؤمنون عملا ناجحا في نقل الحزب من فترة أزمة حادة - عالمية الأبعاد فضلا عن أبعادها الداخلية - نحو فترة أكثر قويا بالثقافة بالنفس. وأكثر استعدادا للخروج إلى الجماهير الأمريكية مباشرة. لتوسيع قاعدة الحزب... على الأقل للحزب دور أكبر في العملية السياسية وفي مقدمتها الحركة النقابية وحركة الحقوق المدنية ومقاومة التيار العنصري... وفي العام الحالي حملة انتخابات الرئاسة.

وعلى الرغم من أن الحزب الشيوعي الأمريكي لم يعلن في هذا المؤتمر تأييده لرشح معين للرئاسة، إلا أن ما قاله جاس هول عن استعداد الحزب للدخول في أي ائتلاف بهدف إلى اقتلاع جلور المين المتطرف فسر بأنه إظهار لاستعداد الحزب لتأييد الرئيس الديمقراطي كليتون لفترة

رسالة باريس

رحيل مارجرت دوراس نهاية كاتبة مختلفة

نجلها العمري

منذ أولى رواياتها عام ١٩٤٣، وأعمالها التي تلت: «نشد طيد الهاسليك» و«بحار جبل طارق» أو «المشيقة» و«الجنينة»... إلخ، سبناير فيلم وهو «شعير»... وأفلامها التي أخرجهما بنفسها: «والخالدة». و«اندانا»... «سولج» وأخيرا كتاباتها للمسرح. مارجريت دوراس تكاد تغفل المكان، الهند الصينية حيث ولدت عام ١٩١٤ كاتبة يهضاه لأم وأب من المستعمرين البيض لأرض سقراء. وحيث عاشت حتى سن الثمانين عشرة قبل أن تعود إلى فرنسا، ثم هي... ماتت لكنها شديدة الوجود في كل ما كتبت، لتتصل كتاباتها عنها كالألم التي ترفض في إصرار عنيد ألا أن يكونوا أبناها

بعد أن فقدت فرنسا زهرة المارجريت الأولى - مارجريت يوسف - أول كاتبة امرأة تصبح عضوا بالأكاديمية الفرنسية. هاجم مارجريت الثانية تحمل «مارجريت دوراس» انتهت في الشهر الماضي بعد عمر امتد إلى واحد وثلاثين عاما، وبعد أن أثارت بما خفته من روايات ومن سيناريوهات أفلام. كما بحياتها الخاصة عواصف في النقد ذهبت إلى حد منع قراءة رواياتها بالمدراس، أو إلى حد اعتبارها واحدة من أهم أدبيات فرنسا في هذا القرن. وحصلها على جائزة جنهور إحدى أهم الجوائز الأدبية الفرنسية.

شخصية خارج كل الحدود وخارج كل الأطر. وربما كان هذا هو سر عبقها وصخب كتاباتها حتى وإن كان ما تخلفه في النفس أثناء القراءة. وبعدما هذا المزيج الغريب من النهضة وفي الاستنكار وفي الصلابة. فالكتابة مع دوراس كتابة أخرى

صورة مصغرة منها.

المكان

المكان. مكان الولادة والنشأة
حاضره أبداً فيما تكتب. والدنا كان مدرسا للرياضيات، والدتها هي الأخرى مدرسة. ولكن الموت اختطف الأب لتبقى الأم مع أبنائها الثلاثة مارجريت - البيضاء - ابنة المستعمر، عاشت كما كان يعيش المستعمر الانقضاء التام الذي يمزج المستعمر باستعلائه عن أهل الأرض الأصليين. ولكن في كتبها، يأخذ هذا التمزج شكلا آخر منفردا ومختلفا. فالمستعمر هو ذاته صاحب الأحلام المجهضة، هو ضحية استعماره الأولى، هو المفروض من قبل من يستعمرهم. وهو الذي يعاني من العزلة ومن هذا الاستعلاء.

المكان يطل بشكل خاص في روايتها، كلناهما من انتمائها المبكر. فنتخططان فلا نعرف الحد الفاصل بينهما الأولى هي «صد ضد الباسيفيك»، هذا السد الذي ما تفتأ الأم في الرواية تحاول بناء حماية قطعة الأرض التي وهبتها لها وزارة المستعمرات من مياه المحيط، بلا فائدة. الأم تعاد وتعاود، ولكن المحيط هو الآخر يصاود أغراقه للأرض، ويلبس معها حلمها بأن تخرج بأرواحها من الفكر إلى الفنى معتقدة على هذه الأرض المستعمر هذا «حاضر، مبهض، فالأم تحلم بالثورة التي لا تأتي أبدا، وبدا منها ترك طفليها للفقر والضيق.

والمكان يعود في الرواية الثانية، أكثر أصعلا شهرة وأكثرها إثارة للجدل «العشيق» فالإثارة تقع في حب «أصقر» صيني من أبناء البلدة، ولكن من الأثرية وهي من الفقراء. وعائلة الصينى تنظر إليها باستعلاء. فلو نرثرتها الأبيض لا يهدد عنها الفكر ولا يحقق حلمها في الزواج منه، فلماذا وأن يتزوج من صغارا مثله. وبالمثل رفض هذه العلاقة، لأن الآخر «أصقر» ، وبالتالي فهو معادل لكارتة لأنه يغييب فيما كانت تعيش وكأنه حبة من السماء. لونها الأبيض. المكان هو أنوان، فهناك الأصفر، يخيم على كل ما هو من أصل هذه الأرض، على الوجود وعلى الأطفال الذي يتساقط من جراء المرض والفقر كما تتساقط ثمرات المانجو الصفراء من الشجر. ثم هناك الأبيض، يتروذ ليصف «متنازل البيض» ، «والبشرة البيضاء» وكان المستعمر قد بنى



مارجريت دوراس

حول ذاته سجنا أبيض اللون، مثل لون بشرته قاما انشرب بداخله حتى اخفق. تقول دوراس يحرص البيض في المستعمرات على ارتداء ملابس بيضاء... شديدة البياض- أبيض يرتدى أبيض، وكأنه دليل على النقاثة المطلقة، على النقاء في مواجهة القذارة والجهل والتلوث.

الذات

عالم دوراس، هو عالم الدخائل فلا تدور أحداث تلك خارج النفس في رواياتها. الخارج يقتقد إلى الحركة، والخارج يخرج بها. والداخل هو ذاتها هي، تطل من كل ما تكتب، من كل شخصياتها. فلا فاصل بين حياتها الخاصة وبين رواياتها. هي اللغة التي أحبت الأصفر، وهي ابنة الأم مبهضة الأحلام. وهي رفيقة «ديان» هذا الشاب الذي يصفرها يتحرر أومع من عام، والذي رافقها طوال الخمسة عشر عاما الأخيرة في عمرها. وهذه كعيت آخر رواياتها عام ١٩٩٢.

وذا دوراس هي السيطرة اللامتناهية، هي القتل المحرم في لنا. الآخر أو كما تقول هي: «وأن ترحل من كل مكان. أن لأحجب وأنت تتوهم أنك تحب».

وما أبشع ما تكتب عن العائلة: «ولدت في عائلة لا يقرل أفرادها لبعضهم البعض صاحب الجهر، وأومساء الجهر أو شجرا في عائلة لا تختلف أبدا بمناسبة ما. هناك وانا في العلاقات العائلية شيء من الكراهية. في عائلتي، لم تحاول اخفاها أو تجميلها كانت واضحة للآخرين فهذه هي الطبيعة وحكمها. عندما تكون العلاقات طيبة وحسنة بين أفراد عائلة ما، ليس لأن ذلك

أمر طبيعي، وإن لأن أفراد هذه العائلة نجحوا في ترويض الطبيعة نحن لم نخلق لتعيش معا. فالعائلة ليست إلا حالة عابرة، وسيلة للحصول على المأوى والطعام. أما الحياة، حياة أطفال العائلة، فهي مؤجلة إلى ما بعد. ألا يقول الآباء للأبناء: سنرى فيما بعد، ستفهم فيما بعد. أي بعد العائلة تبدأ الحياة.

هذه هي بعض أفكارها التي طالما صدمت الكثيرين ومع ذلك، لا تملك إلا وأن يأخذك عبقرية الأسلوب، بساطة الكلمات حينما ترد مع قلم، دوراس إلى بدايتها الأولى م ما جعل من هذه المرأة صديقه لفرانسوا ميتران باتت كما كان يحلو لها أن تقول له «أشهر منه».

يقول «ديان» رفيقتها في آخر حياتها: لم تكن كتابة، كانت حرية لأحدوه للكتابة ولا لللمكة.

وهان هو نفسه جزء من هذه الذات المخوفة في ذاتيتها قصة لقاتهما فريدة متوحشة ككل ما في دوراس كان يان في الثانية والعشرين من عمره عندما وقع مصادفة على إحدى روايات دوراس قراها وبعد قراءته ترققت قرااته الأخرى. لم يعد يقر. إلا لها فهي نقطة البداية في الكتابة، ثم بدأ يكتب إليها رسائل، طويلة خض سنوات يرسل إليها رسائل بشكل منتظم ولا يتلقى منها ردا ثم ترققت رسائله. وهنا كتب: ليت: لماذا ترققت رسائلك فجأة وكان هذا، سببا قويا كالموت مثلا. فقهره لزيارتها يقول دخلت، ولم أخرج حتى وفاتها. استوعبتني قاما، قلم يعد في حياة بخارجها. كانت قدرتها غريبة على قهر الوقت، اليوم كان بمثابة أيام ثلاثة. ولا وجهه إلا لها ولما ترهب فيه.

وفي شهادته التي نشرتها جريدة ليهواسيون منذ أيام قليلة، يتكلم «ديان» عن هذا السجن وعن هذا السجناء الفريد: كانت تأخذ كل شيء لها، كنت أنا أكبر في السن وهي لا، كانت تعيش في حاضر دائم، في كتابة دائمة، فلم تكن تفعل إلا أن تكتب وتكتب. أيا أنا، فلم يكن لي حياة.

انتهت مارجريت دوراس، ولم ينته ما تدبر من جدل، هذا الجدل الذي جعل منها، مع اختلاف الآراء حولها، واحدة من أهم كتابات القرن العشرين.

نقد الحركة النسوانية



بند الحركة النسوانية

قد أراد للنساء أن يخرجن إلى العمل لما خلق جنسهن، كما يقول كاتب خطب مارجريت تاتشر وفي هذا السياق علينا أن نراجع فتاوى الشراوى بخصوص عمل المرأة.

وأكثر ما تخشاه الرأسمالية التي تخطط حتى في أكثر حالاتها تقدماً لابقاء قدر من البطالة في المجتمع تستخدمه ضد العمال أكثر مما تخشاه. هو أن تواجبه في حالة إنخراط النساء على نطاق واسع في الانتاج وتنظيم الخدمات المنزلية والأسرية اجتماعياً هو طبقة عاملة قرية موحدة يربطها ونسائها قادرة على الدفاع عن حقوقها وتوسيعها والتضامن بهمة أكبر من أجل تحريك المجتمع ونساء الاشتراكية.

ثم تعضيد فريضة النقاش بأن أهمية الكتاب تكمن في أنه يلقى باضرائه الكاشفة على واحد من الاتجاهات التي أصبحت جذابة في حركة تحرير المرأة في بلداننا وهو الاتجاه النسوي الذي يمثل اتجاها من ثلاثة اتجاهات رئيسية أحدها الاشتراكي والثاني الإسلام السياسي.

وفي محاولة منها لتوصيف الحركة الصرية تقول بأن الدراسة النسوية في بلداننا والتي تمثلها نوال السعداوي، لا تمتنع بسلطات لا بأس بها. بوان كان هناك فارق جوهري لابد تسجيله بين الاتجاه النسوي الأوروبي والاتجاه النسوي الغربي الذي يحتله نوال السعداوي وهو أن الأخير يلعب دوراً إيجابياً من زاوية تأكيد حق الاجتهاد. وطرح كل المسائل بما فيها المسألة الجنسية طرْحاً شاملاً للنقاش وعلى نطاق واسع.

أما النقد الجذري الشامل لحركة الإسلام

قد زادت من ٩٪ إلى ١١٪ في سنوات الانفتاح الاقتصادي رغم أن البطالة قد تزايدت في نفس هذه الفترة تزايداً حائلاً واضح أن أجور النساء في القطاع الخاص حيث لا يجري تطبيق قانون الأجر المتساوي هي أقل من أجور الرجال.

أي محاولة لفهم هذه الظاهرة تقول أنه وبالرغم من أن خروج المرأة للعمل ارتبط بظهور الرأسمالية ونموها فإن الكتاب، يكشف كيف أن أول من ثبت فكرة الأسرة التي لا تعمل المرأة فيها خارج البيت هو الطبقة الرأسمالية ذاتها إذ كان هذا الحل يورث ثلاث مزايا.

فهر أولاً يتيح إحلال كمية إضافية من العمل غير المدفوع الأجر محل إيفاق اجتماعي، ويتيح قدرًا من الصحة العامة في حياة الطبقة العاملة حيث تربي المرأة الأطفال وتنمض بعملية التثقيف، وأخيراً فإن هذا سمح من ربط الرجل بالمرأة. وقد استخدمت الطبقة الرأسمالية تكتيكات متعددة لتشجيع العمل على تبني هذا الحل عبر المدارس والدين والترفيه وقتوات أخرى كثيرة.

ولابد أن نقارن ذلك بما تعمله الجماعات الدينية الآن في مصر باعتبارها رجلاً من وجهه التيمر الرأسمالي التابع وستارة الأيديولوجي فهي التي تبشر بضروة عودة المرأة إلى المنزل بينما تقدم الحكومة اقتراحات بجري الحديث عنها في الصحافة وأجهزة الإعلام حول إجازات طويلة تنصف أهر للمرأة. أو حالة النساء للمعاش في سن مبكرة بحجة التحقيق عنهن بالرغم من أنه ثابت أن قدرة المرأة على الانتاج بعد أن يكبر أطفالها تصبح أكبر.

وتضيف فريضة النقاش: ولعلنا سوف نجد تشابهاً كبيراً بين تكتيكات الجماعات الدينية الرأسمالية في مصر وتكتيكات المتطرفين المحافظين في إنجلترا الذين يهرعون إلى الرب ليستمدوا من أقواله القسمة شهداءات ضد عمل المرأة وإذا كان الرب

حمل الكتاب مقدمات ثلاث تمثل كل منها دراسة مصغرة لا تقل في أهميتها عن محتوى الكتاب... لذلك فقد كان من الضروري التعرف عليها ولتخذ العرض شكلاً مسلياً نبدأ بهذا العدد.

بقراءة في المقدمة الأولى للناقدة فريضة النقاش بعنوان (دروس وخطوات لنا لنحلها) نسترجع التاريخ مؤكدة على أن النساء في الثورات يصلن إلى أرقى حالاتهن وتفتح قراراتهن بلا حدود. فليس هناك شيء كالثورة يدفع جماهير النساء إلى الأمام كما تقول (الكسندرا كولونغا) المناخلة والمفكرة السوفيتية والتي شاركت في ثورتى (١٩٠٥، ١٩١٧).

وهذا فإن النساء يصبحن قوة فاعلة في مثل هذه الأعياد (الثورات) وسرعان ما يسقط ثقل الماضي الذي يهشم على كاهلها، شرط أن يكون الطابع الشعبي هو الغالب في الثورة فحين تتخبط النساء جماعة فإزهن يطعن المطالب القوية بطابع حاجاتهن كجزء لا يتجزأ من الجماهير العاملة المسحوقة (لعمد نساء الطبقة العاملة كانت

مشكلات التضخم والبطالة والمجوع أكثر إلحاحاً بكثير من مسائل الطلاق والعلم والوضع القانوني).

وفي الركن العربي فسوف نجد خبرة مشابهة لانخراط النساء في ثورات القرن الماضي كما حدث في الجزائر أثناء حرب التحرير حيث نشطت الثورة النساء المدمات، ثم في الانتفاضة الفلسطينية حيث تلعب المرأة دوراً أساسياً متزايداً يحتاج إلى دراسة.

من ناحية أخرى تشير فريضة النقاش إلى أن تزايد تشغيل النساء وانماجهن في العملية الانتاجية هو بكل المقاييس عملية تقليدية لصالح تحرير المرأة، إلا أن هناك حقائق تنفي هذه العملية في بعض الأحيان إذ يصبح تشغيل النساء وبالأعلى الطبقة العاملة

وقد رصد في مصر أن نسبة عمالة المرأة

السياس النسائية فهي مهمة للاشتراكيين وكل الديمقراطيين ما تزال لم تنجح بعد. بل يصحح انحازها إلى مقدرة ومعرفة جيدة تحراث الثقافة العربية الاسلحانية لان هذا التجار يشكل واحداً من أكبر معوقات تحرير المرأة وإدماجها في مجمل النشاط الطمقي.

نساء... ورجال... وثروات

ثم يحاول أروى صالح والتي قامت بهجده يسجل لها يتفوق بترجمة هذا الكتاب باستعراض اسباب الهجوم على الحركة النسائية التي ترى العالم من منظور (أنثري) لا يرى فيه سوى اضطهاد الذكر للأُنثى فيجعلها غير قادرة- قبل أي شيء آخر- على تحرير المرأة ، كما يقدر ما يقلقها هنا الذي يتحول إلى هاجس يسيطر ، الفترة على التعاطف مع كل المظهرين عنصرياً ودينياً وطبقياً من كل لون ، يقدر ما يعد من ألقها ويجعلها في سبة للتجزؤ الجنسي ويوسم نضالها بالأنانية لتضع في النهاية جزءاً مكملاً لا أكثر لأكية الاضطهاد النظم الذي يتحكم في العالم.

وتؤكد أروى صالح بأن الكتاب يكاد يكون أقرب لدراسة مقارنة وجزيرة لتاريخ الحركات الثورية عامة والاشتراكية والنقابية خاصة في خمس بلدان (روسيا القيصرية- ألمانيا- فرنسا- بريطانيا- أمريكا) من حيث هي تلم

الخلفية التاريخية التي يتتبع من خلالها أوضاع النساء ومواقف الثورات منهم ، فأولئك ينسب اضطهاد المرأة- وكذلك حركات تحررها -للتاريخ ، في مواجهة تصوراتها التي تفسر تاريخ الصراع بين الرجل والمرأة.

حركات وقضية

ثم يستعرض توني كليف في المقدمة الثالثة للكتاب ، نهجه الذي اعتمد عليه في دراسته قائلاً بأنه على امتداد المائتين عام الماضية عدت حركات مختلفة على تحرير النساء ، وهذا الحركة النسوية والماركسية.

كلناها ترغب في القضاء على اللامساواة والاضطهاد في وضع النساء في مجتمع اليوم. في أن تستبدل به المساواة الكاملة والمخترقة بين الرجال والنساء ، غير أنها تسلكان في تفسيرها لواقع اضطهاد النساء طرقاً مختلفة كل الاختلاف.

الحركة النسوية

ترى أن الإقسام الأساسي في العالم هو ذلك القائم بين الرجال والنساء ، وأن السبب وراء اضطهاد النساء هو نزوع الرجال للسيطرة عليهن . وترى أن طريق الحل يكمن في توحيد النساء من أي طبقة اجتماعية كن ضد الرجال في كل المبعضات الاجتماعية.

أما وجهه النظر الماركسية

فتري أن التعاون الأساسي في المجتمع يقوم بين طبقات لا بين الجنسين ، فعلى مدى الآل السنين اجتمعت أقلية من الرجال والنساء على

العيش من عمل الأغلبية الساقطة من الكادحين رجالاً ونساء.

وضيف توني كليف بأنه لا سبيل إلى التفرغ بين وجهتي النظر هاتين وإن تكن بعض الاشتراكيات في الحركة النسوية قد حاولن تعيين القوة بينهما.

وقد استطاع ماركس والمجلد أن يبنيا عبر المفهوم المادي للتاريخ الذي اتبعاه ، أن النضال الطبقي وحده هو القادر على تحقيق الاشتراكية وتحرير النساء ، وأن الاستغلال الذي يتعرض له العمال والعمالات على النساء في عملهم. يدفعهم إلى التنظيم الجماعي لانقسامهم في مواجهة الرأسمالية وهذا النضال للطبقة العاملة هو الذي يسير في طريقة الاضطهاد والاستغلال على حد سواء.

فيري توني أنه لا وجود لجامعة موحدة تدعى (النساء) أكثر ما هناك وجود لآخرى موحدة تدعى (الرجال) . أن المرأة بين مالك العبد والاميد ، وبين المالك والفلان ، تجعل مفهوم «الرجال» قائداً للمعنى قائماً كما يجعل الهوة بين زوجة مالك العبد وبهتة مفهوم «النساء» خلواً من المعنى.

وسبب من وجهات النظر السائدة في الحركة النسوية فإنها تقع في خطأ استغلال تعبير «النساء» و«الرجال» بطرقاً غامضة تفكر إلى التحديد والفهم التاريخي.

لقد كان الاضطهاد يعني للمرأة المستقرقة القسوة البدنية والاستغلال الجنسي والصلب الجبري عن أطفالها ، أما بنسب النسبة المترقة التي لا عمل لها فهو بعض قيوداً اجتماعية وقانونية وقهراً جنسياً والقوة الصناعية كانت تعنى لساء الطبقة العاملة استغلالاً ورأساليا وحشيا علاوة على فظاظ الحمل في ظروف مرعبة . بينما كانت تعنى للزوجة الرأسمالية حياة مترقة لعمية.

حين تكون إذن كل النساء معاً في كلمة واحدة فإننا نغفل الظروف التاريخية واستعمال الود الذي لعمته السيدات الثريات في استغلال واستغلال الكادحات والكادحين!!

ويستمر كليف في هجومه على الحركة النسائية قائلاً بأنه من الشائع في الحركة النسائية تشبيه وضع النساء بوضع العبد والاقليات العنصرية المضطهدة ولكن (أرجو الشبه محذرة في الواقع ، فإلنساء لا تكون جماعة متضعة ، بل يستعرض وسط كل القطاعات. وإذا كانت النساء من الأكثر تمرداً للاضطهاد في جمهور العمال ، فانهن يبرهن أيضاً في صفوف المستغلين.

وتختلف علاقات النساء بالرجال في الأسرة اختلافاً جلياً عن العلاقات بين العمال والرأسماليين ، أو بين السود والبيض ، فهناك علاقات عميقة ومعقدة اقتصادية وجنسية وتنسبية تدفع النساء إلى المشاركة في الأسرة السود ، محاصرون بعيداً عن البيض ، بينما يتدخل الختان مع علاقات السيطرة والخصوع فيما بين الزوجات والأزواج والأمهات والأبناء ، ويثير السود الاستنزاز عند العنصريين البيض ، ولكن النساء مغرقات من الرجال.

حركة أم.. سكون

إنها المحاولة الصعبة تلك التي ستفوضها لتقع ملف قديم جديد ، تكنت مجموعات عدة من النساء من صياغته . لكنها تعترف جميعاً أن اختلاف مناهجها بأنها لم تشكل بعد حركة نسائية ، وبأن الأسس الأولية للحركة غير متواجدة بالفعل ، كما أن الشروط الموضوعية الذي يمكن من خلاله أن تتحول حركة نابعة من جهود حقيقية في التثوير ، يضرب دأبنا ، ولا يكاد يفتح الباب أي ميتهد إلا ويروى بالرماسي أو التشهير والتفوي...!!

لهذا كان من المهم أن يفتح الملف بعد استعادة سرعة لأهم الحركات النسائية على مدى القرنين الماضيين، ومحاولة استنباط مدى أثرها على العنل النسائي في منطقنا. وهو ما سيبذل أكثر وضوحاً من خلال المداخلات التي ستعملها الأعداد القادمة مع المنافع المختلفة. وتبدأ من خلال أوراق اقترنت من الأرميعة صفة قدم المفكر الاشتراكي وقائد «حزب العمال» الاشتراكي البريطاني (توني كليف) دراسة قيمة حاول فيها بعض مفهوم (النسوية) أو النسوانية) مشيراً إلى أنها كحركة غير قادرة على تحرير المرأة بل أنها أصبحت رصيداً لدى القوى الرجعية لإبقاء أوضاع الاضطهاد كما هي سواء الواقعة على المرأة أو الرجل.

ومهما كان حجم الاتفاق أو الاختلاف مع هذا الطرح فإن القراءة الدقيقة لكتاب(توني كليف)(النضال الطبقي وتحرير المرأة) وما تكون كأرض معنى بها تصلح للزراعة فيها في الأعداد القادمة.

جيهان أبو زيد



اليسار وأزمة فهم الواقع بعض الملاحظات الأولية

تعددت مساهمات الفكر المصري الكبير «ميشيل كامل» في مجالات عدة، ولكنني أعتقد أن من أهم إسهاماته تلك المرتبطة «بالمسألة الوطنية» وبالعلاقات الطبقية في الريف المصري، في أثناء توليه منصب «مدير تحرير» مجلة «الطليعة» في السبعينات - إذ كان اهتمام «ميشيل كامل» ب«إسعاد الشهادات الوطنية» من أقراره التي يمشي فيها الواقع اليومي بتقنياته وتضاريس الزمرة، التي تتحدى تبسيطات وتصميحات «المتأرجح الطليعي المأجور» المنقول من الكتب، نقلة عامة في منحهم الفهم والتفسير للواقع الاجتماعي والطبيعي المصري.

وهذا يقودنا إلى الإشارة إلى آفة مهمة من آفات التفكير والتضيق البصري المصري. ففي أحوال كثيرة نجد أن هناك «ميلًا لإحتقار الرقائع» والتفكير «بمعدل مسطح». وهذا يقود بدوره إلى «إعطاء أجوبة مغلقة» على «الأسئلة الطازجة» التي يفرضها الواقع اليومي. وهكذا نجد في أحوال كثيرة أن هناك «عدم إصفاء» لإبقاء ونضج الحياة

الاجتماعية والاقتصادية.. وبالتالي ميلا مغالى فيه لإيلاء الابتكار المسبق. وهذا يقود بدوره إلى «القفز النطري» و«التهيب الفكرى». مما يعيد بدوره من عملية «النتج الميسرى» كاتجاه تحليلي لفهم الواقع وكندليل للعمل السياسى».

فإذا فشلت النظرية في التفسير، فإنها سوف تفشل قطعاً في التوجيه». إذ أن أنه منهج التفكير بالخصوص، هو الفشل الذريع في تجنب التناقضات الحقيقية في الواقع المعنى والماشى، وعدم القدرة على تحديد منهج حل تلك التناقضات. ولعل الأزمة لدى المصري (والعالم العربي عموماً) ترجع إلى عدم ملامة النموذج التحليلي المستند إلى واقع الضيق الرأسمالي في أوروبا القرن التاسع عشر، كأساس لفهم واقع التطور الاقتصادي.

د. محمود عبد الفضيل

والاجتماعي في المنطقة العربية. ومن هنا نشأ
ذلك والتصور النظري (Theoretical deficiency) في فهم
مقومات الواقع وبنية التحتية والفوقية
ببالياتة البوعية.

تقدّلت الصياغة في مجموعها أقرب إلى الصياغات النحوية التي تستند إلى خروج تحليلي يستند إلى «الثقافة» و«اللاملازمة» الطبقة و«يحتمل» في العديد من تفاصيل الواقع التي تساعد على توجيه التوجهات والعلاقات السائدة في المجتمع بفاتحة وقراءة الاجتماعية المخططة. فعل سبيل المثال، لم يتم توجيه اهتمام كاف لعدم «الطبيعة العاصلة» بمراسمها النبوية والحديثة و«وعدم» تجاهتها في التكوين والتصورات والسلوك السياسي، تلك القضايا التي ركز عليها بعض المثلثين الماركسيين المحليين من أمثال Gareth Stedman Jones. كذلك لم تكن هناك عناصر كافية يفهم قيمات الطبقة الوسطى وعلاوة ذلك بعملية التقدم الجارية في المجتمع بوماً. وبما: ورائد التقدم في صفوف تلك

وهنا لا يكفى القول، كما جاء في أحد الكتابات الحديثة:

«إن الطبقة العاملة وحلفها الراسخ من
الفلانين الفقراء، والمؤمنين في القادة على
القضاء على كل أشكال الاستغلال، ثم إقامة
عالم جديد يحل فيه المساواة الحقبة والحرية في
المشروطة محل العالم القديم التهالك». إن
تلك الصاغية التي كتبت في نهاية عام
١٩٤٤، ١٩٤٤، يمكن أن لا تكتب عام ١٩٤٤
أو ١٩٤٤، بنفس الروح الفعمية -
«البنية» - وكان الواقع لا يتغير. وما هو
الجديد إلا... في ظل «القطعة»
«الارتفاع» ودولة «الدولة»
الدينية، وذلك الأتبات الجديدة التي
أصكبت بأقسام من الطبقة العاملة والفلانين
الفقراء والمؤمنين في المدن.

هنا، كما ترى، انتم تجد بدواسة
أشكال العكس، و«الارتقاء» الجديدة
بأشكال «العكس» المزودج،
والأوضاع الطبقة المتتسبة في خريطة الواقع
الطبيعي الجديد. وكذا أشكال الوعي الفكري
والسياسي، ودور الدين والثقافة في تشكيل
الوعي. وحيدو «استقلاليته» عن الواقع
المادي.

وهل يمكن فهم لغز «الرايكاوية السياسية» لدى بعض الفئات الاجتماعية وارتفاع درجة «العدن» والسلوك الاجتماعي المحافظ لدى تلك الفئات؟

تلك هي «مفارقة» من منظور
«نمذج الحداثة الغربي» الذي تبناه
المثقفون اليساريون، بينما لم تكن «مفارقة»

في إطار التجربة الصينية (أو الآسيوية عموماً). للهنّضة والتقدّم.

خلاصة القول هنا، أن عدم الاستناد إلى دراسات عينية وميدانية ودليل ملموس للواقع للموسم» تنوّد إلى تنوع من «التهافتية السياسية» وتعرق التوصلات الحقيقى مع الجماهير، بل تنوّد إلى شعور زائف بالتفرق والاستعلاء بحجة امتلاك «المتنوع العلمى» في الرقبة والتعليل.

وأخطر ما في الأمر أن هذا «النتيج اللغوى» الذبى يقود إلى نوع من «الكسل الفكرى» ويقتل الإبداع اللازم لفهم حركة الواقع المتجدد. إذ إن التاريخ لا تتم صياغته بوقفاً لمسارات جبرية أو «فؤوج» وحيدة تم صياغته في ظل واقع اجتماعى وتاريخى متغير.

ولذا فإن الطريق القويم للتخلص من ذلك «المعلل الآلاتى» الذى يقبل بالتصوّج التفسيرى السهل البسيط، كما تم صياغته في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ويجاوز إلى الفهم الحلاق للواقع الجديد، يقتضى السير على النهج التالى:

وهكذا فإن التصوّج التحليلى أو «التفسيرى» بالإضافة إلى «مناصره المعيارية» (normative aspects)، لابد وأن يلاحق العملية المستمرة «لتعليق الغربة الطبيعية» في أى مجتمع، حيث إن الواقع دينامى متغير.

ولعل من المقارنات أن كتابات اجتماعية وسياسية تمت خارج «متنوع التحليل الماركسى» كان لها في بعض الأحوال وقع أفضل في فهم بعض الأوضاع الاجتماعية عن تلك الكتابات الماركسية التقليدية، مثل كتابات «لى الوروى» (عالم الاجتماع العراقى الكبير) في كتابيه «دراسة في طبيعة المجتمع العربى»، و«ولحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٩٩٩. بإذ أدخل في تحليلاته العديد من المتغيرات الاجتماعية والفكرية والنفسية التى لا يمرها «الماركسيون التقليديون»

التقدّر الكافى من الانتماء والتغاية. كذلك كان لفت الانتباه إلى ما يسمى «رأس المال الرمزى» (Symbolic Capital)، الشكل المهم في بلدانا مقارنة برأس المال المادى، وهو من لبداعات عالم الاجتماع الفرنسى بورديه Pordieu وليس من لبداعات الماركسيين العرب.

الحركة السياسية و

«الخروج من الرقاقة»

لم تحدد الحركة التقدمية والسياسية نفسها دوراً واضحاً في الحياة السياسية.

أ- هل هي حركة نقدية، تحكى



الاجابات العملية

لا تصلح

للأسئلة الطارئة



الحركة التقدمية

لم تحدد نفسها

دوراً واضحاً



بمسار النقد يوتبان سلبيات السياسات الاقتصادية والاجتماعية الراضة في مجالات: الصحة والتعليم، والاسكان، وبيع القطاع العام، وسياسات الأجور والأسعار.

ب- هل هي حركة احتجاجية / مطلبية تسعى لوقف التدهور وتتفق أمام تقرير سياسات تضر بمستقبل الوطن العربى مثل «الشرق أوسطية» و«الفساد والإسداء».

ج- أم هي حركة التغيير وإعادة البناء. تتكلم مشروعا متكاملا للوطن، يحين والقوى الحية» ويحيط بقاعدة تحالف طبى عريض، لا يقتصر على «الطبقة العاملة وحلقها الواسع من الفلاحين والفقراء والمهشمين» على حد الصيغة المعروفة عن ظهور قلب لأنه دون أن يتكسب مثل هذا المشروع مصداقية وقبولاً لدى أقسام واسعة من الطبقة الوسطى ومجتمع رجال الأعمال، لم يكون مشروعا قابلاً للتأجيل والتطبيق، مهما صدقت النوايا والأحلام.

ومن الواضح من الادبيات اليسارية

والكتابات الصحفية في جريدة «الأمالى» وغيرها من النابر اليسارية، هناك خلط بين المستويات الثلاثة «بل هناك اضطراب وارث» سياسى يعزاج من «الناتجة السياسية» قصيرة الأجل، وبين «التقدم والتشجيع النظرى» الذى يعطى المستقبل المبدى وغير الرئى، وبالتالي يؤثر على كفاءة كل مستوى من المستويات الثلاثة.

ولعل الخروج من حالة «الشفقة» و«التفكك» التى تطغى حركة اليسار، مقارنة بالتيارات السياسية الأخرى الفاعلة في المجتمع (تجار «الاسلام السياسي» و«الليبرالية الجديدة») تقتضى «علم تغليب السياسى على الايديولوجى» ولا الايديولوجى على المعرفى» على حد تعبير محمود أمين العالم (راجع اقتراحه العدد الأخير من نصبا فكرية تحت عنوان «الهشاشة النظرية في الفكر العربى المعاصر»).

يقتضى ذلك، بلذ محاولة فكرية أمينة وجادة لهم الرقاعات التالية:

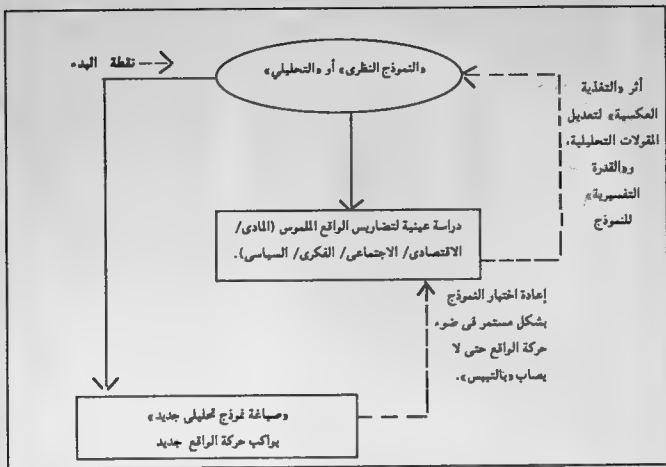
١- «العلاقة الجدلية بين الفرد / الطبقة / الأمة / في عالم اليوم».

٢- دور الدين والتراث في مجتمعنا «والنظر لتلك الأمور من خلال فتح الباب على مصراعيه وليس فقط بالنظر من «قلب الباب» على حد تعبير طارق الشيرى.

٣- العلاقة بين الاشكال المختلفة «للعرب» (خاصة الربع القطرى ومشتقاته)، تلك الاشكال القدرلة في مجال التناول، ومدى طغيانها على الأنماط التقليدية لقائض القيمة القدرلة في مجالات الانتاج (الزراعى والصناعى والمادى عموماً)، والاثار الفكرية والسياسية والسلوكية المترتبة على ذلك.

٤- دور «الاقتصاد شهر المنظم» أو «الاقتصاد الفاروق» على تزييد دخول وأقطار من العيش، تهدر كل التحليلات المستندة إلى ما يسمى «خط الفقر» في المجتمع المصرى التى تقوم على حسابات «الدخل المتطور» فقط. وكأننا بادئنا عن «خط الفقر» (poverty-Liens) والاستناد إليها في التحليلات الاجتماعية والسياسية حول الأزمة الاقتصادية والتدهور... تهدر تلك الآليات التى يتدعها «بسطا الناس» للتحليل على الأزمة والواقع الاقتصادى المتردى... وبالتالي تزول «التعامل مع الأزمة».

٥- فهم العمليات الجندية للإنتاج والتراكم على الصعيد المحلى والعالمى، واتكاساتها الاقتصادية والطبقية



اليسار وأزمة فهم الواقع

الرأسمالي على الصعيد المحلي، من خلال «البروصات المتفوعة» وما يسمى «بالتقنية الالكترونية» (electronic money) العابرة للحدود الوطنية في لمح البصر

.....
ووسائل الإنتاج في ضوء، لشل التجارب الاشتراكية الساهلة القائمة على التخطيط المركزي والأوامر الادارية، وهذا يحتاج لمجهود كبير خلاق، وليس مجرد «ترميمات فكرية».

إن الإجابة على بعض هذه التساؤلات يحفل مفتوح، وفيه بعض التطورات الجديدة في الواقع المادي والاجتماعي.. هي الطريق الوحيد، لفهم الواقع وإمكانية تفسيره ومجاوزه واستنزاف المستقبل على أسس علمية راسخة، فإذا لم تتم عملية الالتحام بالواقع، فكراً وممارسة، فإن من الصعب أن تصبح الحركة اليسارية والتقدمية عموداً حركة شعبية جامعة، أو ذات نفوذ شعبي واسع. وأغلب الظن أن تتحول إلى «كيان قسوة» وإلى «حقلات الذكور» لها مريدوها ودراويشها بلا جدال، ولكن يصعب عليها الخروج من «الزقاق» إلى «الطريق العام».



طارق البشري



سمير أمين العالم

المال، لم تعد العلاقة بين «رأس المال القابض» و«رأس المال المتفوق» هي الأساس، كما كان في الكتابات الماركسية التقليدية، بل أصبحت بين نسبة «software» و«hardware» التطور في تركيب المعدات الرأسمالية والالكترونية الحديثة.

ج- صعد «رأس المال المالي» بشكل ليس له مثيل في التاريخ الرأسمالي المعاصر وتداخله مع عمليات التراكم

والاجتماعية، ويكفي لي أن أذكر في هذه المجالة القضايا التالية:
أ- التغير في طبيعة العمليات الانتاجية (labour processes) «الانتقال من العمالة الكثيفة المتجمعة في شكل «مصانع» وخطوط انتاج و«عنابر» إلى عمليات مجزأة وعالية التقنية» «واعتقادها على عمالة تعمل أحياناً من منازلها» (outworkers).
ب- التغير في التركيب المعنوي لرأس

وسوف تعرض هنا لبعض الدراسات المهمة التي شاركت في ذلك الجهد.

منذ ظهور الماركسية في القرن الماضي والحركة الشيوعية يتنازعها اتجاهان فيما يخص المسألة القومية:

1- اتجاه الأول، يتقبل الفكرة القومية الأمر الذي يلقى على الأحزاب الشيوعية المتضربة تحت هذا الاتجاه أن تدافع عن المصالح القومية لبلدانها وهذا ما فعلته أحزاب الأممية الثانية التي شاركت في الحرب العالمية الأولى جنباً إلى جنب مع دولها للدفاع عن أوطانها.

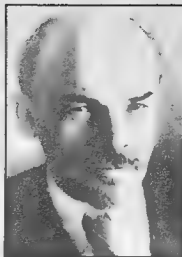
الاتجاه الثاني، الذي تعود جذوره إلى ماركس والذي كرسه لينين هو رفض الاختراط في الصراعات القومية وإدانتها بكل قوة.

ذلك كان موقف لينين في الحرب العالمية الأولى حين نادى بالانضمام القومية، أي أن يرفض العمال في الدول الأوروبية المشاركة في الحروب الاستعمارية التي لا يخرج فيها من متعصر سري البورجوازية. وقد دفع لينين ثمن ذلك الموقف عن طيب خاطر. وكان ذلك الثمن هو اتهامه بالخيانة وبالعصاة للعدو الألماني.

من الملاحظ أن الجدل الدائر لا يخرج في خطوره العامة عن هذين الموقفين. المقال الأول الذي سوف تعرضه يقع في خانة اليسار القومي ويزعم أن جالو رئيس حركة المراطيين.

يبدأ الكاتب بالقول بأن كلمة قومية حين يتم ذكرها في أوساط اليسار فهي تشير ذكريات البغض القوي، العنصرية، كراهية الأجانب والاستعمار. وبالنسبة للبعض الآخر لم يعد لهذه الكلمة أي مضمون بسبب عولة رأس المال وانتقال مراكز صنع القرار من الدولة - الأمة إلى المؤسسات العابرة للقوميات مثل البنك الدولي وصندوق النقد ومفوضية الدول السبع الكبار... الخ. والقاسم المشترك بين اليمين الليبرالي وبعض قطاعات اليسار هو أنهم يمتنعون للمؤمنين عن القومية الفرنسية بالرجعية من منطلق واقعيته التي تقي عليهم قبول طاعة العولة.

هناك من يدعو إلى أن تكون مهمة الأحزاب اليسارية هي تنظيم العمال على مستوى العالم وليس على المستوى القومي. وهذه الموقفة - وفقاً للكاتب- وإن كانت تبدو ساذجة ومنطقية فهي ليست بالحديثة وهي ترجع إلى الأممية الثانية. أن رؤى لوكسمبورج أدانت القومية باسم عولة رأس المال. لقد كان موقف رؤى لوكسمبورج البرلندية الأيسر من محاولات تقسيم بلدها بولندا بين روسيا وألمانيا هو وفلتكن أن ثورين روس أو ألمان بما أن بولندا قد تم



لينين



كارل ماركس

الماركسية

والمسألة القومية

سامر سليمان

السياسية التي تشهدها حالياً هي تجر هذه الصراعات في الوقت الذي بلغت فيه عولة الانتاج درجة غير مسبوقة في تاريخ الرأسمالية، بحيث أصبح العالم فضاء مفتوحاً أمام حركة رأس المال. لقد يلزم الجدل الدائر في فرنسا الآن حول المسألة القومية اتجاهات مختلفة للتعامل مع هذه الظاهرة. وبالرغم من أن الخصوصيات الفرنسية والأوروبية، مثل الموقف من معاهدة ماستريخت، تلقى بطلانها على هذا الجدل، إلا أن المواقف التي تبلورت فيه والتحليلات النظرية التي استندت عليها هذه المواقف تخرج عن إطار الخصوصية الفرنسية وتهم الحركة الشيوعية على الصعيد العالمي.

ما هو الموقف الذي يجب أن نعتناه نحن الماركسيون من المسألة القومية؟

هل يكون ولائنا الأول للبروليتاريا العالمية أم يجب أن يكون لأوطاننا؟

هل يجب أن نتطيق حدود الأحزاب القومية مع حدود الدول القائمة بالفعل؟

متى يجب علينا أن نخوض الصراعات القومية ومتى يجب علينا الكف عنها؟

ما هو موقفنا من حق تقرير المصير للشعوب والأقليات التي ترغب في الاستقلال؟

إن الأجابة على هذه الأسئلة لها أولوية قصوى الآن في ظل فجر الصراعات القومية والإثنية على الصعيد العالمي. ولعل المارقة

تقسيمها بين هاتين الامبراطوريتين . ويقول الكاتب إننا جميعا نعلم الحسارة الفادحة التي نجمت عن هذا الموقف.

لقد استعجبت بعض قطاعات اليساريات اذا كانت محاولات الإصلاح قد فشلت في فرنسا وإذا كانت الأحزاب الاشتراكية الأوروبية قد كشفت عن عجزها لخالل هو تأسيس حزب اشتراكي أوروبي، وكان المشكلة هي النطاق الجغرافي الذي تدارس فيه هذه الأحزاب سياساتها. بل إن البعض وصل في شططته إلى التنادة بالعمل على تأسيس وعاء أمة للعالم على الصعيد العالمي.

ولما للكاتب، إلى انتهاء القرميات لا يبرجد إلا في أدمغة الدوجانتيين ، وماخلل اللوات ، والصالونات ، أما على أرض الواقع ، فإن صمود الفاعرة القومية في أوكرانيا ، ليوغانيا ، يوغوسلافيا.. الخ لا يحتاج إلى أي تعليق . كما أن أي دراسة متعمقة سوف تكشف عن أن سياسات ، المانيا ، اليابان ، والولايات المتحدة تركّز على المعايير التقليدية للصالح القومية. البعض يمتنع غياب التضامن الأثني أو اللاتواني . فليكن ولكن ما لا يمكن انكاره هو أن القرميات لا زالت هنا .

ويجب يخلط الأمر بنا في فرنسا - يقول الكاتب- فهناك العديد من الذكريات التي تدفعنا إلى التفكير ملياً في هذه القضية. ونحن لا يمكن أن ننسى التصور السليم والأمنية التي كتبها اليسار الفرنسي قبل الحرب العالمية الأولى والثانية والمواقف المناهضة للصدام مع هتلر والتي لم تزل دون قيام الحرب. واليوم يقول البعض إننا يجب أن نكون أوروبيين لأن الصدام مع المانيا مستحيل ولأن مصالح فرنسا سوف تندمج مع مصالح المانيا ، كما لو كانت المانيا وفرنسا مستخفيان من الوجود إن كل الخط يمكن في الدعوة إلى نيل المصالح القومية الفرنسية لأنه في الوقت الذي تستغل فيه ذلك سيكون الآخرين متمسكين في الدفاع عن مصالحهم القومية. إن الخطل يمكن في المفهوم الميكانيكي والاقتصاد للتاريخ الذي يدمي أن القرميات ستزول فقط لأن هناك عربة على صعيد الاقتصاد . كما لو كانت الاحاسيس والذكريات الوطنية ستزول ميكانيكاً لأن العولة قد قطعت شوطاً كبيراً . والمشكلة الحقيقية هي أن المانجر لا تزال تؤمن بالفكرة القومية . ويتساءل الكاتب : ماذا نعمل إزاء ذلك ؟ هل نشعر لها أننا تعدينا المرحلة القومية؟ هل ننتظر بأن القرميات لا وجود لها؟ . هل نترك الجبهة القومية بزعامة جان ماري لويون تفرق الدفاع عن القومية الفرنسية وتحصد الاصرات في الانتخبات.

هذه باختصار ما تضمنته دراسة ماكس

جالو ، وهي تلخص وجهة نظر قطاع من اليسار الفرنسي خاصة جناحه الاشتراكي الديمقراطي . ولا يخفى ما في هذا الموقف من منطق التنهاز متعاقب . لقد انطلق الكاتب من مقدمات صحيحة وهي أن الظاهرة القومية لم تبق وأنه من العبث الاعتقاد أن القرميات ستزول من تلقاء نفسها بفعل العولة لوصول إلى نتائج خاطئة وهي الانغماس في الصراع القومي والدفاع عن مصالح فرنسا لأنها ورقة رابحة في الانتخبات.

الفؤاسة القائلة: التي نعرضها هي ليشيل لوي وهو مؤرخ ماركسي وأحد زعماء الأهمية الرابعة . يقول لوي في البداية ، أن المرحلة هذه الأيام هي الادعاء بأن الماركسية لم تقدم مساهمة يعتد بها في المسألة القومية. ولكن بالرغم من النقص الذي يعترى النظرية الماركسية في هذا الصدد إلا أنها قدمت العديد من المساهمات القوية حول الظاهرة القومية والتي يجب الاستفادة منها وإحضاها للخصم النقدي.

إذا عرضنا لما قدمه ماركس سوف نجد أن تحليلاته يشوبها تناقض ، حيث أنها تتراجع بين أطروحتين . الأطروحة الأولى تتركز على ولية الاقتصادية تبسيطية تتعيا إلى هولة الانتاج سوف تغطي حسا إلى زوال القرميات، كما لو كانت الاختلافات بين الأمم تتأسس فقط على الاختلاف في أساليب الانتاج . وهذه الأطروحة التبسيطية نجدها في البهان الشيوعي . والأطروحة الثانية والتي يمكن أن نجدها في كتاباته اللاحقة هي التي تقول بأن صراع المصالح بين البورجوازيات القومية سوف يؤجج الصراعات القومية بين الدول . وبأن القومية بين الدول والصراع القوي هي اذا تسيطر بها البورجوازية على الطبقات العاملة.

على أن أهم ما قدمه ماركس من مساهمة في المسألة القومية هو مبداه وهو يعني بأن المصالح لهم لهم وطن . وهو يعني بذلك أن المصالح لهم مصالح مشتركة تخفي حودهم القومية . وهذه الموقلة لها بعد أخلاقي وهو أن الهدف النهائي والقيمة الأساسية التي يجب الدفاع عنها هي الإنسانية.

كما أن لها بعداً سياسياً هاماً وهو أن الاشتراكية لا يمكن تأسيسها إلا على المستوى العالمي.

ولكن إذا كان البهان الشيوعي قد أرسى أسس الأهمية العالمية، فإنه لم يقدم أي استراتيجية ملموسة إزاء المسألة القومية . ولكن في كتابات ماركس والفيلز عن برولندا وإيرلندا نجد تأكيدهما على حق هذبت البهين في الاستقلال، وفيما يخص إيرلندا

فقد رأى ماركس أن استقلال إيرلندا هو شرط التحرر البورليجاري الإنجليزية لأن التحرر القومي للشعب المقهور يفتح الطريق أمام تحرير الكروات القومية مما يخلق اتحاداً بين عمال الأمة المقهورة وعمال الأمة المسيطرة . وأيضاً لأن سيطرة أمة على أمة أخرى يكرس الهيمنة الإيديولوجية لبورجوازية الأمة المسيطرة على طبقاتها العاملة.

أما ليشيل ، فسماحه الأساسية هي التأكيد على حق تقرير المصير للشعوب المقهورة وخروصه صراعاً سياسياً من أجل ارساء هذا المبدأ ضد الرقاقات البولنديين ، مثل روزا لوكسمبورج ، الذين كانوا ضد استقلال القوماني . ولكن يرى الكاتب أن أهم ما يؤخذ على ليشيل هو أهمله لامكانية الاستقلال التفاضلي . فالموقف الليهين يتبع خيارين فقط للأهم والجماعات المقهورة وهما حق الانفصال أو حق الاتصال . وهذا يجب أن نذكر مساهمة أوكسهاور الذي نادى أيضاً بإمكانية البقاء داخل الدولة مع الحفاظ على الاستقلال الثقافي . وميزة هذا الطرح أنه يحل مشكلة القوميات المبحرة بين الدول المختلفة. لقد استطاعت الماركسية بفعل مفهوم الماركسية أن تتجر من الفرضة الأوربية الاخرية التي تصور تحرر شعوب الشكل الحضاري الأوربي على كل شعوب العالم وخاصة شعوب الاطراف . إن الماركسية تهدد إلى الاتحاد الديالكتيكي بين الخاص والعالم مع احترام التعددية الثقافية ولكن دون تأسيسها وإثارة الانقسام حولها . والأهمية التي تلق عليها الماركسية في دعائها للأخمية هي القضاء على كل أشكال الاستغلال والاعتراخ والتهرر . وهذه النزعة العالمية للماركسية تختلف كل الاختلاف عن العولة التي تركز الوضع القائم بكل ما فيه من أشكال للقر والاستغلال.

ويحتج الكاتب قاتلاً بأن الماركسية سوف تلق هاجرة أمام الأحداث الجارية إذا لم تعطل من بعض الأوامر لهما يخص المسألة القومية العوالم التي تلبس بعض الماركسيين ، صام روزا لوكسمبورج ولويون فروتسكي هو زوال القرميات بفعل العولة . البرم الثاني هو المصادرة بين قومية البلدان الاستعمارية وقومية البلدان المقهورة وإدانة القومية بكل أشكالها . وذلك هو موقف سفاقي وهو الموقف الذي دقمه إن معارضة استقلال جرجيا عن الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٢٢ الأمر الذي اضطر لينين لخوض الصراع ضد من أجل الدفاع عن حق جرجيا في الاستقلال . وكانت تلك آخر معركة ، يخوضها لينين قبل وفاته.

الدراسة الثالثة التي نعرضها للتهليل بن سغهد وهو أستاذ في جامعة باريس ٨ وعنته العصبية القومية القوية

أزمة اليسار

والطريق إلى الجماهير

نشرت في مجلة بوليمس، ولكن لا نذكر ما سبق أن ذكرناه في دراسة لوى سوف نركز على أهم ما أضافه الكاتب.
يقول بن سعيد أن الظاهرة القومية مرتبطة بالصراع الطبقي فليس صخلة فإن أن يناهج الصراع القومي الآن في ظل التنمية على الصراع الطبقي. ومن الملاحظ الآن أن الأساس العملي للظاهرة القومية أصبحت له الغلبة حيث أن الشرعية العرقية هي المحاط الأخير أمام شرعية قومية مغرقة من أي مضمون ديمقراطي.

إن المد القومي الذي تشهده الآن يرتبط أيضا بتشويه المبادئ الثمينة وإخضاع هذه المبادئ لمصالح دول عظمى. ويذكر الكاتب على سبيل المثال التدخل الروسي في تشيكوسلوفاكيا والمجر باسم الأمة للقمع حركات شعبية كانت تناهض النظم البورقراطية في أوروبا الشرقية.

ويؤكد الكاتب على أن الصراع ضد المد القومي لا يجب أن يخلط بين قومية الأمم المسيطرة والأميرالية وقومية الأمم المقهورة التي تخوض صراعا مشروعا ضد السيطرة الأميركية، ولكن المشكلة أن الأمم المقهورة تقارص في بدورها القهر على جماعات وأقليات داخلها. ولذلك قصاص الألمان هو الدافع المطلق من حق تقرير المصير الذي يجب دعمه بلا شروط.

ولكن ما هو الفرق بين الفرق القومى والفرق القوي الأثني في البلدان المقهورة. إن موقف الثوريين هناك يجب أن يختلف عن موقف الذين يتخذون موقف العداء المطلق من القوميات الأخرى من وجهة نظر طبقية، الأمة ليست كيانا متجانسا. فهي تشكل من ومستقلين، إذن فالأخر ليس عدوا بشكل مطلق. وكما صاغها لينين براءة فإن موقف الثوريين في البلدان الأميركية يجب أن يكون المساند المطلق للأمم المقهورة في السيادة والتحرر. أما في الدول المقهورة فإن موقف الثوريين هناك يجب أن يكون التضامن مع الطبقات المقهورة في البلدان الأميركية.

إذا كانت القوميات هي أشكال تاريخية غير أزلية ويمكن للبشرية أن تتجاوزها، فإن ذلك لن يأتى بواسطة المولة الاقتصادية.

إن الصراع الطبقي هو الوسيط الوحيد الذي يمكن من طريقه تجاوز القومية إلى الأممية. فإذا تم قمع هذا الصراع فإن الساحة ستكون مفتوحة أمام الصراعات بين الدول، المستعمرات، القبايل والإثنيات، إن المثال الأثني لم يمت. ولكن ما ينهض عمله هو صياغة المشروعات السياسية من منظور أثنى وتعبئة الجماهير خلف التضاضا الأممية.

لا نتعرض هنا، لما إذا كانت الانتخابات نزيهة أو غير نزيهة. وما إذا كانت وسائل القهر والبلطجة، والسطر، والرشوة المالية، وغيرها، تنال من نزاهة الانتخابات، أو لا تنال منها. فهذه الوسائل هي تفصيلات مختلفة تحدث في بعض بلدان العالم الثالث، لعملية تشويه كبرى تحدث في بعض البلاد الرأسمالية والتقدمية. ففي الولايات المتحدة، مثلا، يسيطر رأس المال على المجتمع، ويحتكر الانتخابات حزبان رأسماليان، يستدم فيها رأس المال وسائل مشروعة، أو غير مشروعة، للحصول على أصوات الناخبين. فليس أمام الناخبين الأميركيين، أحزاب أخرى، تقبل مصالحهم الحقيقية، فيعطونها أصواتهم. وبغض النظر عن أن الديمقراطية مشروعة. سواء كنا في بلد رأسمالي متقدم، أم في بلد تابع -عنه قضية أخرى- فأننا سوف نعرض هنا للعلاقة بين اليسار والجماهير بمناسبة الانتخابات الأخيرة.

د. خليل حسن خليل

أولئك الذين ترطهم بجماهير الناخبين روابط حميمة. أولئك الذين تسللوا إلي وجدانات الجماهير فحاربت معه وزارتهم. لا جدال إن النائب من هؤلاء كان على اتصال وثيق مسرر بالمواطنين في دارته. وكان ينهض يهز. مع نبض الجماهير نفس واحدة، هي المبادئ التي تقرم عليها هذه العلاقة: الممارسة لوحشية رأس المال، وللقتصاد، وللظلم الاجتماعي، والانتصار للديمقراطية وحكم الجماهير، ووقع معاناتها، والغاء استغلال الإنسان للإنسان. هذه المبادئ وهذا التواصل. وهذه العلاقة النابضة بين النائب والناخب وجماهيره. هي سرها النجاح. وينتهي على ذلك أن هذا التواصل الحميم لمبادئ اليسار إلى الجماهير يجعلها مستعدة للتضحية في سبيل قيادتها،

اليسار لا يستطيع أن يصل إلى الحكم إلا عن طريق الجماهير. فالجماهير وسيلته وغايته ومع ذلك فقد أثبتت الانتخابات أن الصلة بين الجماهير وبين قوى اليسار ليست حميمة وفاعلة، بالدورة التي يجب أن تكون عليها. لقد فاز في الحركة خمسة نواب من حزب التجمع، ونائب من الحزب الناصري. ولذلك تكون قوى اليسار قد حطت بسعة مقاعد فحسب من بين أكثر من 440 مقعدا.

ولا ريب أنه من ناحية، يمكن أن تعتبر أن هذا انتصار طيب، وسط معركة دارت في غابة، ولم تدرك في وسط متحضر يزد للديمقراطية. أزاء هذه الوسائل البدائية التي استخدمت، يعتبر هؤلاء الذين فازوا من اليسار إبطالا، انتصروا في معركة بالغة الشراسة.

ومع ذلك، يجب أن نقضى في تحليل الظاهرة. لا نزاع في أن الذين فازوا كانوا

وان تكون موزعة جغرافيا ، وليست مقصورة على القاهرة.

٣- ميثاق عمل: لما كانت الدعوة الاشتراكية هي صلب الدعوة اليسارية، يجب ان يعد ميثاق اشتراكي يمثل وجهة نظر الفرق الملتزمة . وليس من العسير الوصول إلى صيغة مشتركة تشمل الحد الأدنى الذي يقره به الجميع بعيد التجربة التاريخية التي ادت إلى سقوط الاتحاد السوفيتي، وآل كثير من ثقل الخلاف بين الأحزاب أو الفرق اليسارية: فالحدث المركز حول الديمقراطية ، وسيطرة الجماهير القادمة ، والمسئلة للأغلبية ، على المؤسسات السياسية ، ومؤسسات الانتاج والساح بالقطاع الخاص ، والملكية الخاصة ، إلى جانب القطاع العام والملكية العامة . على الأقل في مرحلة بنا .

الاشتراكية، والنظرة المبركة والمتقدمة للأديان . وأدخل فكرة السقوط في الاقتصاد الاشتراكي . وهي فكرة ليست جديدة على أية حال، كل أولئك وغيره ، يجعل من فكرة الاتفاق على ميثاق اشتراكي مرصدا . أمرا ليس عسيرا . ولأنه من أبرز أفكار الاشتراكية في الميثاق المشترك . وكذلك في ميثاق الأحزاب الفردي . فالمر لا يخطئه الشبه . بأن ميثاق الأحزاب اليسارية ما زالت متأثرة بالسقوط السوفيتي . فما زالت كلمة الاشتراكية ، تزد فيها على استعماله . والواقع انه من دين أن تتخذ الاشتراكية مكانها في ميثاق تلك الأحزاب ، وفي عملها ، كما كانت إبان أوجها القوي ، فإن اليسار يملك اهم مبررات وجوده ، واليسار هو الاشتراكية، ولاشك في.

وقد رأينا انه حتى الأحزاب الاشتراكية ، التي كانت حاكمة في شرق أوروبا ، وطاحت بها الأزمة ، بدأت تتحضر من جديد ، لاسترداد نظامها ، بعد ان عدته ، وإفادت من دروس التجربة.

اما نحن فنؤمن بالاشتراكية ، سقط الاشتراكيون في أوروبا ، أو استبقطروا من جديد . نحن نؤمن بالاشتان والمبادئ الاشتراكية ، التي ندعو إليها . لأنها النظام الذي يلقى التق والظلم والتخلف والمهانة ، واستغلال الانسان للانسان ، تلك الميراثات التي نرثها الإنسانية على البشرية . يجب ان تكون الاشتراكية واضحة المعالم في تفكيرنا وسلوكنا ، وفي ميثاق القوى الاشتراكية الملتزمة . فليس لها بديل على حتى الآن ، الاشتراكية العلمية تميز احزاب اليسار عن الأحزاب الأخرى البرجوازية ومصطلحات مثل «الاشتراكية» . والوقوف في صف محدودي الدخل ، «والعطب» على «القطاع» «الرونتية» وغيرها عبارات عامة تعميها تلك الأحزاب والفرق السياسية الأخرى.

حق الاجتماع في الشارع قضية أولى للتضال



سامي حافظ



رashed سيد

جهنا طريلا مثابرا ولا يمكن ان نتنع الجماهير بالاشتراكية والعمل الموحد ، ونحن مشعرون . التردد أو التجمع يجعل لنا مصداقية قوية ، ويكتسب من أداء هذا الدور الصعب . لاسيما ان القوى المختلفة المضادة للتقدم، متجمعة وموحدة ومنظمة وتدين كلها بالولاء لرأس المال . سواء تلك التي تستخلم الأديان ، أم أولئك الذين يمارسون السلطان .

٢- الاتصال الوثيق بالجماهير لسا في حاجة للقول بأن الاتصال بالجماهير ، يجب ان يكون قائما اساسا على مبادئ اليسار . ولا يمتد ذلك ألا تكون هناك مشاركة في المسائل الشخصية الأخرى للناس ، فهذه جزء من الحمسية التي تحدث عنها . والاتصال فقط عن طريق الصحافة

الحزبية ليس كافيا . فتحن نمشي في مجتمع نقشاه الأمية ولو تحققنا من نسبتها بين السكان، لرأينا فاجعة من الفرواق الاجتماعية التي تهيأها . ولذلك

• يجب أن نفكر في صور من الاتصال المباشر . سواء بدعوة الجماهير إلى المقار الحزبية ، وهي متواضعة ، أو بالذهاب إليهم في محل اعمالهم وجمعياتهم ، كالتقائات العمالية . والتقائات المهنية ، والتراودى والجمعيات الأهلية المختلفة.

وليدأ بفكرة بسيطة ، ربما تكون اختيارا لقرارات المعارضة كلها ، وليس اليسار وحده . هي ان تتخذ من حق الاجتماع في الشارع ، باقامة سرادقات جماهيرية، قضية أولى تتاحل لتطبيقها وهذا حق شديدا بهي ، لدى أي نظام يقول بالديمقراطية . وهناك وسائل أخرى معروفة ، مثل: اصدار نشرات . عمل ندوات ، ومظاهرات .. وغيرها . تدعى لها الجماهير ، ولا تقتصر على صفة . غير فاعلة بدون اسهام الجماهير معها . وتكون هذه النشاطات منظمة ومستمرة ، ومخططة ، لايقاظ وعي الناس ومصلحة خاصة في حالة التغيير السياسي .

والتمسك بهم ومناصرتهم . ولا ريب ان الأحزاب اليسارية تهذب جهودا كبيرة لمكافحة القوى المضادة للتقدم وللديمقراطية ولكن هذه الجهود يجب مواصلةا ، وتنظيمها ، واستمرارها ، حتى تؤتي أكلها . لقد قدم حزب الفصح مثلا اربعين مرشحا فحسب للحركة الانتخابية . وهو عدد أقل من عشر المجلس . صحيح ان الحزب كان واقعيا . ولكن خطته طويلة المدى يجب ان تهدف لتغطية الدوائر الانتخابية كلها . وزعم الوسائل غير المشروعة المستخدمة في الانتخابات ، فقد ضرب لنا الاطبال الحسنة الذين فازوا - إلى جانب زميلهم الناصري- مثلا ، أثرا فيه انه يكن التغلب على كل ما هو غير مشروع . ودعينا ان ندرس ماذا صنع هؤلاء الاطبال . وأنا اعتقد ان صلات الرد ، التي تربط بينهم وبين جماهيرهم، والقائمة على مبادئ الديمقراطية والعدل والتقدم ، هي التي تعطل فعلها ، واضاعت الطريق أمامهم في معركة الظلام التي خاضوها.

ولعل جميع اليساري في جهة واحدة يقدم لنا حلا لمشكلة الخطئية الكاملة . للنواتر الانتخابية جميعا . وهذه بعض المقترحات التي نرجو ان يبحثها اليساريون ، حتى يمكن ان تمان في تحقيق انتصارهم:

• جمع القوى اليسارية اليسار في مصر- دعنا نتحدث في صراحة ، ولكن تلك الصراحة نقلا ذاتيا -«اليسار مجزء تجزئيا غربيا ، يتأثر مع النشاط التنضالي تائثا كبيرا والقوى اليسارية الثلاث هي : الشيوعيون والتجمعيون والناصرين . ويوجد إلى جانبهم اعداد هائلة من الافراد اليساريين ، من المثقفين والكاكسين ، مما يمكن أن يعب عنهم «باليسار الصامت».

وعلى الاتصال بالجماهير عملية ليست سهلة ، في الظروف التي نعيشها . وتتطلب



يوسف درويش وزوجته في إبريل ٩١

يوسف

درويش

العشق من أول نظرة

«دفاعاً عن الاتحاد السوفييتي».

.. وتحدث ملامحه ..
ولدي.. كأغلب المصريين ..
متحمس للقضية الوطنية في إطار ديمقراطي تقدمي.
وعندما مات سعد زغلول انغمس عميقاً في صفوف المشيعين ، وطل لشهر كامل يرتكز بذله سوداء .. ولعام كامل كرائته سوداء..

منتهى العشق.

وشمة معشوقة ما أن تلح طيفها حتى تفتزع خاطرك الأولى نحوها بخطورتك الأخيرة ، فتظل طوال حياتك معلقاً ومتعلقاً بها.

كانت أحوال مصر والعرب تقلقه .. وفي تولوز (عام ١٩٣٩) حيث عرب كثيرون أسس هو وعدد من الطلبة المصريين منهم حامد سبطان» ونها» الدين كامل (والد

الثانية (الفرير) أثنى في الجمعية الثقافية محاضره حماسية عن الثورة الفرنسية أغضبت المدرس المشرف على الجمعية واتهمه بأنه وثوري» . ولهذا أسرع هو ومجموعة من الطلبة منهم حامد سبطان (أستاذ القانون الدولي فيما بعد) و(أحمد يدرخان) المخرج السينمائي وعضو الحركة المصرية للتحرر الوطني فيما بعد) .. بتأسيس جمعية تدفعية بعيداً عن المدرسة. لكن إدارة المدرسة لاحتهم بحفرة الطلبة من الانضمام إليهم.

وتبدأ أول خيوط العشق عندما يطالع مجلة اسمها «علم مصر» وهي مجلة مصرية كان يصورها بالفرنسية أحمد وائد .. لتتحدث بنكري تقدمي عن الحريات وحقوق الانسان ويقرأ فيها مقالاً مبهرًا ، يشغل باله طويلاً عنوانه

يحصل على قسط مهم من «الفرير» بالخرنقش (١٩٣٩) «الكلية الفرنسية» بالظاهر (١٩٣٠) حيث حصل على البكالوريا . ثم إلى فرنسا حيث حصل على شهادتين ، شهادة الدراسات التجارية العليا ، وليسانس الحقوق. ليمر في ١٩٤٣ فيعمل محامياً بالقضاء المختلط الذي كان في قمة ازدهاره . وليحصل بعد ذلك على ليسانس الحقوق من جامعة قاروق (الاسكندرية) في عام ١٩٤٤.

وقبل أن يسافر إلى فرنسا كان طالباً يثير الانتباه بحماسة .. وحتى وهو صغير زاحم الجموع المتزاحمة في محطة مصر لاستقبال سعد زغلول عند عودته من المنفى. وحتى وهو في المدرسة

الاسم: يوسف موسى
درويش
تاريخ الميلاد: ١٩١٠-١٠-٢
نقط: المهنة
محام - محترف ثوري.
الاسم الحركي: -
الحديثي.
الاب حرفي مصوغات
ماهر .. افتتح ورشة صغيرة لصناعة المصوغات وبيعها محل . وبدأ وبدأ أصبح من كبار تجار الصاغة.
الاسرة اقترنت ومنذ زمن من تلك المساحة التي يشغلها والأعيان» القترسطن ، فأعد أقاربه مراد ملك فرج كان محامياً للندوي عواس الثاني ، وله مؤلفات قانونية وأدبية عديدة بومن أقاربه أيضاً داود حسني الموسيقار المشهور.
وهكذا استطاع الفتى أن



د. رفعت السيد

د. صبح كامل بهاء الدين) وجمعية الطلبة العرب» .. وفيما يحاول القراءة كعادته في تاريخ الثورة الفرنسية .. ويطلع بشدة عدداً من كتب الماركسية اكتشفت الدهشة المبهره إذ شارك في كثير من المظاهرات والمؤتمرات المعارضة للنازية كنزعة عنصرية معادية للديمقراطية .. وهناك استمع إلى خطابات ملتهبة للحماسي الفرنسي الشهير «مورور جيهالوري» الذي كان يتهمها للدفاع عن جورج «مهوروف أمام محكمة تورميرج .. وتتهادى أحاديث عديدة عن «مهوروف والشيوعيين. ثم تتلفق أحاديث أخرى في منزل ألماني شيوعي هارب من نير النازية، كرس كل وقته لشرح الأفكار الماركسية لطلاب وشباب المدينة .. وفيما كان

«هورفر» القهوجي الألماني يشرح بأسهاب النظرية الماركسية .. كان القهم يتحول قناعه، والقناعة تتحول عقفاً ويصبح القتي ماركسياً .. وساعده صديقه شيوعية يحضر كستيم في بعض اجتماعات إحدى خلايا الحزب الشيوعي الفرنسي .. ثم يبدأ العمل الديمقراطي اليساري بأن كونه وعده .. من الطلاب الفرنسيين لجنة الطلبة اللاشعبي والحزبي». وفي عام ١٩٢٤ عاد إلى مصر مثقلاً بشهادتين، وبحق لا ينتهي. عشق بلغه حتى للتحدى. وفيما كان يزور مع جماعة من أسدقائه ناديا إيطاليا .. انتهى الحق الرافض .. ثم وقف الجميع إجلالاً لنشيد الشباب القاشي .. الجميع وقفوا إلا هو .. ألح عليه أسدقاؤه تقاديا

للصدام أن يقف، مشرقته منتهه .. فظل جالساً .. بعدما ضربه بعنف .. وسطره عبر الصالة حتى الشارع. ولم يندم. الآن مشرقته تطارده . لابد أن يقلع شيئاً .. الأمر في مصر مختلف .. ومعتقد .. وسبع عن «جماعة أنصار السلام» .. بحث عنها متوجلاً في وسط البلد .. حتى عثر عليها في شارع شريف انضم إليها .. هناك التقى لأول مرة بأصدقاء عاش معهم صداقة طويلة .. بول جاكوف دي كوسوف، ودوقون دويك، ثم بعد ذلك صادق سعد .. وهناك كان أيضاً أجنب عديدون .. ومصريين منهم عبد الرزاق السنهوري وقاطنة نعمت راشد، وعبد الوهاب المشاوي.

.. ومن جماعة أنصار السلام» تبدأ تطفة الانطلاق .. والانتها في المشق الأبدى. .. عام ١٩٣٦ وصلت لجنة عصبة الأمم المكلفة بالتحري عن رأي الشعب المصري بشأن مشاريع تقسيم فلسطين .. يلجأ هو ودوقون دويك ليتحدثا رافضين مشاريع التقسيم ، مطالبين بفلسطين وثنا موحداً لابنائها. « في ذات العام يحضر وفد الثوار الفلسطينيين (موسى الحامدي وأحمد الحسيبي) يذهبان أيضاً لبعثنا مساندتهما.

« عندما اشتملت الحرب الاسبانية كانوا مع الجمهوريين .. بساندون .. يصعبون التبرعات. يعتقدون المؤقتات .. وسافر إثنان من الجماعة للحرب .. مع الجمهوريين أحدهما مصري اسمه مصطفى والاخر يوناني. « نظمت الجماعة لقاء بين نهرو ومصطفى النحاس (عام ١٩٣٧). تم اللقاء في مطعم كورسال بشارع

الأفني. « ابتداء من عام ١٩٣٥ بدأ يسحر بوجود تنظيم شيوعي متعدد الجنسيات .. وبدأ يحضر جلسات لجمعية محدودة جداً يرأسها بول جاكوف لدراسة الماركسية. « في عام ١٩٣٦ كلفته الجماعة بأعداد دراسة عن تاريخ الحركة العمالية المصرية .. وانغمس لفترة في إعداد هذه الدراسة. ثم تشعلت الحرب العالمية وصبح الحديث عن السلام بلا قيمة .. وقررت الجمعية ان تتحول إلى مجالات ثقافية، وتكررت في ذات المقر «جماعة الدراسات» .. حيث ألقى هو فيها محاضرة عنوانها «تدفق رؤوس الأموال الأجنبية إلى مصر في أواخر القرن ١٩».

العشق تضالاً .. رويداً رويداً تنضج المشق .. وتضج معه المدرس التي كانت تدرس الماركسية وينضج الوضع للصل المستقل. انفصلت مجسرة من ثلاثة «هورف» «دويش» «وصادق سعد» «دوقون دويك» .. لتصل مصرها، وباستقلال عن الجمعية الأجنبية. هؤلاء الشبان يحتاجون إلى الانغماس في بحر الشعب. تكررت «جماعة شعر الثقافة الشعبية» عام ١٩٤١ .. والهدف من محر الأمية وتعليم اللغة العربية والحساب والتاريخ .. الفرع الأول في المنزل ٧ سكة جلال الملك أمام (حرس فايد) (انه نفس مسكن هورف «دويش» .. وزوجته إقبال ثم الفرع الثاني بالسبتية شارع ورشة القطن ، ثم فرع ثالث يحاربون به الاكتراف من القلاطين في مبيت غمر .. وفي طنطا فرع رابع وفرع آخر في بلدة أبو صير الملقي. وترك الجماعة ..



ونشاطها التطوري كي تصبح
تنظيماً شيوعياً .. لتتعلق
بخط العاشق .. محارلين
تبعه.

كان اللان يقتربون .
هم في المليون . ومظاهرات
في القاهرة تهتف تقدم يا
روميل . دخان كثيف وملت
للنظر يصاعد من السفارة
البريطانية التي كانت تحرق
أوراقها خشية أن تقع في أيدي
العدو . كثير من الأجانب
المعادين للفاشية واليهود
يقادرون مصر خرقاً . هم
الثلاثة أصبحوا معروفين
بانتماهم الشيوعيين .. وهذا
وحده يكفي كي يقرهم
النازي . اجتمعوا . ذروا الا
يقادروا مصر . ان يستمروا في
المقاومة السرية . القوا بحساب
. وضعا خططا قد تهدد الآن
ساذجة للمقاومة السرية . وقرا
لكن اللان دحروا . ولم
ياتوا .

اسم في نشاط لجنة
نشر الثقافة الحديثة . واستأجر
رخصة . مجلة «الاسبوع»
ليصدرها باسمها .
انتمى مع الحركة
العالمية . وضعه كمحام
مختلط . وبالغربة مكته من
ذلك فالمال هم طرف
الصراعات القانونية . أمام
المحصر أصحاب المصانع . وهم
في الأغلب الأعم أجناب ..
ومن ثم تضايهم ترفع وتنظر
أمام المحاكم المختلطة .

التقى عبر هذا النشاط
(كمحام . ثم كمتر في جمعية
نشر الثقافة الشعبية) بعدد من
القيادات العالمية: محمد
يوسف البرك . محصور
الحسكي . طه سعد
عتمان . ومعهم أسس «لجنة
العمل» للتحريض
القمري بالنز . أصدرت
مجلة «الضمير» وكان يكتب
فيها مقالات - موقفة
باسم «محور خيري» .
تلقاها أصدرت
«المجرعة» . مجلة «البحر
الجلهد» التي أحدثت ضجيجاً
في الحياة الثقافية وكتب فيها
باسم «حسن زكي» .

مع تدهور أوضاع
الميشة .. وتغير الاضرابات
العالمية قام مع رفاقه بإرسال
مشور حياشي بالبريد إلى
٢٦٧ نقابة منتشرة في أنحاء
مصر يحمل شعاراً حماسياً
«كونوا لجان الاضراب» .
كونوا صناديق
الاضراب» .

**أكتمال دائرة
العشق**
.. تجمع العلاقات
والنضالات والاتصالات في
إطار جمعيات علنية لكن
صنفي يشن حملة مسهورة
(أيلول ١٩٤٦) على كل أوجه
النشاط الملتى . ولم يبق من
متاح سرى العمل سراً .
وابتداء من أغسطس ١٩٤٦
تبدأ الترتيبات لتشكيل تنظيم
سرى .

وفي سبتمبر التقى
المؤسسون (سبعة أو ثمانية) في
مقهى غريستو بإشراف الهرم
ليقرروا تأسيس تنظيم سرى
أسمره «الظليمة الشعبية
للحرور ط . ش . ت» . وأعد
يوسف «دروس» «لجنة التنظيم»
.. كذلك تم إعداد برنامج ..
ورفاق المجتمع على الوثائق ..
وانتخبوا يوسف «دروس»
مسئراً للتنظيم . وفي البداية
كان أعضاء التنظيم حوالي ٢٤
عضواً . وبعد الاجتماع تم ضم
٥٠ عضواً ليصبح العدد حوالي
٧٥ .

بعد إغلاق كل منافذ
العمل الملتى . تم تأسيس
ومكتب الخدمات
الثقافية ليصبح عديداً من
الكتيبات الإرشادية للعالم
والنقابات منها «دليل
النقابات» . «تشريعات
العمل» «قانون إصابات
العمل» .. «واضراب
عمال المحلة الكبرى» .
وكان هو الكاتب لأغلب هذه
الدراسات الإرشادية .

وفي مايو ١٩٤٨ تعلن
حرب فلسطين . وتعلن معها
الحكام العرفية .. وفي نوفمبر
١٩٤٨ يقبض عليه .. ويرسل

إلى المعتقل .

وفيما هو في المعتقل
وضعت إقبال المرويدة الثانية
(الاول ابنه مجاهد) واعتبرتها
هدية تركها الاب قبل ان يعقل
ولهذا استهنا «نولة» .
لم أزل حتى الآن أذكر هذا
الرجل الكبير كنت أنا مجرد
طفل في الخامسة عشرة التي
يلبس الشورت الكاكي تاركا
صدره عارياً كأنما يتحدى الجميع
والذي يتطلق هادراً في
مناقشات حامية حاولت عبثاً أن
أنتقمها أو أن أتفهم بواعثها
مع رفاق النقابات الأخرى
.. وذات مرة سمعته يقول بحسم
حاسم «نحن نتكلم لغتين
مختلفتين . ولن نلتقي أبداً» .
وقلكتني دهشة لن أسأها .
لكن كان هكذا طوال فترة
وجودي معهم في معتقل
هايكسب .

في نوفمبر ١٩٤٩
أفرج عنه (على إثر حملة من
رابطة المحررين الديمقراطيةين
العالمية) .

وفي ١٩٥٠ يفرج عن جميع
الزناج . وتتعدد اللجنة المركزية
لتقرر أن يترك مكتبه (تتأزل
عنه لمصطفى كامل منيب
الحامى) وأن يفتنى «دروس»
لكنه وقيل أن ينته عام
١٩٥٠ يقبض عليه وحكم عليه
بالسجن ثلاث سنوات .
محكمة النقض ألغت الحكم
وأحالته إلى دائرة أخرى
أصدرت حكماً بالبراءة . ولكن
بعد ان أكملوا مدة العقوبة .
في هذه الفترة من السجن
.. استحق مع رفاقه لقب
«المهدي» .. الذي أصبح
اسمه الحركي وتواصل اللقاء
.. وتواصل السجن . ويبقى
العشق قادراً على الصمود ..
وقد رحلة الطاء .. هنا
ثم الجزائر ثم براغ ثم هنا ..
كما دام العشق باقياً يبقى
النضال .



الصحافيون في معرض الكتاب

في معرض الكتاب

عن الادباء والمفكرين يتضمن بيان اسماؤ الشوايح التي عاشوا فيها .. فوافق الرئيس قروا على أن يتولى كامل زهيرى تنفيذ هذا المشروع!!

أما لطفى الخولي فقد تسف قامة فكرة المراجعة أو حتى الحوار مع الدكتور اسامة الهاز بنى اصرار على تقديم مونتولوجه هو حول (ثقافة السلام) مشيراً إلى أن الصورة التقليدية للمعرض آخذة في التآكل لأن فكرة المضاء التقليدي تتآكل وتحتل محلها الصراع الحزبي والعنكولوجي... بينما أكد اسامة الهاز بان مفهوم ثقافة السلام حال أوجه، وهو يعنى من وجهة نظره التعاضل مع الآخر وليس إعادة تشكيل الوجدان العربى.

مشكلات الكتاب الغائب

ويذكر إن معرض القاهرة هو ثانى أكبر معرض للكتاب فى العالم بعد معرض فرانكفورت الدولى .. ويرغم انها المرة الأولى التى يعقد فيها معرض القاهرة بالتنسيق والتعاون بين هيئة الكتاب واتحاد الناشرين المصريين، فقد طلت مشكلات الكتاب هي أقل القضايا تناوذاً فى ندوات وأنشطة المعرض... لم تتم ندوة واحدة حول الكتاب سواءتعلق أسماؤه بأزمات الورق، والتسويق، والطباعة أو حقوق المؤلفين

بلدت الأسباب الرسمية المملنة عن تأجيل المعرض وتقليص مدته إلى ١٠ أيام فقط، والمحاصة بتعارض توقيت المعرض مع اقتراب شهر رمضان .. بلدت أسباباً وأهمية أمام ما ترده فى الحياة الثقافية من ارتباك المناخ السياسى بعد نتائج انتخابات مجلس الشعب بوعلم قدرة الدولة على احداث مناقشات مفتوحة داخل معرض الكتاب، لا بد وان تشترك مع كل احداث التوزير والعنف بالدوائر الانتخابية... وهنا يصبح غياب هيكل من معرض هذا العام تأكيداً لهذا الحرف وتلك الهشاشة السياسية، خاصة وان اصداً لقاء هيكل بالمعرض السابق، لا زالت مزعجة داخل مؤسسه الرئاسة.

ولعل المنهجية التى اتبعها المشورون عن تذكوات المعرض هذا العام تشير إلى ذات الفزع والهشاشة السياسية.. فالمعرض الرئيسى حمل عنوان (نحن والعالم) والحوار الفكرى المفتوح بين الجمهور والمسئول السياسى فى المعارض السابقة، تحول إلى نوع من المناظرة أو المواجهة بين طرفين على منصة واحدة، دون حق لجمهور الحاضرين بأية مشاركة حتى يطرح السؤال..

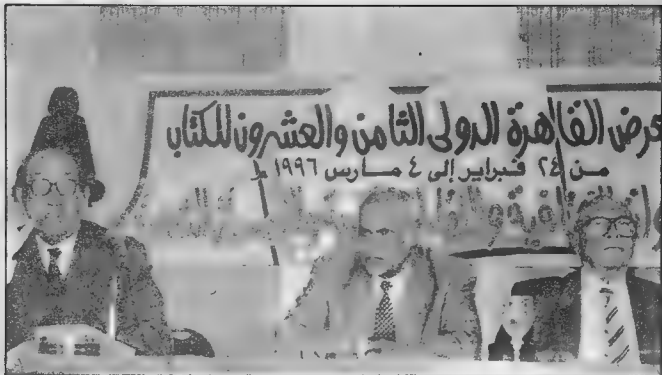
هكذا بدأ كامل زهيرى مواجهته للاروق حسنى وزير الثقافة باعتراض على بشعوره بخسيف خاصر تجاه الفنانين التشكيليين وهو ما انتهى ايضا بطلب كامل زهيرى من وزير الثقافة إصدار سجل توثيقى

للمرة الأولى منذ عشر سنوات لم يفتتح الرئيس حسنى مبارك معرض القاهرة للكتاب هذا العام... ودون أسباب واضحة اكتفى الرئيس بتبريرها بانها مجرد كسر للروتين الثابت طوال عشر سنوات!!

ومن يأنه كسر الروتين أيضاً، التلى الرئيس بعدد محدود من الكتاب والمثقفين فى القاعة الرئيسية بمكتبة القاهرة بمناسبة مرور عام على افتتاحها .. يرغم أن المناسبة السنوية هي افتتاح معرض الكتاب الامر الذى اصاب سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب باكتئاب شديد، خاصة ولم يسمح له بالجلوس على المنصة إلى حوار الرئيس!!

وحين يادورته متصائلة: لماذا تم تهيش المعرض هذا العام؟ أجابنى سمير سرحان متفكراً: هل غياب هيكل يعنى تهيش المعرض، اليسار فقط هو ما يره مثل هذه الحكايات فالمعرض ناجح لأمأ، لم يخطئ أحد من المشاركة فيها.

وإذا كان غياب هيكل عن المشاركة فى ندوات معرض هذا العام سؤال له دلالات أهد من مجرد استضافته... فان أسباب خسيف وانكياش دورة المعرض هذا العام كثيرة ومختلفة فلم يهتم أحد لماذا تأخر المعرض عن موعدة الدائم فى يناير من كل عام .. يرغم أن قيمة أى معرض دولى تكسب من تقييت مواجيد على الخريطة العالمية.



خالد محيي الدين وعبد العظيم النيس ومحمد سيد أحمد في ثلثة المثلثين والدولة

مع اسرائيل وكيفية الاستفادة من السلام معها .. والتي اضطر بعد هجره (الصحافة المصرية عليه إلى التراجع عنها).

مكثا تحول الفنانين إلى زعماء سياسيين ومفكرين بعد أن تقييد الكتاب والمثقفين والشعراء عن المشاركة. لم يحضر محمود درويش وعبد الوهاب البياتي، واصيل حبيبي، واعتزاده ونوس وژوار قباني ما اضطر سمير سرهان إلى اعلان عدم توجيه الدعوات اليهما في السنوات القادمة. لكن الغياب والاعتقالات شملت أيضا الشعراء المصريين الذين رفضوا بشكل احتجاجي المشاركة في برنامج الاسمييات الشعرية بعد تقسيمها إلى شعراء (فكرة اولى، وشعراء (فكرة ثانية) (أصحاب وشعراء (شورف) وشعراء (أصحاب بيت) .. وبعد ضم قائمة التجرم الاستدراضية إلى صفوف الشعراء، حيث تقدمت الفنانة (رفده) كشاعرة اسم محمد عفيفي مطر. وتقدم شعراء التلفزيون من الذين اسما العديد من الشعراء الحقيقيين .. وكان ان اعتذر عن المشاركة أحمد عبد المظني حجازي. عفيفي مطر، حسن طليح، أحمد سويلم، هيد المنعم رمضان، طليح سالم، سمير هيد الباقى، محمد قزيع، أبو سميدة، أحمد عتق مصطفى، وقامت سلام، محمود نسيم وآخرون.

عبلة الرويني

ندوة حول مسلسل (تصف ربيع الآخر) على الحجار وأحمد الحجار وعزوه بلع وطارق فزاد في أسيات غنائية .. أما مفاجأة المعرض التي انتقلت على رأس اصحابها فهي لقاء عادل إمام الاول بجمهور معرض الكتاب .. والذي هن به اصحاب المعرض إمكانية تعرض غياي بهكل بكل حضوره الجماهيري عن المعرض. قدم سمير سرهان عادل إمام «هاته رمق من قوى التمثال المصري، وصاحب المواقف الوطنية موضع حياته على كله وذهب إلى الصعيد لمعرض مسرحيته لهيئت أن الفن والفنان اقوى من الارهاب وليستحق لقب الزعيم».

ما لم يذكره رئيس هيئة الكتاب أن عادل إمام ذهب إلى الصعيد في حامية الامن لمعرض مسرحيته المبتللة «الراة سيد الشال»! ولأن عادل إمام قادر على لعب كل الادوار فقد صنف كلمات رئيس هيئة الكتاب، وراح يعلن أفكاره السياسية الركيكة والتي انتهت بكمالاته المثيرة حول الطغيان

والرسوم المجرمة، والتزوير وسرقة الكتب. الناشرون فقط هم المجادلون بمشكلاتهم واحتجاجاتهم .. حيث ارتفعت اسعار تأجير الاجنحة بنسبة تزيد ٢٥٪ عن العام الماضي وهو أمر لا ينكره المسئولون بهيئة الكتاب في إشارة إلى أنهم مجبورون على الزيادة منذ أن رفعت هيئة المعارض رسوم تأجير السرايات لهيئة الكتاب بنسبة ٦٠٪ دفعة واحدة عن العام الماضي.

ويصرخ الناشرون أيضا من نسبة الجمارك والضرائب المقررة على الكتاب الاجنبي المستورد. بينما في العالم كله الكتاب المستورد يعفى من الضرائب والجمارك - ويعد الناشرون نسبة الجمارك والضرائب ٥٪ جمارك + ٣٪ خدمات + ١٪ تحت حساب الضرائب + ٢٪ مصاريف إدارة. والنتيجة دائما هي ارتفاع سعر الكتاب وانحسار حركة البيع دون أن يستفيد أحد.

عادل إمام زعيم سياسي وفي محاولة استهلاكية مرتبكة هدفها سرقة الجمهور بعيدا عن أى محتوى ثقافى خاص بمعرض الكتاب .. أمثلا المعرض بتجريم السينما والمسرح والتلفزيون. يصرأ وصليحة العمري يتحدثان عن الرومانسية في السينما. يحيى القحطاني .. في

إشارات



صباح لزوج . لم يفرق له عصفور . ولم تفصل قطرات الندى فيه حلقة المدى . أنهض بلا رغبة . يطالمنى نفس الوجه الجبىرى . على نفس المرأة المشروخة . الماء الراكد فى الحوض المسدود . أخضر لونه . أبصق فى داخلى . للمرة الكم . سمعت أذان الفجر . ولم أصل... ؟
خز جاف . وسجائر . وطعم الملح على جرح مفتوح . الاسفلت صموت جدا . يتلقى ضربات خطوى على وجهه بلا شكوى لفراغ الشارع هذا الصباح . صدى جديد . دقات قلبه على الاسفلت تتضخم ولحموتى . أدوخ كما فى كل يوم من الالتفات خللى أخمن طوله . شعره الزاحف للخلف . عينيه الضميتين . خلف نظارة اطارها أسود .. . فى المستشفى . جاءت الممرضة باهتسامتها . بوالشاش الساخن مضبوط السكر تماماً . التصقت بى أكثر من مرة بلا داع فحكيت لها عنه . سيره . خللى فى كل يوم . اختفاته متى كلما نظرت .. . الممرضة انتصحت بسرعة الى الباب . نادت على أول حالة لتدخل . ولم تمد تاتى باهتسامتها . ولا بالشاش ساخنا . بعدها كنت أرى تقارب روسين فى الفرات . تهامين . كلما مررت المرأة النحيلة . رفعت طرف طرحتها السوداء . غطت بها فمها . وقالت : أنه يصرخ طوال الليل . يحك جلده حتى يدمى . أنكرت أنها أو بقيه اخوته يهرشون مثله .. . على بطن الولد . تمددت الروس الصغيرة السوداء . وآثار الهرش الدامية المرأة كانت تدعولى . تعلقت عنها بهدى . تنهر لك بسرعة على الورقة .

حاولت خطفها تلبسها . وأنا أناولها الوروشة . أبعدت يدى . طلبت منها أن مجلس . فرغصت بجانب الحائط . أشرت بالخاح الى الكرسي أمامى . رفضت . حكيت لها عن أسنلتى . التى أحفظها . أكرها دائما . أنتظر لما يبعثنى . أسأله . ويحبب . المرأة مصصت شفتيها بوقالت : لاحول الله . باضناها . سمحت الصغير . نظرت مرة أخرى قبل أن تخرج من الباب . مضت .. .

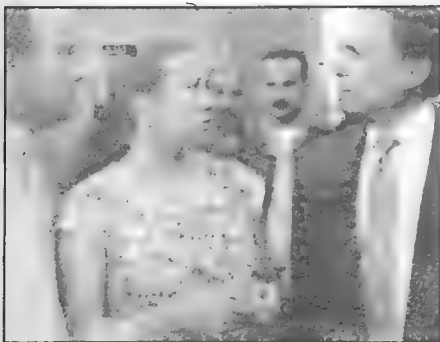
فى المساء . ترمت بأغنية قدبه شجوة . دخنت السجارة لأخر نفس . كنت أشعر بألقة لدخل العمارة . وجه البواب الأسمر . أدت المفتاح فى الباب . وجدت النور مضاء . وفى الغرفة الوحيدة أمامى مباشرة . على الكرسي الوحيد . كان . مجلس . يضع ساقا على ساق . يديه فى جيبي ينظرونه الرمادي . قميصه الاسود مقطوع زواره العلوى . ونفس الوجه الذى يطالمنى صباحا فى المرأة . لم أفزع . بوتلقيت ابتسامته شبهين عميق . دخنت بطء .. . على حافة السرير جلست . كان الان يقابلنى بالجنب . عيناه تعبران باب الغرفة . الشقة . الشارع . تخرق العمارة العالي أمامنا . تملق فى الفراغ .. فجأة اعتدل فى مراجعتى قاما وكانت إشارة اليد .. أعدت كل الاسئلة . لم أنس شيئا . وكان فقط بهز رأسه بعد كل سؤال . بهيمس . فأكمل حتى انتهيت . صمت تماما . أنتظر . عيناه مسطحة على . ولا ينطق . بدأت أضيق بصمته . والهرأ . فى الغرفة يتقلص مزاد انطباع الجدران الاربعة على قصصى الصدرى . ففزت اليه أهز . بعنف . فزعت لما أشار الى قدم . أخرج أصواتا محشرجة . التصقت بالحائط . فجأة انتفضت قهقبيى الجلدية . أخرجت قلما وأروانا كثيرة . وضعتها أمامه . تنهدت بارتياح . نظر الى باسى . أخرج يديه . وفمها أمام عيني . كانتا مرتعيتين . نصيرتين . وبلا أصابع . بانورت جالسا على البلاط العارى . أرتعد . وجهي بين كفى . أنشع فى عنف . شمرت به قريبا جدا . برز حذائه . بلاس ركبتى . يده ترفد على رأسى . رفعت وجهي اليه . ابتسم . وأخذ يحرك يديه وجسده فى إشارات غريبه . فى زمن قلت : لم أفهم . أعادها مرة أخرى . بنفس الترتيب . قلت لا أفهم . أعادها . وكان فى كل مرة يزداد سرعة . وعنف . أسلك يدى . أوقفتى . أشار برأسه . ووجهه . مستحشا أن أقلد ما فعل . ففعلت ولم اكن أصبق لشدة غرابتها أنى سأقلد . . ابتسم . بهز رأسه مستحسنا . بهدوء خرج من الغرفة . ومن الشقة كلها جريت إلى النافذة . مضى وقت طويل لكنى لم أره يخرج من باب العمارة . عدت الى المرأة . وقتت أكرها حتى لا أنساها .. .

د . أيمية شتيوى

النوم فى العسل

على قنبلة

عادل إمام



للنوم ، وأنه ليس أبداً مستغرقاً
فى النوم فى العسل»
لا ينشئ مثل هذه الواقعة أن تمر دون أن
نتأمل دلالاتها أو نتعقب جذورها ، فلعلها
تسجل المنحى الذى سار فيه قطاع كبير
ومهم من الثقافة المصرية خلال السنوات
الأخيرة ، ولعلها أيضاً - وأرجو ألا تكون
تلك ، حتى أمنيات - تمثل نقطة انطلاق جديدة
نحو مراجعة للردود الحقيقى الذى ينشئ أن
يتحمل المثقفون مسئوليتهم عنه ، فى الاتفاق
أولا حول تشخيص الواقع التاريخى الذى
نعيش فيه ، والمساهمة فى تقديم تصور
أسيل للمستقبل ، يتحقق فيه ويرد
«الوطن» الذى يشهر فيه المواطن حقاً

وثقافى أصبح فيه عادل إمام زعيماً؟ وإن
كان الانتصار الحقيقى لنا هو أن يدرك عادل
إمام - بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من
تصرحاته التى أعلنتها أمام حشد غفير من
الناس وليس فى اجتماعاته الخاصة - خطورة
المآزق الذى وضع نفسه فيه ، فيصدر اعلاناتاً
«وصحياً» ينشئ فيه تأييده للطغيان ، رسمى
لإجراء العديد من الحوارات الصحفية) لتأكيد
هذا التنى (وإن أكدت هذه الحوارات مرة أخرى
على تشوش وعييه السياسى) ، وبذلك عندما
أشدت تصرحاته وردود فعل عنيفة لدى
قطاع كبير من المثقفين ، حتى من المؤيدين له ،
وهو ما يؤكد حقاً أن هذا الشعب يتنفس
الدماء الحارة فى عروقه حتى لو بناه مستحقاً

أخيراً ، نياحت «قنبلة» عادل إمام
فى نواته يمرض الكتاب ، لتتزل كالصاعقة
على رؤوس قطاع كبير من المثقفين ،
فيستيقظوا فجأة من «النوم» فى
«العسل» ، ويبدأوا فى مراجعة - أو حتى
التراجع عن - الكثير مما كتبوه عنه خلال
السنوات الخمس الأخيرة ، وهم الذين رفعوه
على الاعتناق ومتمجبه لقب «الزعيم» ،
ليس بمعنى «ملك العروس» مثلاً كما كان
الناس البسطاء يطلقون على فريد شوقي
خلال الخمسينات، وإنما اكتسب اللقب هذه المرة
دلالة سياسية وثقافية(١)، جعلت عادل
إمام - دون أن ينتبه الكثيرون خطورة ذلك،
وإن سادها هم أنفسهم فى صمتهم - مرجعاً
فى أمور السياسة والاقتصاد والفن ، يستفتونه
فى الأرواح فيجيبهم بإجابات من النوع الذى
تجده فى الإعلام الرسمى ، ويسألونه عن أزمة
السهماء فيؤكد أن أفلامه هى الدليل على عدم
وجوه أية أزمة ، وإذا كان من حق عادل
إمام كفنان وإنسان أن تكون له آرائه
الخاصة فى كل أمور الحياة ، فإن المثير
للدهشة أن يتخطى الكثير من «المثقفين»
من قديم - أو بالأحرى راجعهم - فى البحث
عن إجابات للمشكلات المصرية التى تواجهنا
- أو حتى المساهمة فى تقديم الأسئلة
الصحيحة حولها ، لتصدر ظاهرة - تشبه
ظاهرة الشيخ الشعراوى - سبق أن أشار
إليها كاتب هذه السطور ، أصبحت فيها
سهماء عادل إمام بديلاً عن الحياة ، وتراجع
دور المثقفين عن التأثير فى الجماهير ،
فأصبحت آراء عادل إمام الشخصية هى
الصياغة المشوشة الغامضة لأكثر القضايا
تعتيماً ، أعضاء على التأثير الهائل الذى
يمكن أن يمارسه النجم على الملايين من
البسطاء ، حتى انتهى الأمر مؤخراً بأن يجلس
الثقاني الجماهيرى فى معرض الكتاب فى
نفس المقعد الذى تم حرمان ومحمد حسنين
«هيكلا» من المجلس فيه ، لكن الأهم
والأكثر خطراً هو أن يدخل الثنائي بقفة مفرطة
أرضاً يغطاها أكثر السياسيين فى مصر - على
اختلاف انتماءاتهم ومتابعيهم الفكرية - بتقدير
كبير من الحذر ، فيحدث عن أن «الطغيان»
مع إسرائيل هو «الواقعية» التى لا تتوقف
عند الماضى ، وأقا تطرئ إلى المستقبل ، تماماً
كما فعلت كل الدول التى تحررت علانية الحروب
بينها إلى التعاون والمشاركة فى صنع الحياة
والسلام(٢).

لم يكن غريباً أن تقطع الأذاعة
الاستراتيجية برامجها لتعلن النباء ، الذى يمثل
بالنسبة لها انتصاراً فى ظل واقع سياسى

قد حصلت على مصداقيتها لدى الجمهور من خلال أفلام ، عجز منطقياً عن أن يرى فيها بلور «العصر» الذي جعل من بطل عادل إمام جسداً لأفلام البسطاء ، فقد تجاهل النقد طويلاً هذه الأفلام بحجة تراضع مستواه الفني ، أو ترديدها لبعض مقولات تبدو لنا - من منظور - أخلاقي خالص - مقولات تعلى من شأن «الفهلوة» أو حتى الخروج على القانون ، لكن الأمر يبدو لنا كما لو أننا استيقظنا ذات يوم لتكتشف أهمية هذا النجم ، فتحول النقد بين عشية وضحاها من الهجوم الحاد إلى الاشادة ، والتعجب بالزعم ، حين بدأ لنا أنه قد تحول بدوره إلى صنع أفلام «سياسية» ، كانت بلا جدال تتجنى أفكاراً تجمع بين القليل من الجرأة والمجازرة ، والكثير من الفهلوة والسطارة ، فكانت أصبحت في مرحلته الأخيرة بالنسبة للمثقفين ، كما كان بالنسبة للجمهور في مرحلة سابقة ، أقرب إلى شخصية «جحا» ، الذي يخرجه بالفن والنز إلى السلطة والسنان ، لينال الرضى من الجميع ، ويصبح «أزعمهم» سواء في نظر المثقفين أو البسطاء.

مصدر التناقض الجوهري في تلك الزعامة المزعومة أنها كانت أكثر نظرية وتلقائية وصفاً في مرحلة عادل إمام الجماهيرية التي تعالي عليها ، وكانت كل المؤسسات الرسمية (ومهرجاناتها) تتعامله فيها ، لأنه استطاع في مراحله الأولى أن يراهن - وقد كسب الرهان بالفعل - على حب جماهير البسطاء الذين يمثلون الأغلبية الصامتة ، لأنهم يريدوا أن عادل إمام - أو حجا المصري - يتحدث بلسانهم بما يعجزون عن البوح به ، بينما أصبح حجا في الفترة الأخيرة - فجأة - جزءاً من المؤسسات الرسمية ذاتها ، يتحدث هذه المرة بلسانها ، يتقدم هي أيضاً - دون مرابطة - بصوريل وتشجيع أفلامه «سياسية» ، تهاجم عن الاحتفاء والاعمال بافتتاح أفلامه على نحر لا تحشى به أكثر الأحداث الثقافية خطراً ، مع مزيد من التفني بالديمقراطية التي جعلت الرقابة ترافق على عرض هذه الأفلام! (فكل شيء إذن على ما يرام - ها هم الناس - من خلال أفلام عادل إمام - يتكلمون في السياسة ، وها هي السلطة لا تشاركهم «الكلام» فقط ، ولكنها تصيح : «الله» تمييزاً عن الاستحسان والاعجاب بما تسمح به من نقد عادل إمام لممارساتها).

وكان من الممكن أن يتأمل المثقفون ذلك ليروا بما خفى بين «الكواليس» ويذكروا



أحمد يوسف

المطروحة والتأثير على الرؤية السياسية السائدة (سواء لدى الحكومة أو قطاع كبير من المعارضة) ، فإذا كان للمثقفين المهادون هم الذين يحملون دائماً بطور التقليم والنظرة المستقبلية ، لأنهم يميلون إلى تجاهز الواقع وإلى الحلم بمستقبل أفضل ، فقد تراجمت هذه الثقافة المهادة للأسف الشديد تحت تأثير ما يمكن أن نطلق عليه الثقافة الرسمية التي اكتست ثوباً «و شعيباً» ، وكان عادل إمام من بين النجوم الأكثر ملاحة للتيار مثل هذا الدور.

ومن الخطأ الفادح أن تلجأ اليوم إلى التقليل من شأن جماهيرية وشعبية هذا النجم ، بسبب أنه تحدث برأى سياسي يختلف معه ، لكن الخطأ الأكبر هو أننا في الأغلب لا نضع في اعتبارنا أن هذه الجماهيرية والشعبية

بالمواطنة والالتصاء ، لأنه الوطن الذي يجب أن يتحقق فيه العدل والحرية ، كما أنه الوطن الذي لا يرضى أبداً أن يكون تابعاً ذليلاً يقلب الشروط التي تفرض عليه تحت اسم الواقعية السياسية.

جحا والسُلطان!

قد يبدو الحديث بعيد الصلة عن فيلم عادل إمام الأخير «النوم في الصل» ، وإن كان في الحقيقة شديد الارتباط به ، لأن هذا الفيلم - مثل بعض أفلام المرحلة الأخيرة للنجم الجماهيري دائم الصيت - يمسد حقيقة الأزمة التي يعيشها قطاع مهم من الثقافة المصرية ، بما يحصل ذلك من نتائج شديدة

دلالته ويستشعروا خطورته ، لكن معظمهم اكتفى بالترقية ، وانضم بعضهم أيضا إلى «جبهة المصلحين» ، وكان ذلك في الحقيقة اعلاتاً ، خفياً ومستتراً في آن واحد ، عن «واقعهم» بعض الملتحقين في قول الأمر الواقع ، ليستقرأوا - إلى حين - في التزم في المصلح ، لكنه التزم الذي ترققوا فيه حتى عن أحلامهم القديمة الجميلة ، وإذا كان «صلاح عبد الصبور» قد قال يوماً إن «الحلم جثث الواقع» ، فإن الأمر أحيانا يبدو أشبه بحالة عارضة طارئة من العجز الثنائي ، التي لا يمكن أن تنتظر في ظلها أن يولد واقع جديد.

«القهلوي» بطلًا

هناك إذن بين المرحلتين الشعبية والرسمية لأفلام عادل إمام فجوة فاصلة وإن كانت هذه الفجوة تفاوتت أحيانا في عمقها وخطورها ، لاستشعرها اليوم فقط مع تصريحات عادل إمام التي نرفضها حوله رأي من التطبيع (والتي نرجو أن يكون جادا في إعادة النظر فيها) ، بل وإعادة النظر إلى نفسه كزعيم سياسي ، لكن الحقيقة أننا كثيرا ما أشرنا إلى هذه الفجوة ، في انتقاله عبر السنوات الأخيرة من الثمانينات من دور التهم الشعبي عادل إمام من «خارج» السلطة وتأييده «القطري» على الجماهير إلى دوره من «داخل» السلطة وتأثيره «المروجة» على الجماهير ، ويمكن لقارئ أن يعمد في ذلك إلى بعض الدراسات والمقالات التي ظهرت - على - صقها مجلة «السياسة» ، وحاولت أن تضع يدها في وقت مبكر على ما أطلقنا عليه التحول عند عادل إمام من خلاف الصامتين إلى شعارات الحكومة.

إن الأمر يبدو كما لو أن المؤسسات الرسمية قد انتهت مؤخراً إلى الدور الذي يقوم به عادل إمام في التأثير على البسطاء ، وربما أيضا في إعادة صياغة وعيهم ، وقد نجح في ذلك ليس بسبب عبقريته الفنية أو عمق رؤيته السياسية - كما يزعم البعض أحيانا جهلا بالديناميات أو تجاهلا متمسداً لها - وإنما لأنه التزعم «المعاصر» على شعبية نجوم تركوا تأثيراً هائلاً في وجدان الشعب المصري ، (وהל ننسى التناوب التي صنعها البسطاء لمحمود شكريكو ، أو التجاح الهائل الذي كانت تلقاه أفلام إسماعيل ياسين؟) ، فالجماهير قد تبيحت عن أحلامها «الهرورية» في قضى الشاشة ، الخلية «في الشهر المسبب» ، لكن أعلام يفتقنها «والواقعية» - إن جاز

السياسي والنفسى - إلى ادعاء التكيف وإظهار الامتثال ، حتى تأتي فرصة التحايل على القانون الذي يراه القهلوي مثلاً لعدالة صورية عاجزة ، لأنه القانون الذي يعنى الأقوياء وحدهم ، لذلك فإن بطل عادل إمام الشعبي قد يلجأ للطرق غير المشروعة لامتلاك الثراء والقرعة ولعله أحيانا يلجأ إلى العنف والارهاب ، لأنه ببساطة يريد أن يتحدث بلغة السائدة ، وإذا كان عليه أن تدب هذه البطل القاسد أو الارهابي ، فإن عليك أولاً أن توجه الادانة الحقيقية للمجتمع الذي جعل الفساد والعنف قانوناً سائداً ، (وהל هناك مثال أكثر وضوحاً على ذلك من وقائع الانتخابات الأخيرة؟).

قد تحكم على مثل هذه الاقلام الشعبية لعادل إمام بالسماجة الفنية ، أو بالتشوش في وعيها السياسي ، المكثك لا تستطيع أن تخفي جوهر مضمونها الذي كان سبباً في نجاحها الجماهيري ، وهي أنها كانت تتحدث دائما عن الرغبة في تحقيق حلم البسطاء بحياة كريئة وعادلة وأنها كانت توجه سخرتها اللاذعة إلى الاثرياء تارة أو إلى محلى السلطة تارة أخرى ، وكأنها تشفى غليل البسطاء ، من أسباب الكره الذي يشعرون به.

استثمار النجومية..

لمصلحة من؟!

في مرحلته الرسمية الأخيرة ، تغيرت هذه الصورة كثيرا وإن لم تختف كل ملامحها ، فلما تزال تلك الصورة من المؤسسات التقليدية تتناثر هنا وهناك ، وما تزال تلتصق

التغيير - تتعلق من خلال نجم - ساخر دائما ترى فيه الناس بعضا من صورته الحقيقية ، وتشم رائحة عرقها ، وتلاحظ في عينيه بقايا دموعها ، وتعيش معه رحلة الصعود - الواقعية والفنية في آن واحد - من السطح إلى القمّة ، لقد كان إذن عادل إمام - الاتسان - يشبه كل الناس العاديين ويعيش حياتهم بحثاً عن لقمة العيش المقصورة في العرق والدموع ، فإذا به ينتج في أن يكون نجم الترميم ، لكي يصبح تمهيدا لحلم كل إنسان بسيط بالثراء والتجاح ، كما كان عادل إمام - الفنان - قد اختار أن يعبر عن هموم البسطاء من خلال أعمال فنية لا تتعالى عليهم ، ومثل التجاح الهائل لسلسل «أحلام الفتى الطائر» - الذي يعتمد على النص شديد الذكاء ، لوحده حاصد ، رفيق رحلته في مرحلته الجماهيرية والرسمية - أصبح الشكل الفني الأشمل لأفلام عادل هو قالب «البيكاديسك» ، الذي يروى رحلة صعلوك في أمشاش المجتمع ، ليكشف عن الأعماق القاسية تحت السطح الجميل ، ليوخترق الطبقات واحدة بعد الأخرى وكأنه يقرم بتعريتها وتجريدتها من الأتعة التي تخفي وراءها.

وعبر أفلامه الجماهيرية العديدة التي كان النقاد يرفضونها ، كان عادل إمام يكرر المرة بعد المرة ما أراد الجماهير أن تقرأه بأن «القهلوي» التي تدبب بها الشخصية المصرية أحيانا ليست إلا حيلة العاجز الهائس ، الذي يضطر تحت وطأة الضغوط الاجتماعية المعاصرة ، بالمراث التاريخي الهائل من التمتع



قنبلة عادل إمام في معرض الكتاب

الانتقال من نقد السلطة إلى نقد المواطن

حال فإن الحكومة في النهاية قد أدت القبض على هذا القاسد لمجرد أنه استغل بعض القرارات الاقتصادية لصالحه!!

وهؤلاء المرفقون الصغار أيضاً هم أسباب الفساد في الأرباب والكبار، لأنهم هم الذين يسحقون وجود البطل ويضطرونه -بالصدفة- إلى أن يلعب دور الأروابي، ولكن القيلم لم يتوقف أمام هؤلاء المرفقين الصغار -أنفسهم يوصلهم أدوات أو بالأحرى ضحايا- لسياق أكبر واشمل.

وتخفى معظم هذه الأتلام واثنا خلف ستار محاربة الأرباب، والطبع فإنك تعرض نفسك للتهمة بأنك لا تناسب الأرباب الصفاء لو اتهمت هذه الأتلام بالتقصير في رعايتها ومعالجتها، وديا كان «الأروابي» هو أكثر هذه الأتلام مغالاة في ترويض المشاوير الاحلامية التي تباع في التيسيط، ولا تضع يدها على جرح الحقيقة، فتسقط قضية الأرباب بفهم أسمى خالص، ويجهلهم أقرب إلى حرب العصابات والثأر المتبادل بين الشرطة وقول الأروابيين، ولا تعطى اهتماماً بالقضاء على جيل الأرباب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تغذي التطرف، ويجهلهم -وهذا هو الأهم- مرفقنا من الحياة للكليلة هائلة من البشر لا تجد فرصة للحياة الكريمة (ناهيك عن تجاهل هذا القول -وأفلام أخرى- لتغفل أصحاب الفكر المتطرف في المؤسسات الرسمية ذاتها). لكن «طهور الظلام» بدوره ينفذ عند السطح من قصته، فيجعل الأرباب نوعاً من الشرير التي يتم تقويلها من الخارج، ويصور التطرف شراً على طريقة أسعفان روسي، يتحدث بصوت كالجميع وقد رفع حاجبا وخفض الأخرى.

نحن «أو» إسرائيل

أم نحن «و» إسرائيل؟ لكن هناك تياراً خفياً يسرى في تلك الأتلام جميعها، لا يضع «جعا» أبداً في مواجهة مع السلطان، وإنما يجعله يثقف معه.

وديا يكون مناج هذه الأتلام قد لجأوا إلى التكوير للالتفاف حول هدفهم النبيل، لكن ليس من حقنا ونحن نحصى نتائج هذه «المعاركة» أن نتأمل ما استطاعوا انجازهم بالفعل من هذا الهدف؟ فلي «والله» مع الكبار» يظل الحل مشروطاً بتحالف الجماهير والشرطة لمحاربة الفساد، بينما لم يلق لنا القيلم كيف يمكن لثلث مثل هذا التحالف أن يتم، كما أن القيلم في القيلم يأتي من خلال بعض أعضاء مجلس الشعب -الممثل للمقاطعة الفاتحة- ولم يقل القيلم أيضاً كيف يصل هؤلاء قبل كل الآخرين لاحتلال المؤسسة الديمقراطية، وما هو الطريق لتحقيق حياة ديمقراطية سليمة بدلاً من الاعتماد على «حسن نوايا» الشرطة، ذلك «الملاك الحارس» الذي يظهر دائماً في اللحظة المناسبة لمعيد الحق إلى نصابه؛ ولتتأمل أيضاً فيلم «النوم في الصلوة» الذي ألقى بالرم كله على الجماهير لأنها لم تسلم قبحاً بسهولة لضابط الشرطة -«الزعيم» الذي استطاع ببصيرته أن يرى سبب عجز هذه الجماهير لكنها كانت هي التي تقام طويلاً للاعتراف بهذا العجز؛ وإذا كان هناك «هاتية» من الفساد في المؤسسات الرسمية فإنه يأتي دائماً من «الصغار»، مثل الضابط الصغير في «طهور الظلام» الذي يساعد البطل والفساد خليف القدم على تحقيق التلاعب في الانتخابات، لكن لساد هذا البطل ذاته يعود إلى جذور أخلاقية، تنبع من انتهازيته الماكرة بالمقارنة مع «سلجاجة» الوزير الذي يركل إليه كل أموره وعلى كل

أحباباً فكرة الحلم مجتمع أكثر عدلاً، لكن ما كانت تبهر عنه الأتلام الأولى على نحو فطري وصادق، حتى لو كان ساذجاً، يتم التعبير عنه اليوم بقدر كبير من الاتواء والذكاء، فقد أصبحت أفلامه مغلفة ذاتياً بخلافه فني أكثر برعاً، وهو ما يشير بالطبع أعجاب بعض النقاد، بصرف النظر عن أصالتها، كما ترددت في أصداء هذه الأتلام جيل الحزبان الذكي التي تبدو وكأنها تصوب ضربات النقد الموجهة لبعض السياسات، بصرف النظر أيضاً عن دقة تصويب هذه الضربات لهدفها.

لقد كان الأكثر أهمية لدى بعض الأطراف هو أن يتم استثمار التوجمية الشعبية لعادل إمام، وتحويلها إلى مسار أكثر وعياً وتخطيطاً لصالح الأهداف التي تراها المؤسسات الرسمية أهدافاً ملحة في معاركها على العديد من الجبهات، والطبع فإن أحداً لا يمكن أن يختلف حول أهمية مواجهة التطرف والأرواب، ومحاربة الفساد، وإعادة مناقشة القضية الديمقراطية، وهي القضايا التي «يبدو» أن أفلام عادل إمام «السياسية» تخوض فيها منذ «والله» مع الكبار» وحتى «النوم في الصلوة»، ولولا أن الرؤية التقليدية المتأصلة لهذه الأتلام تشير إلى أنها -في الجانب الأكبر منها- لمجتمعت في تخوض المعارك الحقيقية، أو جعلها «شبه معارك» يخوض فيها الغبار ويدوي فيها الصخب، لكنت تكتشف في النهاية أنك قد سمعت الكثير من الضجيج ولم تر طمناً ولا طمناً.



قنبلة عادل إمام في معرض الكتاب

يهدى بعض التراجع لكنه عاد إلى التأكيد بأن «السلام» قد أصبح أمراً واقعاً لأن هناك «أعدائنا» وعلاقات دبلوماسية بين الحكومة المصرية وإسرائيل فإنك لابد أن تعترف أيضاً بمشروعية المشروع الصهيوني المؤسس على أساطير دينية يهودية لنفطع الباب على مصراعيه - وهذا ما تريده إسرائيل حقاً - أمام كل الحركات الدينية الأضرية التي يمكن أن تنتهي بالعالم الحري كله، ومصر على نهر خاص، إلى «كائنات» منفصلة تعتمد على العنصرية الطائفية حتى داخل الدين الواحد، وكيف يمكن لك أيضاً أن تزعم أنك تحارب الارهاب والارهابيين، بينما الاعتراف بإسرائيل ليس الا اذعاناً كامل الشرط للارهاب الذي مارس دوره في الماضي من خلال عصابات شعبين والهجاناة، وما يزال يمارس دوره الارهابي من خلال الترسانة النووية؟

أول الرصيد «الممكن» حتى لو بدا لنا اليوم مستحيلاً، لكننا يجب أن نناضل على الأقل لكي نحميه بمكنا - هو إقامة دولة فلسطينية، ديمقراطية علمانية، لا تضع فروقاً بين الأديان للمساواة، لكن هذا لا يعني أيضاً أن من حق اليهودي البولندي أو الأمريكي أن يستوطن أرض فلسطين لأنه «يهودي» لذلك، فإن الحوار الودي - كما يقول الدكتور هيد الروهاب المصري في كتابه «الديابولوجيا الصهيونية» - يجب أن يقع خارج نطاق التولية الصهيونية كلياً، ونطلق من رفض كامل لكل مقوماتها ونتاجاتها».

لقد جاءت «قنبلة» عادل إمام في فتره السياسية حول العلاقات مع إسرائيل في وقتها قائماً لتكشف حالة «التنويم» في العمل التي يعيشها الكثيرون منا، لكن إذاً فإن فيلم «التنويم في العمل» يعطينا إلى الاعتراف بالعجز كخطوة أولى «واقعية» لتحقيق أحلامنا في الحياة، فإن الخطرة الأهم هو أن نبعث عن أسباب القوة الكامنة فيما لكي نفجأ هذا الواقع المرير، فالمحقق الحقيقي هو أن يتصور البعض - أو يصور لنا البعض - أنهم يستعزنون أفلاماً سياسية تحاول أن تلعب على كل المحال يوترن - جميع الأطراف - السلطة والجماهير، والمثقفين والبسطاء، بينما الحقيقة أن هذه الأفلام تقع في الجانب الأكبر والأهم منها في رغبة ضمنية، عندما تروح بأنها تريد للجماهير ما سياتي من سباتها، بينما تنتهي - كما سوف نرى - إلى أن تزيد من استغراقنا في «التنويم في العمل».



سينما الضباب تضاعف حالة النوم في العسل

عليهم جميعاً برصمة «المعجز»، ويكفي عن كاهله مهمة البحث عن أسباب هذا المعجز، أو بالأحرى تشخيصه تشخيصاً حقيقياً. إذا كان هناك من يروم بالبعض حقاً بهم بعض المثقفين الذين ترققوا عن القيام بدورهم في أن يكونوا بذور النور والتطور لهذا الوطن، وهم «هاجرون» لانهم لا يرون في المستقبل أية امكانية لتجاوز الواقع الزاكن السائد، ويدعون الي قبول الامر الواقع تحت دعوى «الواقعية»، وإن كان من حق عادل إمام أن يدلي بأرائه الشخصية في جلساته الخاصة في شئ أمور الحياة، فإن ذلك يجب ألا ينبع أبداً من كونه «زعيماً» مزعوماً، كما تريد له بعض المؤسسات الرسمية، وكما تتر وتبسم بعض القلوب الثقافتية.

فالواقعية هي أن ترى الأشياء، على حقيقتها (وليس كما يريدون لك أن تراها)، فليس من الحقائق التاريخية أن صراعنا مع إسرائيل يشبه صراع ألبانيا وفرنسا، أو اليابان وأمريكا، أعداء الأمتين وأصدقاء اليوم، كما يقولون - فإسرائيل ليست بأي معنى من المعاني أمة أو وطن، وإفها هي كيان قائم - وما يزال - على أسس وأهداف استيطانية، تؤصل لنفسها من خلال عنصرية دينية مزعومة وغير عقلانية لكنها تصوغها في فلسفة السياسة الصهيونية. انك عندما تعترف بمثل هذا الكيان - تحت دعوى ما أكده عادل إمام في حواراته الصحفية التالية لتصريحه بإيراد بها أن

في صف واحد، وهكذا اختفى صمرك عادل إمام القديم الفخري ليجل محله صمركه أكثر امتعلاً، يكفي بأن يضع أعلامه في «الصلب مع الكبار» ودعماً في يد ضابط الشرطة الطبي، ويقتحم في «الارهاب والكباب» فرصة املاء شروطه على السلطة فإذا به يطلب ظناً مبالغاً في العزيمة: «مالش مطالبنا مش عايز اتهان...» مش طالب غير انساني، (مرة أخرى) لم يقل لنا الفيلم كيف - يمكن أن - يحقق هذا المطلب «الصغير»، بل ان الضابط -الغوري حله المرء - هو الذي يقود الجماهير لتسييق من «التنويم في العمل».

إلا أن الأكثر أهمية هو أن فقد سخرات صمركه عادل إمام - من الاغنيا، - والسلطة لكي تشمل في أفلامه الأخيرة السخرية من الجماهير ذاتها (ويمكن أن نجد في فيلم «يهيت» و«هديلة» سلسلة طويلة من السخرية من القراء لانهم لا يعرفون ان معنى الحياة الحقيقية ليس هو المالد...).

لقد كان البطل في «الفرل» يحاول في الأيام الجوالي أن يضع يده على الحقيقة، عندما اراد تصوير عجز البسطاء... عن الفعل، بأنه ناتج عن قهر اصحاب الثقة: «انتوا عايزين الناس كلها تبلى زى جحا، بقولوا ما دامت بعيد عني مالش دعوة، كل واحد عايش لنفسه وين» فإذا بالأفلام الأخيرة - مثل «الارهاب والكباب» - ترجمه نقدها للجماهير المنهدة: «يا يهوج معلش، ياللي صمرك ما يعلش إلا في الفارغة... جاتكم ستين نيلة»، وما هو فيلم «التنويم في العمل» يلقى

لم يتابع الناس عملاً في الثلث الأول من عام ١٩٩٦ قدر ما تابعوا المسلسل التلفزيوني (لن أعيش في جلباب أبي) الذي لقيه العامة بمسلسل (عبد الغفور البرعي) تبعها عن إعجابهم وتوجد لهم بطله الحاج عبد الغفور. وقد بدأ عرض المسلسل في أول رمضان الموافق ٢٠ فبراير الماضي واستمر العرض إلى ما بعد عيد الفطر بثلاثة أيام، فهو ٣٦ حلقة، كاملة ترميت على الشاشة الصغيرة ٣٦ يوماً في قمة شهرة المشاهدة، وفي وقت هو ذروة هذه القمة أي (التوقيت الممتاز) بحسب أسعار إعلانات القطاع الاقتصادي.

ومن المهم هنا أن نلاحظ أن والنفس الطويل أحياناً ما يكسب في النهاية، لأن الناس في بلادنا أصبح نفسها قصيراً، فقد كانوا يتابعون مسلسلاً آخر يشقف هو (نصف ربيع الآخر) الذي بدأ عرضه في نفس التوقيت مع (جلباب أبي)، ثم انتهى المسلسل الآخر بعد ١٤ حلقة وتحول اهتمام الملايين إلى هذا المسلسل وتركز عليه، خصوصاً مع ارتكاب التلفزيونين العملاقين حماقة لتليق بالهداية هي إنزال مسلسل اسمه (الأبطال) من توقيت عرضه المتأخر إلى توقيت العرض الذي كان يعرض فيه (نصف ربيع الآخر) ومعنى هذا أن التلفزيونين ضحى بجمهور (نصف ربيع) الذي لن يتابع بالطبع مسلسل (الأبطال) من منتصفه، وسوف يرحل أغلبه عن الشاشة، وهو ما يحدث بالفعل، وبالتالي أصبحت الفترة الأولى خاصة لصالح (الحاج عبد الغفور البرعي) الذي لم يحتل صناع برامج التكرم - من داخل التلفزيونين برشه - انتظاراً حتى النهاية، فأقاموا له الحفلات وهو ما زال قيد العرض لا ترمي ماذا ينتهي... وحسناً فعلت أنا حينما تسكتت يبدأ الانتظار حتى النهاية بعد خبرة السنين مع الدراما التي تكون مضبوطة حتى اللحظة ما قبل الأخيرة.. ثم تنقلب.



الغلبة الفقراء والغلبة الأغنياء في دراما عبد الغفور البرعي

ماجدة مورييس

وأعترف أنني متعجب بهذا العمل بداية، وأستغرب مصاغة السيناريست السينمائي المحكم مصطفى محرم لعدائاته الأساسية، الخراج إبراهيم سردينه (عبد الرحمن أبو زهرة) وعبد الغفور البرهي (نور الشريف)، وفاطمة بانهة الكثرى (عملة كامل)، وأخوها سيد (مخلص بصبري) وكذلك دورى مصطفى مرقولى (مفكرت) سردينه) وخليل موسى (المعلم مرسى).. وقد استند مصطفى محرم على القصة الأصلية التي كتبها بهذا الاسم الكاتب الكبير الراحل إحسان عبد القدوس، ثم انطلق ليقيم رؤية تلامحه هو ككاتب للدراما، وتلام ساعات الإرسال الممتدة، والتي من الواضح أنها لم تعمد أمامه من خلال قطاع الإنتاج الذي أنتج المسلسل مع شريك ثان هو تاهد فريد شوقي المنتجة السينمائية التي دخلت عصر التلفزيون هنا العام.

في المادة، يحصل فريق العمل لأى مسلسل على هذه الإمكانات من التلج في حالة توافر الوقت واللغة وبالتحديد في المخرج والمخرج أصعد توفيق، الممثل للقدرة أيضا بجانب قدرته كمخرج، قدم في العام الماضي مسلسلهم (عصر بين عهد العزیز) مع المؤقت عهد السلام أمين والممثل نور الشريف. وقد نجح المسلسل في إطار مقارنته بالأعمال التي تقدم الدراما الدينية في إطار إطار تاريخي، والدراما التاريخية في إطار ديني. كان (عصر بين عهد العزیز) أكثر صداقا في التعامل مع التاريخ ومع الحقيقة بدون تجميل (حقيقة الصراع بين الحفقاء على السلطة) وأكثر اقترابا من الدراما المرتبة بعيدا عن ذلك والإيقاع المقدس، البطيء الذي كرسه تلك المسلسلات وفرضته على أنه الإيقاع الملائم حتى يتسلق المشاهدين ويأخذون راحتهم في إطار المناظرات بين المؤتمنين (جلباب أبي) الذي أخرج في فترة عهد العزیز) الذي لفت الأنظار بملامحه هذه، كان كارت التلقا في أحمد توفيق ليقيم ما يريد، ومنه هذا المسلسل الاجتماعي (جلباب أبي) الذي أخرج في فترة التقاط أنفاس، قبل أن يدخل في مسلسلة التاريخي الجديد عن الدولة العباسية وهارون الرشيد والذي يصوره فعلا الآن. ومع نفس المؤقت والتبني.

لن أعيش في جلباب أبي) لا يحمل كثيرا بالتوقف عند الزمن وتاريخه لكن كل مقوماته في زمننا الحالي، باستثناء شخصية عهد الغفور البرهي، نفسه

التي يقدمها في مزيج من دراما السيرة الذاتية ودراما التطهير الاجتماعي. أنه لا يحمل أي واقعة تاريخية، ولا يقرن سيرة بطله بأي ملمح عام أو واقعة محددة، لكنه لا يتعد أيضا عن تقديم وجهة نظر نفس النظام الاقتصادي والاجتماعي الموجود الآن، وتغذله فيما لا يصح القول فيه. وهو حكاية الصدود إلى القصة هذه وتكوين ثروة سريعة وكبيرة فإذا كان عهد الغفور البرهي قد كون ثروة كبيرة، على امتداد زمن الدراما، فقد بدت سريعة في عيونا نحن المشاهدين لأنه توفقت عن المماناة وتوقفت الدراما عند الملامح الشكلية جدا لذلك العمل الذي يقدم به والذي لا يعمد قصة المحل واستقبال الأخبار من فهم القصة، ثم خضير وبعض الأمور البسيطة. أما الثروة الأسرع، فهي التي كرتها أمام عيوننا الآن عهد الرواب عهد الغفور البرهي، والذي خرج من عقد الشخصية تجاه والد والتي بنى عليها إحسان عبد القدوس قصته، ليدخل في - المسلسل - في هذا الجلباب الذي يقدمه على مدى ٣٣ حلقة، ويصبح في ٣ حلقات، وحشا صاعدا من وحوش السوق، يتنافس الأب، ويقتل المزدادات، ويكسب الثروات. ويبدأ عن القصة، فهل يتم تكوين الثروات بهذه السرعة في الحياة؟ وهل يدور هذا المسلسل الشباب العاطل عن العمل حقيقة إلى حل أزماته عن طريق تجارة الحردة والربو، والاحتكار والصنف، و«تعزيز» المتنافسين في المزدادات، أي وشرتهم، ليتسببوا.. وهل يصلح نموذج عهد الغفور ليكون «اللقوة» المنظرية في مجتمعنا اليوم في نهاية القرن العشرين؟

لغز الوزير. الشريف. المكروه الدراما الجميلة هي التي تقدم ما لها، وما عليها، وتترك للمشاهد حق التنبس وحرية الفهم والاختيار، لكن (جلباب أبي) حاصر المشاهدين بين اختيارين، كليهما مرفوض، فاختار الناس أحدهما لأنه الأكثر قربا للفرهم.. اختاروا عهد الغفور والحاجة فاطمة والأثرة التي يغلبها ضد الوزير (وهو توفيق) وزوجته المتحرقة في تسعير الجهر (كروكي الصالح) وولده الأفاق (ياسر جلال) وابنته المتعالية (مهير عادل) ومن المهم أن نذكر أيضا أن شخصية الوزير هنا استثنائية أيضا فكم من وزراء خرجوا من الوزارة أحسن حالا منهم قبل دخولها، بل وتحسنت أحوالهم أكثر بعد الخروج.. الدعش هنا أن الدراما أوصلت الناس لرفض هذا النموذج الشريف للوزير

الذي اعتمد على مرتبه فقط، وكان رجلا محترما حاول الوفاء بكل التزاماته حتى اللحظة الأخيرة من عهده، ومع ذلك كنا ضد.. ربما لأزمة الثقة العامة تجاه الحكومة، وغالبًا لهذا الأسلوب الكروي في تعامل أسرته مع الآخرين، وضاع الأداء الجيد للشواهد توفيق وكروكي الصالح والرواب الشاب ياسر جلال ومهير عادل أمام الاتحياز الدرامي لعهد الغفور البرهي أولاً.. ثم تأتي نور الشريف وعيلة كامل فانيا، فالتأنيق وحده لا يكفي.. وكثير من الأعمال الدرامية تعرف كيف تتزين في مقابل تقدير أهم لرسالتها الأخيرة، فلا تمتع أباطها سلطانا هائلا على المشاهد تضع معه معالم التميز بين الحق والباطل في شخصية بطله وما يعبر عنه. وضاع هذا التسلسل لأشعار التمييز بين مايقن لنا أن نحبه في عهد الغفور البرهي، وما يجب أن نرفضه فيه.. ولم يقدموا نموذجًا ثالثًا، يمثل الشخصية الأكثر استمرارية وعصرية ومقدرة على الجمع بين القيم الأصيلة والقيم الإيجابية، وهذا النموذج مرفوض في الحياة، وهو أفضل من نموذج الوزير وعائلته، وأفضل من عهد الغفور بطلها. لقد أحيينا في عهد الغفور البرهي أمانة المبدائية، دأبه على بذل العرق والجهد، كآفته الفطري، إخلاسه لزوجته، لكن حكاية تركه الحرية لبنته في التعليم والزواج هذه لمبة لبنات في أفعالهم الحقيقيين غالبًا ما يزودون بناتهم مبكرًا، في صفقات، ويؤمنون أكثر من مرة، وغير ذلك من السلوكيات الشائنة في سوق المعلمين، أما الحاجة فاطمة فإن أكثر ما قدمت قربا من الحقيقة هو ملامستها وحديثها وأكرام اللقب في يديها وبعد هذا فملاحها، باهجة، ليس هناك أصعاق للشخصية توازن خبرتها السابقة في الحياة كباثة كثرى، ومزج المسلسل هنا بين اللامع الحقيقية لشخصية المعلم البري وزوجته، والتي تأسس على عدم خروج المرأة من بينها (عصر سى السيد) وجلسون البنات في المنزل لا يذهبن لأي مكان. وفيه التطور المؤكد بعد كل هذه السنوات في هذه السلوكيات والتي نعرفه عن هذه الطبقة الآن من ممارسات. فمن الطبيعي أن تذهب ابنة المعلم إلى الجامعة الأمريكية وأن يتفاخر به بأنه يدفع لها الآلاف لتعلم كما فعلت نظيرة (مجان ترك) لكن ليس من الطبيعي أن تجلس أختواتها الثلاث الأكبر في البيت، كإرثاء للتعلم بلا سبب وأبهرن يشجع العلم، ولها فن الغريب أن تعاطف



عبد الرحمن أبو زهرة في دور إبراهيم سرديفة

سأنت سمعتم لكثرة ما قعدوا من غش وصقلات فاسدة - ليس كلهم بالطبع- ولكن ما ينشر يومياً وما لا ينشر هو مؤشر على الأساليب التي تنتهجها الرأسمالية لتصدد، وتنتشر، وتزدهر وهي أساليب لاتنص أحداً دون سواه، وإلّا بنسب.. ولهذا فإن نهاية (جلباب أبي) هي أسوأ ما فيه وحيث خرج عبد الوهاب الشاب المتعلم، خرج السياسة والاقتصاد (المفلح محمد رفاض) من جلباب أبيه، ليس لأنه يرفضه، وإلّا لأن مفاسد غير ملائم له، فهو يريد جلباباً أوسع، يتبع له تكريم ثورة أسرع، واستغلال كل الممارسات التحية غير الشريفة، فهو الطبيعة للثقة من أبيه وألّفى نحمد الله أن أيماناً معه - كراسالي- لم تطل على الشائخة، حتى لاتحبه ونعتبره «ملاك» مثل الأب.. فقد كان في إمكان صنع هذه الدراما، المتسكتين، أن يصلوا بنا - من خلال امتداد الحقائق- إلى اعتبار حياتنا هراء، طالما لم تصل بعد إلى درجة مقدرة عبد الفقور البرهي، وعبد الوهاب البرهي، في تحقيق إنجازات تجعل حياتنا حلوة مثلهم.. نعم في إمكان صنع هذا السلسل تحقيق هذا طالما أيقنوا بأن الوزراء غلبة غش لائقين ياكلوا.. والأغنياء... غلبة.. وطيبين..

عبد الفقور واليابانيين والذي غضبت منه روزالين جداً، وخاصة أنها لم تعلم به من قبل. وكأنه يوحى لنا - أي السلسل- أن روزالين هي محلة الوجود الأمريكي والهيمنة الرأسمالية وعبد الفقور هو مثل الإرادة الوطنية، ومثل شعوب العالم الثالث في طموحها للخروج من أسر السيطرة الأمريكية.. وهي أوهام غير حقيقية بالطبع - في إطار الدراما - وليس الواقع والذي أصبحت فيه الرأسمالية اليابانية الآن تتصارع مع الرأسمالية الأمريكية لاحتصام النفوذ العالمي.

في النهاية.. فقد طرح لنا مسلسل (أبي أعيش في جلباب أبي) غزواً من الماضي.. وعصر الرأسمالية التقليدية التي تبدأ على النحو الذي بدأ به عبد الفقور، وأخلا من كل خطباء التي يسوقها واقع التنافس والإخافة بالمعارضين والتصفيات غير الشريفة، ولطف الضعفاء وقدمه لنا غزواً رافضاً، طيباً ومتواضعاً ومحافظاً على الجلباب مثل حفاظه على مبادئه التي تعلمها من أبيه الروحي (إبراهيم سرديفة) وليس معنى هذا أن السلسل يتنازع للرأسمالية القديمة على هذا النحو الذي عرفناه عن تجار بورصة القطن وكافة البلب، وإلّا هو يتنازع لتتزع من الرأسمالية عند نزوح آخر يسود الآن، أبطاله هم رجال المال والأعمال والسمرة ومصانع المعليات والشاي والصابون.. الخ.. والذين

مع سنبة (ناهد رشدي) وهيريا (ولاء صادق) وثقيسة (مثال سلامة) ضد روزالين (إيناس صكي) الأمريكية التي أسلمت وتسمت بأمنية وتزوجت الابن وعينها على أموال الحاج أبوه.. في هذه الشخصية تحديداً الكثير من الإيجابيات التي أهدرها السلسل لصالح روزالين وأبطاله، فروزالين أكثر إيجابية وتحضراً من بنات عبد الفقور، ومن أبته، عندما قوت التحول للإسلام ويبحث عن الكتب وقوت، وقوت أن تنهى لنفسها مستقبلاً ويغض النظر عن حكاية طمعها هذه.. فقد حاولت مع زوجها أن يعمل، وحاولت أن تشارك معه، وحاولت أن تقدم بشروعها الخاص.. وعملت في أكثر من محل، ورفضت وجهة نظر الابن في حرمان أخوته البنات من الذهاب للتادى برغم ذهابه.. ولم يكن هذا كله خطأ لكنه «صحيح» في المجرى الخطأ وحيث نالت هذه الشخصية مشاعراً عدائية ربما لأسباب خارجية ليست لها علاقة بالدراما، ورفض أنها أمريكية وقد كره مشاهدون كثيرون فيها محاولة الهيمنة الأمريكية على العالم، في السياسة وفي تفاصيل الحياة أيضاً، وقد ساءم النص الدرامى في هذا بكلمات معددة عن «الفقر» الأمريكي.. أثبت الحاج عبد الفقور، كما استقرأ الكاتب هذه اللعبة، التي لاتحصل مدلولات حقيقية، بحكاية التعاون بين

واسودت الدنيا

ثم حدثت الكارثة

فتح أحد الصحفيين «صندوق باندورا» لتخرج منه المفاريت والانتهاكات: التجارة بعين الموتى ، حرمة الجثث ، سرقة عين الموتى ، تجريم نقل الأعضاء ... بل ووضع بعض صغار الفتنين في السجن واستدعى الاساتذة الافاضل (محمد ابراهيم وعدي فريد) واشفي اليهم اليهم الرئيس الحالي لتقسم الانسجة (أ. د. على شراي) واستجروا لساعات طوال أبرز فيها أ. د. محمد ابراهيم كمية كبيرة من خطابات العروسة من رئاسة مجلس الوزراء ومن مشيخة الأزهر بأجرء الصلوة. وخرج الاساتذة الفاضل كاهيا من غرفة المحقق ... واغلق بئنا العيون...

واسودت الدنيا أمام عين المئات من المصريين السطاء.

يعد تاريخ نقل الأعضاء إلى القرائنة والرومان الذين استعملوا نقل الدم في العلاج ولكن القرفة الاساسية في انتشار نقل الدم كانت باكتشاف لانشتاين -Karl Landstein er عام ١٩٠٠ لفصل الدم المختلفة ثم تلى ذلك اكتشاف معامل التناسل Rhesus Factor (Rh) وقد نتج عن هذه الاكتشافات انتشار العملية انتشارا واسعا واصبح نقل الدم يجري في كل مستشفى في كل يوم عشرات المرات واصبح من النادر أن يجري أي عملية جراحية كبيرة بدون للجرء اليه بل واصبح لذلك يستعمل بعد فصل مكوناته في علاج بعض الامراض الباطنية مثل امراض التجلط ، ووصلنا الآن إلى علاج امراض سرطانات الدم بعمليات نقل النخاع التي بدأ اجراؤها في مصر.

بعد التقدم الخطير الذي حدث في علم تصنيف الانسجة HLA TYPING اصبح من الممكن نقل أعضاء غير الدم من سليم أو من جثة إلى مريض . واتخذ هذا الاجراء حياة مئات الآلاف من المرضى خصوصا مرضى الفشل الكلوي الذين يضعهم المرض أمام أحد احتمالات ثلاث: أما الزفاعة ، أو الفسيل الكلوي (الذي يتم اجراؤه ثلاثة مرات اسبوعيا وتستهلك الجلسة ساعات من الألم والتعاسة وتكلف الجلسة ما يقرب من ثلاثمائة جنيه، وينتج عنه الكثير من المضاعفات) أو نقل كلية من سليم أو جثة إلى المريض.

وما قيل عن الكلوي صحيح عن الكبد (ويبتا في مصر الآن من يعيش بكبد متقولة في لندن أو باريس) وصحيح أيضا عن القلب والزفاعة... ومبادئ التجاع تنصع ولكن قضية الشيخ الداعية الذي لا يحرم نفسه من نعمة العلاج في لندن وباريس ومن التنصع بشار التقدم والعلم، لا زال مصر على أن «دنا قال كده»!!!

أرحمنا فضيلة الشيخ يرحمكم الله.

سميت خنا صادق

في حوار في إحدى الاذاعات الاجنبية مع داعية ، سألتها السبلة المذمبة عن كلامه عن رفضه لنقل الأعضاء . فأجاب الناعية غاضبا بما معناه أنه «ده مقر كلامي أنا ده كلام ريقا» . عقب مقولة فضيلة الناعية «اسودت الدنيا» أمام أعين مئات من المصريين.

ثم صدر العالم الخارجي إلى شبكة العين خلال قرفة العين Cornea ، إلى القرفة الامامية -anterior cham- ، ثم إلى القرفة الخلفية -posterior chamber- ، Retina ، وبهنا الآن فيما نحن بصده قرفة العين.

وقرفة العين هي نسج شفاف ، ليس به اوعية دموية ، وليس له خواص مناعية ، وهو في هذا قد يشابه الاطار أو الشعر . وتنسب دعامة القرفة في جانب كبير من تقنان الإصا في مصر . والطريقة الوحيدة لإعادة النظر لضحية هذا المرض هي بنقل جزء صغير (٣×٣ سم) من قرفة سليمة إلى المريض فتتفتح أمام عينيه الرؤية ويتحول من أعمى إلى مبصر . ونظرا لأن القرفة ليس لها خواص مناعية ، فليست هناك حاجة لدراسة نوعيات الانسجة HLA TYPING أو غيره . وينسب نجاح العملية تصل إلى ما يقرب من ٩٥٪ ومن الغنى عن البيان أنه ليس هناك سلوم ستيروج بالقرنية لمرض مهما كانت العلاقة ولذلك فإن المصدر الوحيد للقرنية هي جثث الموتى.

من المثلق عليه قانوني واخلاقي أن لأي مستشفى حق إجراء «الصلة التشريحية» لأي مريض بعد وفاته . وفي اجراء هذه الصلة التشريحية قد يؤخذ من جسم المتوفي قطعة من الكبد أو قطعة من الرئة للفحص وهي اجزاء كانت ، حتى في عصر التحيط ، تنتزع من الجسد قبل دفنه لسرعة فسادها . ومن اسرع هذه الاجزاء في الفساد قرفة العين ، فهي تفقد شفافيتها خلال فترة قصيرة جدا بعد الوفاة . وغنى عن البيان انهاء سيالكها الدود» فيما يتلو ذلك.

ومنذ بضع سنوات ، انشأ قسم الزرد بمستشفى جامعة عين شمس «بنك العين» وهي حقيقة «بنك القرفة» بالانتاح ضخم حضرة رئيس الوزراء وكبار رجال التشريع والقانون والدين ووراء مجلس ادارته أحد كبار رجال طب العيون (أ. د. محمد ابراهيم) واشفي إليه أحد كبار رجال علم الانسجة (أ. د. عدي فريد) واعاد هذا البنك نعمة الإصا إلى مئات من العميان بهذه العملية البسيطة الناجحة.

كان الطريق الوحيد أمام البنك للحصول على القرفة ، هو بأخذ ٣ مم من بعض قريبات المتوفين من المرضى بالمستشفى ، ووضع عسة لاصقة مكان الفتحة احتراما لمشاعر أهل المتوفى وهو اجراء يعادل قص عينة من الاطار ويقطع عن أخذ جزء من الكبد أو الخ لدراسة الصفة التشريحية.



جاذبية سرى .. وروحانية جديدة

حركة التوازن بين التوافق والتضاد، إلى جانب تنوع الضوء واللون وتفكيكه عناصر التكوين في مساحات منفصلة عن بعضها البعض.

السعنيات :

ثم نتبع الصور الثاني في تجربة الفنانة في السعنيات حيث كشفت الفنانة مجاميع البهوت في كتل متحدة عضوية في مقدمة اللوحة. وكثيرا ما كانت تلك الكتل تقدم حلولا رياضية للمسطح المرسوم. رغم أنها نادرا - لجأت لإحكام عملية التوازن - باختبار وضعه في أحد زوايا العمل مستدير مثل الشمس أحيانا أو القمر أو حتى الهلال. إذن كانت الكتلة الأساسية التي تتكون من مجاميع البهوت ريا هي الواجهة في التركيب الرياضي ولذلك كانت تسمح سطوحها لتلك الكتل مثل (السدى واللحمة) لاستخلاص نسج عسري رياضي.

في تلك الفترة حدثت حالة من "الميلانيزم" التصويرية عند جاذبية سرى حيث اختزلت الواقع المتمثل في البهوت واختزلت الشخصيات الإنسانية

باحترام النسب أو المنظور أو الظل والظل إلى آخره.

ولوحة المراجع التي أعجزتها الفنانة عام ١٩٥٦ - بخامات زيت على القماش مقياس ٧٥×١١٥سم تمد غورجا لهذا التمدد من تلك القواعد الكلاسيكية وأهم ما في هذا النموذج هو قيام الفنان ببناء سطح اللوحة - بتصور من داخل العمل وليس من خارجه كما هو معتاد - كما تتسع بنا - دراميا مواز للصورة البصرية الخارجية التي تطرحها اللوحة. وفي هذا العمل أيضا استطاعت جاذبية سرى أن تمكس تلقى الشاعر الانتمالية والتلقائية من خلال "الحطه والحركة" فحالة والتشخيص التي تمثل العنصر الأساسي وتتركز في مقدمة اللوحة تحدد بخطوط واضحة تتميز بالحدة وتقاطع النهايات بعضها مع بعض. ومن ناحية أخرى نجد في معظم اللوحات والبهوت "قتل مريعا في أحد زوايا خلفية اللوحة حيث كانت عنصرًا ثانويًا من ناحية الصدارة الفنية للمسطح التصويري، وكان وجودها لإحكام

تجريد عناصر الطبيعة "Nature" المادية من صورها إلى علاقات تفرغها من مجال وجودها، يسلمنا إلى "طبيعة كونية مختلفة، تختلف في وجودها النسبي المرتبط بكونها، وتجريد تلك العلاقات وفي-نقيها أو إثباتها، وبهذا نجد أن الكافة يشتركون في إدراك الطبيعة الأولى من حيث إثبات الوجود وأشكاله وصياغته، إلا أن الخاصة فقط من المبدعين هم الذين يبتكرون تلك الطبيعة الكونية المختلفة.

وتعد جاذبية سرى من بين هؤلاء المبدعين الذين تفردوا بإدراك طلاس هذه الطبيعة الكونية المراتبة.

إن تأمل تجربة الفنانة جاذبية سرى هو في حد ذاته رؤية خاصة لكيفية تجريد الواقع الذي نتحدث عنه إلى علاقات تشكيلية لها منطق ذاتي. في جميع العناصر، في منظور الرؤية وفي التكوين وخلالها.

ففي بداية التجربة عام ١٩٥١، تقود جاذبية على القواعد الكلاسيكية فلم تمي

وابتكرت مثقلا للزج بينهما في محاولة للكشف عن روح الموضوع وهو ما جعلنا نميل للاعتقاد بأن الفنانة في الخمسينيات والستينيات كانت تستعير المد الجمالي في جانب من موضوع الصورة.

أيضا حدث تبدل آخر في الإحساس باللون والضوء، كما حدث في الشكل والبناء، فقد أصبح دائما لبن أساسي لا يتصل بمسافات أو خطوط فيتأكد نسيج تحت بحث يقترب من مسامت ذات طبيعة مونوكرومية في عدد كبير من أعمالها التي أنتجتها في الستينات، غلب عليها طابع الاعتماد والبرودة، أما المخطوط فقد اتسمت بالسلك وكذلك بالخشونة.

السمينيات
مع بداية السمينيات اختفت الفاصلة بين ملوحة اللوحة وظلقة اللوحة وظهر المسطح الواحد الذي يلصق عن

حالة واحدة ولاهما يتعمد مستويات الزاوي، تبدل اللون إلى عنصر اقتحام مهاجم وعنيف على السطح، ثم ظهرت درجة من الميل الواضح إلى الجمالية في ذاتها باعتبارها موضوعا للصورة. تخلصت جاذبية سرى في تلك المرحلة من ثقل التعصيرين الذين لازماها في الخمسينيات والستينات «الناس والهوت» وأصبح التجريب في الصورة البصرية هو الثير. وأثارها ال action painting بتأثيراته في الصورة البصرية بما له من خاصية غير متناهية، فاجتحت معظم لوحاتها على خطوط غير واضحة لتحديد الشخص وهو في غالبيتها إيهامات تشبه الأحلام ونهضات غير محسوسة أو محسكة تتدفق من الشعور، وحصل تشويها في بعض الأحيان بفعل العنف التعبيري الذي هاجمت الفنانة به نفسها.

في السمينيات والثمانينات تناولت جاذبية موضوعات الصحراء، الليل، البحر والزهرة: إلا أن الموضوع لم يثقل عنها جماليا على سطح اللوحة فتلاحظ أنه قد صاحبت تلك الفترة قدرة على تحويل الموضوع إلى علاقات جمالية خاصة بالمساحة وليس بصالية الصورة كما كان في الخمسينيات والستينيات، ولذلك لم يعد الموضوع يمثل إلا مجموعة دلالات ذات رموز بصرية.

جاذبية والتصور الفني
مع بداية السمينيات سادت لوحات جاذبية سرى حالة تصور فني تخلصت فيه الفنانة من الإحساس بالأرض كقاعدة تواجد، فتجاخت قانون المجاذبية الأرضية وأصبحت اللوحة مساحة لونية لغضا، كرتي تصبغ فيه كتل تختلط فيها الشخص بالماني، تلك الكتل السابعة لا تتركز على قاعدة ولا تتصل بقمة... ولما هي سابعة، في تلك المرحلة تبدأ جاذبية سرى طرح علاقات روحانية جديدة. جاذبية تعرض الآن أكثر من لمانين لوحة بقاعة أختانور يجمع الفنن بالزمالك قتل اللوحات تجرمة الفنانة منذ بدأت في الخمسينيات وحتى الآن، والمعرض مستمر حتى منتصف هذا الشهر.

* معارض هذا الشهر * تجمع الفنن بالزمالك

قاعة أختانور رقم (١) جاذبية سرى (تصوير)
قاعة أختانور رقم (٦) جورج فكري (رسم)
قاعة أختانور رقم (٥) خالد سرور (رسم)
قاعة أختانور رقم (٢) الفنان الإيطالي كوكي (تصوير)
قاعة الجراج أين جودة (خزف)
مشربية
عروض الشيشي (خزف)
جورج الهجوري (رسم وتصوير)
الهناجر
نازلي مذكور (تصوير)
أكسترا
فتحي أحمد - خفر
وسام فهمي (تصوير)
كريم رمسيس
جمال عبد الناصر (تمت)
سلامة
عصمت داوشتاشي (تصوير) - أعمال
مركبة (خيالات من فنان القاهرة)

جاذبية سرى

أستاذة التصوير سابقا بكلية التربية الفنية بجامعة حلوان (حتى عام ١٩٨١).
- أستاذة التصوير سابقا بالجامعة الأمريكية (٨٠-١٩٨١).

الدراسات :

بكالوريوس في الفنون الجميلة، المعهد العالي للفنون الجميلة للبنات، القاهرة ١٩٤٨. دبلوم إجازة التدريس ١٩٤٩. دراسات عليا مع مارسيل جرومير في باريس ١٩٥١، وروما ١٩٥٢. كلية سليد جامعة لندن ١٩٥٥/٥٤.

الجوائز :

جائزة روما ١٩٥٢، الجائزة الشرقية لبناني فينسيا ١٩٥٦، الجائزة الشرقية للخلق الفني القاهرة ١٩٥٧، الجائزة الثانية في الحفر بنيتالي الإسكندرية ١٩٥٩، الجائزة الأولى للتصوير بنيتالي الإسكندرية ١٩٦٣، الجائزة الأولى لصالحين القاهرة ١٩٦٠، الجائزة الكبرى الرابعة للفن العالمي للمعاصر مزناك ١٩٦٨، جائزة الدولة التشجيعية للتصوير ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٧٠، جائزة دار أوبرا القاهرة لتصميم رباعية نسجيات ١٩٩٠، ترشيح جامعة حلوان لجائزة الدولة التقديرية للفنون، ١٩٩٢، ١٩٩٤.

الزمالات

منحة جائزة روما للدراسات العليا في إيطاليا ١٩٥٢، منحة المجلس البريطاني لدراسات عليا في كلية سليد جامعة لندن ١٩٥٥/٥٤، زمالة تفرغ للدولة من وزارة الثقافة لمدة ٦ سنوات، زمالة مؤسسة هانتيق هارنغورد الأمريكية لوس أنجلوس ١٩٦٥، زمالة الهيئة الألمانية لتبادل الأساتذة برلين الغربية ١٩٧٥، زمالة فولبرايت والمتحف الوطني للمرأة في الفن «بواشنطن» (العاصمة) ١٩٩٣.

المعارض

٥٦ (سنة وخمسون) معرضا خاصا في مصر والبلاد العربية وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا، والاشتراك في معارض جماعية ودولية في مصر وبلاد العالم.

حروب البسوس الحزبية فى مصر المحروسة

فى نهاية الدورة الخامسة لاجتماعات اللجنة المركزية للحزب العربى الناصرى ، انفجرت الصراعات المكتومة داخل الحزب، لتنتهى بحرب دعائية بين طرفى الصراع، تبادلوا فيها اطلاق قذائف الاتهام بالديكتاتورية والتهادنية من جانب، وبالطفولة اليسارية وتنفيذ مخططات أجنبية من الجانب الآخر. أما السلاح المشترك، فكان الاتهام بالخروج على الشرعية. وليس الحزب الناصرى .. هو أول الأحزاب التى تنفجر صراعاتها على هذا النحو غير المنضبط، ففى تاريخ الصراعات الداخلية للأحزاب المصرية- خلال الأعوام العشرين الماضية- حالات كثيرة للصراع داخل أحزاب «الجمع» و«العمل» و«الحرار» لا تختلف عن الحالة الناصرية، سواء فى أسباب هذا الصراع ، أو فى ظروف تفجيره ، أو فى طريقة إدارته، بل لعلها تكاد تكون نسخة طبق الأصل مما سبقها.

ويصرف النظر عن الخطأ والصواب، فى مواقف كل طرف من أطراف مثل هذه الصراعات وضمن النصر والهزيمة التى انتهى إليها كل منها، فإن المنتصر الدائم فيها، هو الحكومة التى تعودت صحفها أن تتخفى فى نيران الحرب الأهلية داخل أحزاب المعارضة، وأن تتيح لكل أطرافها فرصة ديمقراطية لكى يشرح كل منهما الآخر، لتعطى بذلك للأغلبية الصامتة العازقة عن المشاركة فى العمل الحزبى، ذريعة جديدة للتشبث بمواقفها، والنتيجة المحققة التى تنتهى إليها هى إضعاف إيمان كل حزب، وهى الوهن الذى أصاب التعددية الحزبية.

وأشوأ ما فى هذه الصراعات ، أنها تبدو غير مفهومة، ليس للرأى العام أو للمستقلين بالسياسة فقط، بل تبدو كذلك حتى لأطرافها، فسيل الطلقات المتبادلة يزدحم عادة بكثير من التفاصيل، ويقدّر كبير من المبالغة، وتتناقض بين المعلن والمخبر، وبين أسباب الصراع التى تساق للأخريين، وأسبابه الحقيقية التى لا يعرفها إلا أطرافه، وتظلله عادة سحابات من التشهير والفضح يمارسه الجميع بدرجة عالية من السادية لا تشجع أحداً على ممارسة فضيلة النقد أو على تفهم موقف الطرف الآخر أو على التنازل بهدف الاتفاق، به، فتنتهى المسألة من دون أن يستخلص منها أحد درساً واحداً مفيداً يساهم فى الحلولة دون تكرارها.

وفى ظل هذه الحالة المزاجية العدوانية التى يتحول فيها أطراف الصراع إلى أجرة أعداء، لا يتوقف أحد عند الأسباب العامة التى تهيئ المناخ لانفجار تلك الصراعات، مع أنها واضحة كالشمس، فقد نشأت الأحزاب المصرية جميعها ضمن خطوط حمراء، أحاط بها قانون الأحزاب تأسيسها ونشاطها، فتشكلت من قبائل ايدولوجية وسياسية، تنفق ظاهرياً فى أهدافها العامة، وتختلف فى منابيحها وخبرتها وأفكارها ومخالفاتها العربية والدولية- أكرهت على التعاون معاً، لكى تحصل على «الرخصة» التى تبيح لها شرعية الوجود والنشاط، فكان طبيعياً أن ينشب الصراع بين قبائلها بمجرد الحصول على الرخصة، وأن تتنافس هذه القبائل بضراوة على المواقع التنظيمية القيادية، لكى يظل القسم الأكبر من ثمار تلك الشرعية فى خدمة أهدافها.

ولأن صيغة التعددية الحزبية المقيدة تصادر حق القبائل فى الانفصال، كما تصادر كل أشكال النشاط الحزبى الجماهيرى، ومنها العمل داخل الجماعات الطبيعية كالمنارس والجامعات والمصانع وعقد الاجتماعات العامة وتنظيم المسيرات وتوزيع البيانات، فقد افتقدت الأحزاب المصرية للمناخ الذى كان كفيلاً بتصفية الصراعات بين قبائلها، سواء بممارسة حق الانفصال، أو بممارسة العمل المشترك، أو بالاحتكام إلى جماهيرية كل قبيلة، ولأن هذه الصيغة الشريرة، لم تترك للأحزاب-بعد حق السقوط المدوى فى الانتخابات العامة- إلا حق إصدار الصحف، فقد أصبح الصراع حول السيطرة على صحيفة الحزب ، هو الموضوع الرئيسى لحرب البسوس الحزبية فى مصر المحروسة.. التى تنتهى عادة بإضعاف الحزب، وإضعاف الصحيفة.

وليس غريباً أن أحداً لم ينتبه-فى ظل هذه الحروب المتواصلة- إلى أن الأحزاب المصرية جميعها، قد أصبحت فى حاجة ماسة، إلى تجديد أفكارها ورواها وبرامجها وأساليب نضالها، بعد عشرين عاماً من تطبيق صيغة التعددية الحزبية المقيدة، انقلب خلالها كل شئ فى الرظن والأمة والعالم رأساً على عقب ،ولم يبق ثابتاً على حاله، إلا تلك الصيغة الشريرة، التى لم تنجز شيئاً إلا حروب البسوس الحزبية).

وبا أيتها البسوس : شوية عقل!



اللقاء والعزلة ١٩٩٥ زيت على توال ١٥٠x١٥٠ للفنانة جاذبية سرى



شب در خیابان اصفهان ۱۳۵۹ خ. - رنگ روغن بر بوم